الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

جامعة المرج

مجلة كلية الآداب والعلوم/ المرج

مجلة الآداب والعلوم

المدير المسئول

د. مفتاح محمد عبد العزيز

رئيس التحرير

أ.د. محمد أزهر سعيد السماك

سكرتير التحرير

أ. عبد الرحمن عبد الرحيم العبدلى

هيئة التحرير

د. يوسف سالم البرغثى

د. عبد الله ذاوود القديرى

أ. إبراهيم سليمان الزليتنى

إدارة المجلة

أ. عبد الرحمن عبد الرحيم العبدلى

رقم الإيداع/ 2001/9177
الترقيم الدولي/ 997-303-355-4

المراسلات

توجه المراسلات إلى
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
رئيس تحرير مجلة الآداب والعلوم - جامعة المرج

ص.ب : 894 هاتف : 24532 بريد مصور : 24531

فهرس الموضوعات

- كلمة المدير المسئول ——— 7
- كلمة رئيس التحرير ——— 9

الموضوع	الصفحة
1 الوضع الاجتماعى والاقتصادى للمرأة العربية الليبية ومشاركتها فى العمل . ——— د. محمد عبد الحميد الطبولى	11
2 الأثر النقودى فى المديونية . ——— د. عبد النافع عبد الله الززى	33
3 أصداء إعدام عمر المختار ——— د. يوسف سالم البرغثى	63
4 البحث الجغرافى التطبيقى بمنظور معايير الابتكار وآليات التقويم . ——— أ.د. محمد أزهر سعيد السماك	95
5 المياه العربية بين مخاطر الطبيعة والأطماع الأجنبية "الموارد المائية فى القرن الأفريقى الغربى وموريتانيا" ——— د. جمعة رجب طنطيش	113

الموضوع	الصفحة

6 الأهمية الاقتصادية للمراعى الطبيعية 163

د. عمر رمضان الساعدى

أ. محمد عباس بيومى

د. جمال الدين بلال عوض

7 تأثير تدهور الغطاء النباتى الطبيعى فى منطقة الجبل الأخضر على التنوع البيولوچى 175

د. محمد عباس بيومى

د. السنوسى الزنى

د. عمر رمضان السعدى

8 ملامح من التقويم الداخلى لقصيدة النثر العربية "مقارنة نقدية" 189

د. سرور عبد الرحمن عبد الله

9 النضج الانفعالى لدى المراهقين المتفوقين عقليًا وأقرانهم العاديين فى المرحلة الثانوية 223

د. عامر خضير القيسى

د. عبد الحسين رزوقى الجبورى

10 الأفكار اللاعقلانية عند طلبة جامعة قاريونس 243

د. طالب ناصر القيسى

11 رؤية عن الواقع التربوى فى مجتمعاتنا الإسلامية 263

د. محمد أحمد عبد الهادى

الموضوع	الصفحة
(12) التبقع البكتيرى على الطماطم بمنطقة الجبل الأخضر بليبيا أ. عز الدين العوامى أ. فتحى المسمارى أ. عوض عبد الرحيم	287
(13) الغزالى والنظرية الكمية أ. إبراهيم محمد إبراهيم حممو	307
(14) طفيل الفاروا كيفية التعرف عليه واكتشاف وجوده بالخلية وطرق مقاومته د. عبد الله داوود القديرى	323
(15) الجامعات المنشودة للقرن الحادى والعشرين د. مفتاح محمد عبد العزيز	339

كلمة المدير المسئول

يسعدني أن أقدم للقراء الأعزاء العدد الثاني من مجلة (الآداب والعلوم/ المرج) التي تأمل أن تسد حاجة الباحثين والمتخصصين وأساتذة الجامعات بالوطن العربى وتملأ فراغًا ونقصًا على مستوى الوطن، ألا وهو عدم وجود دوريات أو نشرات علمية تغطي مجال الآداب والعلوم الذي يخدم مختلف حقول العلوم السلوكية والتطبيقية.

وانطلاقا من أهداف الجامعة وإحساسًا بمسئوليتها نحو خدمة المجتمع وتنمية البيئة، وتحقيقًا لأهداف الجامعة العلمية تجاه الآداب والعلوم، وأملاً في تطوير البحث فى هذه التخصصات، وحيث أن الثورة المعرفية والتكنولوجية وتغير الأدوار الاجتماعية، والثورة المعلوماتية، والتطور فى دور الفرد في المجتمع، التي يعيشها المجتمع الإنساني في مطلع القرن الحادى والعشرين، تدفع بقضايا الآداب والعلوم والتربية إلى المحل الأول بين غيرها من القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وإن الجامعة المنشودة ينبغي أن تكون عنصرًا من عناصر الحياة في البيئة الثقافية والاجتماعية في المجتمع، تشيع فيه عقلها وروحها وتشركه وتشاركه فيما يناسبه من دراسات وأبحاث، لكي تبني مناخًا علميًا وثقافيًا جامعيًا يكفل لها حياة مطردة النشاط و التقدم. وينبغي أن تكون الجامعة عضوًا عاملاً فى مجموعة المؤسسات والمراكز والهيئات العلمية التى يربط بينها هدف واحد، ألا وهو تقدم "العلم" ومن ذلك إصدار مجلة علمية تشتمل على الدراسات والأبحاث والمقالات التى يقوم بها

أعـضاء هيـئة التـدريس بالجـامعـة، لكي تكون حلقـة وصل بين الجـامعـة وبين تلك المؤسسات والمراكز العلمية.

وبعد . . فـإننا نأمل في مـسـاندة وعـون كل أبناء التـخـصص والعـاملين في مختلف حـقول العلوم السلوكية والتطبيقـية، من باحثين وأساتذة جامـعات وخبراء وغيرهم، ذلك العون الذي يساعدنا على الاستمرار والعطاء في مجتمع يتميز بالعلم والأمن والعمل.

وهيئة التحرير إذ تأسف عن تأخرها عن إصدار هذا العدد .

والله وراء القصد ، ، ،

د. مفتاح محمد عبد العزيز

المدير المسئول لمجلة الآداب والعلوم

كلمة رئيس التحرير

◆◆◆◆

تعد مجلتكم هذه أيها القراء الأعزاء ثمرة من ثمار الجهد الفكري للجامعة ونبع بالعطاء الذي يمتزج بالواقع بدقة وصفاء.

فالمجلة والجامعة توأمان يتجاذبان الفكر معًا، ويعبران عن عمق العلاقة بين العلم ومغزاه الحقيقى. ويكتملان في حركة واحدة.

وكان ذلك الباعث الرئيسي لميلاد مجلتكم مجلة كلية الأداب والعلوم بالمرج.

هكذا عاهدنا أنفسنا وإياكم في المقال الافتتاحي للعدد الأول، وقد وفقنا الله لذلك، إذ نعتز بما تضمنه العدد من أبحاث ومقالات علمية متخصصة في مختلف فروع المعرفة العلمية والإنسانية.

ونحن الآن مع العدد الثانى بموضوعاته المتنوعة من أبحاث ومقالات علمية متنوعة والتي تعد لبنة أخرى على صرح الأساس الرصين الذي نأمل أن يشمخ يومًا بعد يوم، وذلك بتضافر جهودنا جميعًا، فالمسيرة العلمية عمل جماعي متواصل لتحقيق الأمل المنشود فى عصر شهد ويشهد ثورة علمية متطورة، تتزايد ونحن نطل على القرن الحادي والعشرين بكل معطياته الحضارية المتزايدة.

واليوم نجدد الدعوة للزملاء بكافة التخصصات العلمية والإنسانية من أجل استمرار التواصل المعطاء مع مجلتكم مجلة الآد اب والعلوم/ المرج فإننا لسنا مقيدين بالعدد السنوي الواحد.

فبقدر تفعلكم وبما تقدمون من أبحاث ستنمو المجلة وتزدهر في الكم والكيف عطاء ونماء. **نسأل الله التوفيق، فى مسعانا فهو مولانا ونعم النصير ..**

رئيس التحرير

أ.د. محمد أزهر السماك

الوضع الاجتماعي الاقتصادي للمرأة العربية الليبية ومشاركتها في العمل

□ د. محمد عبد الحميد الطبولي

❖ قسم علوم الاجتماع - كلية الآداب والتربية

❖ جامعة قاريونس (بنغـــازى)

مقدمـــــة

أحدث اكتشاف النفط تغيرات ضخمة في المجتمع العربي الليبي شملت المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفي الوقت ذاته خلقت تلك التغيرات وظائف تطلبت أشخاصا مؤهلين لأدائها، فأصبح هناك حوالي 404.000 مواطن ليبـــي في سوق العمل عام 1975. ووصل هذا العدد إلى 532.800 شخص في عام 1980، بمعدل زيادة 3.2% في السنة وفي الوقت نفسه ارتفع عدد الأيدي العاملة الأجنبية من 223.000 في سنة 1975 إلى حوالي 280.000 في سنة 1980، بمعدل زيادة 4.7% في السنة، الأمر الذي أوجب تأهيل قوى عاملة وطنية، حيث وجه الطلاب إلى التعليم المهني، وخصصت الخطة الخمسية (1975-1980) 300.000 فني ومتخصص، وأيدي عاملة مؤهلة للعمل في مشاريع تتعلق بالصناعة والصحة والتعليم والزراعة.

من جهة أخرى، كان هناك تغير في معدل التحضر حيث انتقل بعض السكان من أماكن إقامتهم الأصلية إلى مدينتي طرابلس وبنغازي بوصفهما أكبر مراكز التحضر في ليبيا بحثا عن فرص عمل. وتشير الإحصاءات السكانية إلى زيادة في عدد سكان مدينة طرابلس من 130.000 نسمة في الفترة 1954 إلى 1964، وزيادة عدد سكان مدينة بنغازي من 70.000 إلى 137.000 نسمة، وشهدت هذه الأرقام زيادة في السبعينات والثمانينيات حيث وصل عدد سكان مدينة طرابلس إلى 990.697 نسمة، وبلغ عدد سكان مدينة بنغازي 485.386 نسمة [1]. وتحولت مدن أخرى إلى مراكز حضارية كمدينة " مصراتة " ومدينة " إجدابيا " التي أصبحت مراكز حضارية بسبب حقول النفط القريبة وبفضل المواصلات الحديثة .

وعلى وجه العموم، فإن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع الليبي، والطلب على الاستخدام في مجال المواصلات، والبناء والتشييد،

والخدمات الحكومية شجعت على العمل في هذه القطاعات من جهة، وأتاحت فرصا غير متوقعة لعمل المرأة الليبية بأخذ صفاة جديدة، حيث بدأت تسارع للعمل بعد حصولها على مستوى تعليمي يؤهلها لذلك، وعليه شاركت بشكل جاد في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، استفادت المرأة من الفرص التعليمية المتاحة، وحصلت على قدرات جديدة تساعدها في المشاركة في مجالات العمل المختلفة، فضلا عن ذلك فقد أثرت هذه التغيرات مباشرة على مكانة المرأة في المجتمع والاقتصاد.

يهدف هذا البحث إلى مناقشة تأثير تلك التغيرات على دور المرأة العربية ووضعها في قوة العمل، وفي الوقت نفسه تعطى نظرة عامة لاستخدام المرأة في المجتمع العربي الليبي. إذ تعرض التغيرات التي طرأت على وضع المرأة ومكانتها، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي أدت إلى تلك التغيرات. وتقوم بتحليل بنية توظيف المرأة في المجتمع العربي الليبي، وعليه ينقسم هذا البحث إلى جزئين: يناقش الأول التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أدت إلى تغير دور المرأة ووضعها في المجتمع والاقتصاد. ويتناول الجزء الثاني أنماط واتجاهات استخدام المرأة في ضوء بنية قوة العمل الليبية. أو بمعنى آخر، يتناول الجزء الثاني أنماط واتجاهات استخدام المرأة في ليبيا وبناء القوى العاملة، وعلاقة ذلك بالاختلاف المهني حسب النوع. وجمعت بيانات هذا البحث من الإحصاءات السكانية المنشورة والنتائج النهائية لحصر القوى العاملة الليبية الذي أجرى عام 1980، بالإضافة إلى بعض التقارير الأخرى لإعطاء نظرة عامة لتوزيع الذكور والإناث في سوق العمل الليبي.[2]

التحولات الاقتصادية والاجتماعية :

كانت ليبيا تعد أفقر دول العالم اقتصاديا قبل اكتشاف النفط لعدم اكتشاف النفط ولعدم توفر المصادر الطبيعية والبشرية فيها. وفي ذلك الوقت اعتمدت على المساعدات الخارجية من الدول الغربية، لذلك اعتبرت من الناحية الاقتصادية حالة ميئوسا منها. [3] وعليه استفادت من المساعدات الأجنبية التي

استلمتها في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أن المخططين الليبيين ركزوا اهتمامهم على تنمية الزراعة التي كانت تمثل آنذاك النشاط الاقتصادي الرئيسي في المجتمع قبل اكتشاف النفط حيث مثل ذلك النشاط اكثر من 7% من قوة العمل. وتعد نهاية الخمسينات وبداية الستينات نقطة التحول في الاقتصاد الليبي، حيث تحول من لاقتصاد راكد إلى لاقتصاد سريع التطور بفضل سيطرة قطاع النفط. (4)

شهد الاقتصاد الليبي نموا سريعا في السبعينات حيث أصبحت ليبيا إحدى أغنى دول العالم. وبناءا على تقرير مجلة TSEGID CIMONOCE ELDDIM كان معدل الدخل في ليبيا في نهاية الأربعينات 135 دولار في السنة وأزداد إلى 2168 دولار في عام 1969، ووصل إلى 11.000 دولار في عام 1980، وإلى جانب ذلك، استخدمت واردات النفط في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأصبح النفط المصدر الرئيسي للدخل القومي، ولذا أصبحت ليبيا معتمدة على النفط اعتمادا كليا، يقول " العيساوى " في هذا الصدد إن ليبيا أصبحت دولة المحصول الواحد متبعة الطريقة نفسها المتبعة من قبل في دول الخليج التي أصبحت معتمدة تماما على النفط. ولما كان النفط هو المصدر الوحيد للدخل القومي فقد أدى ذلك إلى وضع فريد في ليبيا تمثل في هجرة كثير من أفراد المجتمع من مزارعهم للعمل في حقول النفط أو المدن القريبة منها، والتحق الذين لم يحصلوا على عمل في مجال النفط بوظائف في قطاعات أخرى في تلك المدن تاركين مزارعهم، وقد عانت الزراعة كثيرا من ذلك. يصف " على عتيقه " ذلك الوضع إن الزراعة تركت راكدة في نومها بطئ المستوى،(5) ومن جهة أخرى تكونت بعض الصناعات الخفيفة مثل المنسوجات والأسمنت وصناعة الأغذية وتكرير النفط. لكن ارتفاع تكلفة الإنتاج وصغر السوق وعدم توفر القدرات النفطية والإدارية سبب صعوبة في التوسع الصناعي.(6)

تم صرف حوالي 70% من إيرادات النفط على خطط التنمية الاجتماعية الاقتصادية الطموحة. إن هذه الخطط كانت تهدف إلى تحويل المجتمع الليبي من مجتمع يعتمد على اقتصاد من نوع واحد إلى اقتصاد يعتمد على أكثر من نوع، بمعنى آخر،

انتقل الاقتصاد الليبي من اقتصاد أحادى إلى آخر متنوع DEFIFISREVID، فعلى سبيل المثال، كان هدف خطة التنمية 1976 - 1980 هو إقامة صناعات جديدة مثل البتر وكيميائيات، والتشييد، وصناعة الأغذية. وكالعادة أعطيت أولويات لتنمية وتحديث قطاع الزراعة لجعل ليبيا دولة تعتمد على نفسها في ذلك المجال. وبالرغم من المحاولات المبذولة لتحديث المجتمع فإنه كانت هناك دائما عقبات تواجه واضعي أي خطة تنموية، مثل ندرة القوى العاملة المدربة وشبه المدربة. وللتغلب على تلك العقبات كان يعوض عن ذلك النقص باستجلاب قوى عاملة غير ليبية. (7)

أوضحت الإحصاءات الليبية أن المجتمع اعتمد اعتمادا كليا على قوى عاملة أجنبية على الرغم من تزايد عدد العاملين الوطنيين في سوق العمل الليبي، حيث أوضحت تلك الإحصاءات أن نسبة السكان غير الليبيين ازدادت من 13.6% عام 1980 إلى 19.4% عام 1983 وفي الوقت ذاته أزداد معدل العمالة الأجنبية من 34.4% إلى 47% حيث كانت الأغلبية العظمى منهم متركزة في الشركات الأجنبية التي اعتمدت على أيدي عاملة رخيصة من أقطار آسيوية. (8)

ونتيجة لانخفاض أسعار النفط العالمية بعد عام 1981، وإدارك حقيقة أن مصدر النفط قابل للزوال، عملت خطط التنمية الحديثة، خصوصا خطة 1981 - 1985 على تحويل الاقتصاد من الاعتماد على قطاع النفط إلى القطاعات الأخرى، وإلى جانب ذلك أعطت تلك الخطط أهمية كبرى للقوى البشرية الوطنية وخاصة النساء لتأمين الزيادة المقررة للعمالة الليبية، وتقليل الاعتماد على العمالة الأجنبية. وبناءا على ذلك شجعت النساء على المشاركة في العمل، وبرامج التدريب لتلبية أهداف تلك الخطط .وبناءا على الخطة الاقتصادية الاجتماعية أزداد عدد النساء الليبيات بشكل ملفت للنظر في عام 1985، واقترحت الخطة أن عدد النساء العاملات سيرتفع إلى 99.700، وإن معدل مشاركتهم سيصل إلى 14.7%، وفضلا عن ذلك، رأت الخطة إنه ستكون هنالك 48.400 امرأة عاملة من بين 206.200 شخص سيدخلون في القوى العاملة الليبية خلال فترة 1981 - 1985. (9)

مما سبق يتضح أن النفط كان سببا في تحول ليبيا من دولة فقيرة إلى واحدة من أغنى الدول في العالم، وأنه لعب دورا مهما في التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في المجتمع، ولذا فإن إيرادات النفط كان لها تأثير كبير على المؤسسات الاجتماعية الليبية مما نشأ عنه تغيير في بناء الأسرة الليبية هو تحولها من أسرة مركبة " ممتدة " إلى أسرة نووية " صغيرة " مستقلة، وانتقل المجتمع من مجتمع كان يعتمد اعتمادا كليا على الزراعة والرعي إلى مجتمع حضري له موارد اقتصادية متنوعة. كل ذلك أدى إلى تغيير في أدوار أفراد المجتمع ذكورا وإناثا. ويهتم هذا البحث بتغيير دور المرأة الذي حدث نتيجة فرص التعليم المتاحة لها، وفي الوقت نفسه فإن تعليم المرأة أدى إلى تأخير سن زواجها، كما تغيرت نظرتها أي الحياة الأسرية فأصبحت اكثر تحملا للمسؤولية الأسرية والعامة، ومن ثم أصبح دورها اكثر فعلية من ذي قبل .

كانت المرأة الليبية في السابق – مثلها مثل المرأة العربية – تعتمد على أسرتها أو زوجها كما إنها كانت تابعة له لكونه مسئولا عنها من الناحية الاقتصادية، لكن الأمر تغير نتيجة حصولها على التعليم ونزولها إلى مجال العمل وأصبحت مستقلة اقتصاديا نوعا ما – وعليه تغيرت مكانتها داخل الأسرة وفي المجتمع. وأتاح لها ذلك فرصا كثيرة، منها اختيار شريك الحياة، وتحديد حجم الأسرة والمشاركة في القرارات الخاصة بالأسرة، في الوقت ذاته نتج عن خروج المرأة إلى العمل بعض السلبيات، مثل قضاء الأم وقتا طويلا خارج المترل. وهذا موضوع خارج عن اهتمام هذا البحث .

تطور تعليم المرأة

بالرغم من أن تعليم المرأة بدأ أكثر بطئا من تعليم الرجل فإن غالبية أفراد المجتمع أعطت اهتماما كبيرا لتعليم الجنسين، ومن خلال الإحصاءات نجد أن نسبة الإناث في المدارس الابتدائية في الفترة من 1951 إلى 1952 لا تتعدى 13.7% بالمقارنة مع العدد الكلى للطلاب. حيث كان عدد الطالبات 5105 طالبة في تلك الفترة. أما في المرحلة الثانوية فكان هناك 22 طالبة فقط، و26 طالبة مقيدة في

معهد المعلمات. أدى ذلك الأمر إلى وضع خطط جديدة لدفع النساء وتشجيعهن لدخول المدارس ،وبذلت الدولة جهدا كبيرا في التغلب على التفاوت في تعليم الذكور والإناث،وتشمل ذلك أهداف تعليمية متساوية وخطط لكلا الجنسين، كما فرضت متطلبات ومؤهلات متساوية للمدرسين والمدرسات وفي الوقت نفسه، بنيت مدارس للطلبة والطالبات في كل أنحاء البلاد. وفضلا عن ذلك، شنت حملات لإنهاء الأمية بين الذكور والإناث في كل المدن ،ووضعت تصورات للتدريب المهني لطالبات المدارس .[10]

رغم كل الجهود المبذولة وازدياد عدد الإناث في التعليم ،فإن بعض التقليد خاصة في المناطق الريفية وقفت حجر عثرة في طريق تعليم الفتيات، حيث لم يترك الآباء بناتهم يواصلن تعليمهن بعد المرحلة الابتدائية (وهى مرحلة إلزامية) ليتمكن من مساعدة الأسرة، ولتجهيزهن ليكن ربات بيوت .

ويقول عبد الهادي 1975 "تترك الفتاة الدراسة لتلعب الدور التقليدي ربة بيت". من جهة أخرى، يعد التعليم عاملا مهما في تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمرأة في المجتمع حيث أدركت إنه من خلال التعليم تستطيع الحصول على عمل. أو بعبارة أخرى أدركت أن التعليم هو الطريق الذي بمقتضاه تحصل المرأة على عمل مربح، بالإضافة إلى ذلك، فإن التعليم يفتح مدارك المرأة. ويساعدها على تقويم دورها في المجتمع مقارنة بالرجل تقول "فريدة العلاقى" إن التعليم مهم وله أبعاد ضمنية بعيدة المدى في مكانة المرأة حيث يقدم لها دورا بارزا في توجيه مستقبل مجتمعها.[11] تلعب الدولة دورا رئيسيا في تعليم المرأة وذلك بتشجيعها على الدخول إلى المدرسة والمشاركة في الأجواء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع يقول "ديب وديب" في هذا الشأن إن الدولة هي القوة الدافعة وراء تعليم المرأة. ويضيفان قائلين بما أن المجتمع الليبي صغير الحجم ويحتاج إلى قوى بشرية لينمو، لذا أدرك أن النساء باستطاعتهن أن يلعبن دورا أساسيا في المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية في المجتمع كما أنه يمكن تحريك الليبيات المتعلمات إلى عمل منتج في مختلف الحقول وتقليل الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية. [12]

يوضح الجدول رقم (1) تطور التعليم في ليبيا حيث قيس ذلك بعدد الطلاب المسجلين بالمدارس منذ عام 1950 .

جدول رقم (1) تطور التعليم في ليبيا من عام 1950 - 1983

السنوات	مستويات التعليم										%
	المرحلة الابتدائية	%الإناث	المرحلة الإعدادية	%الإناث	المرحلة الثانوية	%الإناث	المعاهد الفنية	%الإناث	المرحلة الجامعية	%الإناث	نسبة النساء من المجموع الكلي
51 - 1950	23.089	11	0	0	628	2	115	23	0	0	11
1955 - 56	65.163	17	2.585	1	1.170	2	1.125	18	31	0	16
1960 - 61	120.433	19	9.465	5	1.946	6	3.122	12	678	3	18
1965 - 66	195.274	28	20.270	11	5.586	12	5.475	31	1.787	8	26
71 -1970	350.225	37	37.047	18	8.441	15	8.465	23	4.442	9	34
1975 - 76	556.176	46	122.359	32	18.069	22	24.033	51	11.295	14	43
1978 - 79	600.747	47	191.574	40	27.122	40	40.173	56	12.295	20	45
1980 - 81	608.313	48	208.006	41	45.192	28	39.602	51	20.605	20	46
83 -1982	647.547	47	222.974	42	57.234	33	52.217	50	30.051	23	46

من خلال الجدول يمكننا ملاحظة أن عدد الطالبات أزداد باطراد في كل سنة دراسية، كذلك نلاحظ أن معظم الطالبات اتجهن إلى معاهد تأهيل المعلمات، بينما كان عدد الطالبات اللاتي دخلن الجامعة أقل بكثير من عدد الطلبة. فعلى سبيل المثال، خلال العام الجامعي 1979 - 1980، كانت نسبة الطالبات تمثل 20% من إجمالي عدد طلاب الجامعة، لكن هذا الوضع تغير منذ العام الجامعي 1982 - 1983 حيث وصلت نسبة الطالبات 32% فزاد عددهن من 3369 في العام الجامعي 79 - 80 إلى 6937 في العام الجامعي1982 - 1983. وأخذ عددهن يتزايد سنويا حيث وصل إلى أكثر من 40% في بعض التخصصات الجامعية.

كان تعليم الإناث - إلى عهد قريب - أكثر تخلفا من تعليم الذكور لعدة

أسباب نذكرها فيما يلى :

1) يعد التعليم حديثا في ليبيا حيث كانت نسبة الأمية عالية بين الذكور والإناث خلال فترة الاحتلال الإيطالي، ولم يسمح - آنذاك - إلا للذكور فقط بدراسة القرآن في المساجد .

2) وقفت العادات والتقاليد عائقا في طريق الإناث اللاتي سعين وراء التعليم، فالتنشأة الاجتماعية للفتاة تشجعها على أن تكون أما مثالية وسيدة بيت، كما أنها تنشأ على أن يكون هدفها الرئيسي في الحياة هو الزواج، وبالإضافة إلى ذلك فضل بعض الآباء إرسال بناتهم إلى مدارس تقوم بالتدريس فيها معلمات، وقلما كان هناك مثل هذا النوع من المدارس .

3) إعطاء الأسر أهمية أكبر لتعليم الابن، لاعتقادهم بأن مسئوليته الأولى ستكون الاهتمام بالأسرة ورعايتها وبخاصة والديه .

من بين التغييرات التي استفادت منها المرأة كذلك صدور بعض القوانين المتعلقة بها، وتعديل بعض القوانين وتشريعات الزواج التي تحدد السن القانونية لزواج الفتاة وعدم زواجها بدون رغبتها، وعدم زواج الرجل للمرأة الثانية إلا بعد موافقة الزوجة الأولى .

كما أفادت المرأة العاملة من القوانين الخاصة بالعمل ونذكر منها ذلك القانون الذي صدر عام 1972 والذي يهدف إلى حماية المرأة من أي تعصب ضدها في مجال العمل، ويؤكد كذلك على مساواتها مع الرجل من حيث الراتب عند قيامها بالعمل نفسه وحصولها على المستوى التعليمي ذاته، كما استفادت من المواد 43، 96، 97 الواردة في القانون المذكور. فبناءا على المادة 43 يحق للمرأة العاملة إجازة حمل إذا قضت ستة شهور متتالية في الخدمة مع نصف راتب لمدة خمسين يوما. بينما تنص المادة 97 على أن للمرأة العاملة الحق في راحة لمدة ثلاثين دقيقة مرتين خلال الثمانية عشر شهرا التالية لتاريخ الوضع لترضع طفلها محسوبة

من ساعات العمل، ولا تتأثر بفترات الراحة المقررة. وحددت المادة 96 ساعات عمل المرأة ونصت على أن المرأة لا تعمل أكثر من 48 ساعة أسبوعيا تحت أي ظرف ولا يتم تشغيلها من الساعة 8 مساء حتى الساعة 7 صباحا إلا في حالات خاصة. [13] وفي الوقت ذاته أصبح للمرأة حق في المشاركة في الحياة السياسية. لكن الأغلبية إلى فترة قريبة لم تشارك بشكل واسع في اتخاذ القرارات السياسية، إلا إنها بدأت تشارك في وضع بعض القرارات المتعلقة بها وأخذت تأثر في وضعها، كما حصلت على بعض الحقوق الاجتماعية مثل شراء بعض الممتلكات التي تملكها بمفردها وبيعها. [14]

من خلال العرض السابق، يتضح أن وضع المرأة ومكانتها تحسنت بمرور الوقت، وأن التعليم هو العامل الرئيسي الذي ساعد على ذلك. وبمعنى آخر، بينت الفقرات السابقة أثر التغييرات الاجتماعية والاقتصادية على وضع المرأة اجتماعيا واقتصاديا، إلا أن معتقدات أفراد المجتمع واتجاهاتهم إزاء دور المرأة ومكانتها في الاقتصاد لم تتغير بالسرعة نفسها لذا نجد أن هناك نظرتين عن وضع المرأة: أطلق على الأولى الأيديولوجية الرسمية وهى تؤكد على المساواة بين الرجل والمرأة، وترى أن الرجال والنساء شجعوا على القيام بالواجبات نفسها ولعبوا الدور نفسه، مؤكدة أن أي مجتمع قوى وصحي يفرض حقوقا وواجبات لمواطنيه من كلا الجنسين. أما الثانية فترى انه برغم الاختلافات بين الرجال والنساء فإنهم متساوون، ولذا تؤكد هذه النظرة على اختلاف الذكور والإناث من الناحية الفسيولوجية وقيامهم بمهام مختلفة في المجتمع لأنهم متساوون في الوقت ذاته مختلفون"[15] Equal but different " .

مشاركة المرأة العربية الليبية في العمل

يتناول هذا الجزء تحليلا وصفيا لمشاركة المرأة في مجال العمل بصفة عامة، وضع ومهن المرأة داخل البناء العام للقوى العاملة الليبية، والخصائص الاجتماعية

والديمغرافية للمرأة العاملة. من خلال مراجعة الإحصاءات نجد أنها تشير إلى زيادة عدد النساء العاملات، ويوضح الإحصاء السكاني الذي أجرى عام 1973 أن معدل مشاركة المرأة في العمل كان 5% وارتفع إلى 14.5% في عام 1985 ووصل إلى 17.4% في عام 1989 [16] ويعد هذا المعدل ضئيلا في رأى المتخصصين والمسئولين، لذا يشجع المسئولين النساء على المشاركة في القوى العاملة. وهناك قضيتان مهمتان عند التحدث عن مشاركة المرأة في العمل: الأولى أن الإحصاءات لا تقدر بدقة مشاركة المرأة في مجال الزراعة، والثانية أن الإحصاءات لا تعكس بدقة مشاركة المرأة في مجال العمل لعدم دقة بعض الإحصاءات. [17] تنطبق هاتان الملاحظتان على معظم دول العالم الثالث، وبالإضافة إلى ذلك، فإن مشاركة المرأة الليبية تعد ضئيلة بالمقارنة مع بعض الدول العربية الأخرى، فعلى سبيل المثال، إن نسبة مشاركة المرأة اللبنانية كانت 22%، والمرأة السودانية 20.8%، والمرأة التونسية 18.9% [18]. كما أنها ضئيلة بمقارنتها ببعض نسب مشاركة المرأة العاملة في دول ذات مستوى اقتصادي متقارب، أو دول غربية أخرى يتراوح المعدل فيها بين 30 - 40 %. [19]

يبين الجدول رقم (2) توزيع العاملين الليبيين في المهن الرئيسية في القوى العاملة.

جدول رقم (2) التوزيع المهني حسب النوع

أسماء المهن	1964		1973		1980		1984	
	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث
أصحاب المهن الفنية والعلمية	5.3	8.4	9.5	41.3	18.7	47.3	14.5	55.5
الأمناء والموظفون العليون ومدراء الأعمال	2.7	1.2	1.1	0.0	1.3	0.1	0.4	0.02
مراقبو الكتبة والموظفون	9.1	1.5	11.3	3.3	17.4	13.8	14.5	14.6
العاملون بالبيع	11.6	1.0	9.8	0.6	8.5	0.4	3.5	2.1
العاملون بالخدمات	18.4	14.1	22.9	42.2	23.4	35.6	44.0	23.6
العاملون بالإنتاج	32.1	52.1*	38.7	11.4	29.9	2.4	23.0	4.0
مهن غير مبينة	20.7	22.7	6.6	1.1	0.7	0.4	0.0	0.0
المجموع (5)	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0
المجموع (العدد)	199436	16203	299311	15145	245249	44109	502796	82685

* يشتمل هذا الرقم على نسبة من العاملات اقتصاديا ويعملن لصالح الأسرة.

– المصدر: النتائج النهائية للتعددات السكانية لأعوام 1964 ، 1984 والنتائج النهائية لحصر القوى العاملة عام 1980.

من خلال الجدول يتضح أن النساء يتركزن في ثلاثة أعمال رئيسية هي أصحاب المهن العلمية والفنية، مراقبوا الكتبة والموظفون والخدمات وخاصة منذ عام 1973،كما يوضح الجدول أن نسبة العاملين في القطاعات المهنية والإدارية تزيد بسرعة، لكن عدد العاملات في مجال الخدمات أزداد من عام 1964 إلى عام 1973،

ثم تناقص في عام 1980 و1984. يرجع هذا النمط - حسب اعتقادي - إلى أن المسئولين وواضعي خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية - وعلى وجه الخصوص خطة التنمية الخمسية 1981 - 1985، حيث وجهوا النساء إلى الأعمال الإدارية والصناعية، بالإضافة إلى ذلك، يمكن إرجاع الأمر إلى حصول بعض النساء على وظائف تتعدى التنشئة الاجتماعية والعادات والتقاليد تحت ظروف خاصة.

من جهة أخرى، نجد أن النساء مثلن أقل تمثيل في مهن رئيسية مثل "أعمال الإدارة" "والمدراء والبائعين" ويمكن تفسير هذا النمط بأن: هناك قلة من العاملات الليبيات اللاتي لديهن مؤهل تعليمي وخبرة ومهارات حتى يتم توظيفهن في تلك المهن .في الوقت ذاته يمكن إرجاعها إلى القيم الثقافية والاجتماعية التي لا تشجع المرأة على أن تكون في وضع يحتم عليها اتخاذ القرارات، بالإضافة إلى ذلك، يمكن إرجاع تناقص عدد العاملين في الإنتاج في إحصاء عامي 1980 و1984 إلى وجود عدد من العاملين غير الليبيين في ذلك القطاع مما دفع الليبيين إلى البحث عن أعمال في قطاعات أخرى. (20)

كذلك يوضح الجدول أن الليبيين ذكورا وإناثا يتمركزون في وظائف مختلفة، فعلى سبيل المثال في عام 1980 47.3% من النساء يعملن في المهن الفنية، بينما 29.9% من الرجال يعملون في مهن الإنتاج، وفي عام 1984 55.5% من النساء يعملن في المهن الفنية والعلمية و12.72% من الرجال يعملون في المهن نفسها، وكانت نسبتهم في الإنتاج 20.25% في السنة نفسها. نلاحظ من خلال فترة العشرين سنة، إن العاملين الذكور موزعون بالتساوي تقريبا في بعض المهن في تركيبة البناء المهني. وفى الوقت نفسه، فإن أكثر من 90% من النساء يتركزن في مهنتين أو ثلاثة فقط، بينما يتركز 90% من الرجال في أربعة وظائف .

العـــزل الـــمـــهـــني :

تناولت الصفحات السابقة استخدام المرأة من حيث تركزها في مهن معينة، ويمكن قياس تركز النساء في وظائف خاصة وعزلهن في سوق العمل بطرق عدة :

1) إذا كن موزعات في مهن بطريقة عشوائية فإنهن سيشكلن النسبة نفسها في كل وظيفة من الوظائف التي يشغلنها في بنية القوى العاملة، فمثلا إن معدل مشاركة المرأة في القوى العاملة في إحصاء عام 1984 كان 14.1%، عليه فإن هذا المعدل يجب أن يكون 14.1% في كل وظيفة. لكن النساء يشكلن أكثر من تلك النسبة في الأعمال المهنية والفنية والكتبة والخدمات .

2) طريقة استخدام معامل عدم التشابه التي تقيس التوزيع غير المتوازن للأفراد بين المهن وأقسام النشاط الاقتصادي. ويمكن حسابه بالمعادلة الآتية:

$$\Delta = \frac{\varepsilon mit - fit}{2}$$

حيث إن M تعني نسبة الذكور في مهنة I في سنة T، وتعني F نسبة الإناث في وظيفة I في سنة T. تتراوح قيم المعامل بين صفر ومائة حيث يمثل الصفر الدمج الكامل وتمثل المائة العزل الكامل.

يعرض الجدول رقم (3) معامل عدم التشابه حسب النوع لإحصاءات أعوام 1964 و1973 و1980 و1984 لثلاثة تصنيفات مختلفة حيث يمثل الصنف الأول مجموع الأفراد العاملين في بعض المهن الرئيسية، ويمثل الصنف الثاني مجموعة الأفراد العاملين في مهن تفصيلية، بينما يمثل الصنف الثالث مجموعة الأفراد داخل الفئات المهنية الرئيسية، ثم تم حساب معامل عدم التشابه للعاملين الذكور والإناث داخل بعض الفئات المهنية الرئيسية .

جدول رقم (3)

معدل العزل المهني حسب النوع لإحصاءات أعوام 1964، 1973، 1984 والنتائج النهائية لحصر القوى العاملة 1980 لثلاثة مستويات قياسية

	D1964	D1973	D1980	D1984
المهن الرئيسية	24.3	51.1	40.8	24.6
مهن تفصيلية	61.5	45.6	48.6	45.6
الفنيون	77.0	63.8	37.6	41.5
الكتبة والموظفون	97.4	99.6	75.0	71.6
البائعون	98.6	99.4	98.4	81.9
العاملون بالخدمات	88.3	83.0	57.2	83.8
العاملون بالإنتاج	76.8	97.0	97.1	94.2

* يعد هذا المعامل من أكثر المقاييس استخداما لتخصيص عدم التشابه ككل بين المجموعات. ويستخدم خاصة لوصف العزل المهني حسب النوع واستخدمه كل من دنكن 1955، وجروس 1968، ووليامز 1979، ويبلر 1984. ويفسر على أساس نسبة النساء (أو الرجال) الذين عليهم تغيير وظائفهم لتطابق التوزيع المهني للنوع الأخر (المزيد من المعلومات راجع محمد المطلوب1991) .

توضح نتائج الجدول إنه عندما استخدمت المهن التفصيلية وحدة تحليل أصبح العزل المهني حسب النوع واضحا، وأنه عندما استخدمت المهن الرئيسية مثل " الفنيون " و"الكتبة" و"البائعون" ... إلخ وحدة تحليل، أصبح مستوى العزل كبيرا، وعلى وجه الخصوص في عامي (1973 D: 1. 51، D1980: 48.8). وعليه، فإن النساء تركزن بكثرة في مهن الفنيين والموظفين - الكتبة - والخدمات، بينما تركز الرجال في مهن البيع والإنتاج. علاوة على ذلك، نجد أنه داخل المهن الرئيسية وظف كل من الذكور والإناث في مهن منعزلة، فعلى سبيل المثال، نجد أن 47% من العاملات كن في الوظائف الفنية في عام 1980 وعمل 37% منهن مدرسات و9% في مهن ذات علاقة بالصحة مثل الممرضات ومساعدات الممرضات ... الخ بينما عمل 35% منهن في الأعمال الخدمية.

يمكن اكتشاف العزل المهني داخل الفئات المهنية الرئيسية عند فحصنا للفئات المهنية المفصلة، فعند أخذنا لهذه الفئات بوصفها وحدة تحليل، نجد أن درجة العزل تزداد حيث نجد أنه في عام 1964 كان المعامل يساوى 61.5، لكنه أنخفض إلى 45.6 في عام 1973، ثم ارتفع إلى 48.6 في عام 1980، وعاد لينخفض مرة أخرى إلى 45.6 في عام 1984، كذلك توضح البيانات أن هناك عزلا مهنيا حسب النوع داخل كل فئة مهنية رئيسية، فمثلا داخل فئة الموظفين كان أغلب الرجال يعملون كتبة وماسكو دفاتر وأمناء سر وما إليهم، بينما توظف النساء طابعات وكاتبات اختزال، وإلى جانب ذلك نجد أنه داخل المهن المفصلة غالبا ما يقوم كل من الرجال والنساء بنوع مختلف من العمل. ففي بعض الحالات يكون التميز راجعا إلى التخصص، والمثال على ذلك إن المهندسات مثلن أقل تمثيل في المهن الفنية والتقنية .

تعكس التغيرات في البناء المهني للقوى العاملة تغيرات في بناء القطاعات الاقتصادية يوضح الجدول رقم (4) أن العنصر النسائي يهيمن على قطاع الخدمات خلال فترة العشرين عاما حيث نجد أن نسبتهن ازدادت بسرعة وثبات. ومن جهة أخرى نلاحظ أن العنصر الرجال موزع بطريقة متساوية نوعا ما - خلال بناء القطاعات الاقتصادية، ولكن يبين الجدول ظاهرة ملفتة للنظر هي أن النساء مثلن تمثيلا كبيرا في قطاع الصناعات التحويلية في عام 1964، لكن ذلك أنخفض في الأعوام التالية. يمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى دخول المرأة المبكر لصناعة الغزل والنسيج. إن المعدل الكلى لمعامل عدم التشابه يوضح أنه في عام 1964 كان على حوالي 38% من النساء العاملات أن يغيرن وظائفهن في القطاع حتى يمكن الحصول على توزيع متواز للأفراد بين القطاعات. بينما كان على حوالي 42% أن يغيرن وظائفهن في عام 1973، وانخفض الرقم بعد ذلك إلى حوالي 34% في عام 1980، إلى 15% في عام، 1984. [22] اعتقد أن هذا المعدل سيكون أكبر إذا توفرت لدينا معلومات عن الأقسام الاقتصادية المفصلة.

جدول رقم (4) توزيع العاملين حسب النوع وأقسام النشاط الاقتصادي 1964، 1973، 1980، 1984

1984			1980			1973			1964		
!d!	أ	ذ	!d!	أ	ذ	!d!	أ	ذ	!d!	أ	ذ
1.80	266	10568	1.7	78	4555	2.2	87	8148	4.8	52	11575
1.0	3897	30109	5.6	1190	19933	6.0	1510	11510	30.0	7784	18763
1.68	328	10365	3.8	385	11244	2.5	64	8353	2.0	66	5571
2.18	413	13347	4.2	282	11497	10.5	45	31138	12.1	170	29876
2.17	4776	39812	10.8	793	30154	10.2	156	30318	9.6	209	24605
-	-	-	0.3	195	1735	0.4	50	1966	-	-	-
6.15	1729	41116	7.1	1230	23625	12.9	207	41572	-	-	-
0.40	1480	6987	0.4	930	5949	0.3	194	4856	-	-	-
14.9	69139	345470	33.8	38485	30660	35.9	12486	137363	4.6	4624	73033
0.0	1	30	0.0	27	209	3.9	158	1405	3.9	3809	42441
30.61	82029	497804	67.7	43595	239661	84.8	14957	289356	75.8	16829	227317
15.31			33.9			42.4			37.9		

* شملت هذه الفئة المطاعم والفنادق .

الخـلاصـــة

من خلال العرض السابق، يتضح أن اكتشاف النفط أدى إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية في المجتمع العربي الليبي، ولعبت دورا هاما في وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي، ومن خلال التحليل الوصفي لوضع المرأة الليبية في سوق العمل نجد أن مشاركتها ازدادت بسرعة منذ عام 1973، وفى الوقت ذاته ما تزال مشاركتها ضئيلة بالمقارنة مع المرأة العاملة في مجتمعات مماثلة من حيث المستوى الاقتصادي، وأخرى اكثر منها تقدما. كما يوضح التحليل الوصفي أن النساء الليبيات يتركزن في مهن معينة مثل التدريس والتمريض والطباعة ... الخ وفضلا عن ذلك أوضحت هذه الورقة أن هناك عزلا مهنيا حسب النوع في معظم المهن في بنية القوى العاملة الليبية، وان المرأة الليبية لم توظف إطلاقا في مهن بحيث يمكنها الإشراف على الرجال مثل مديرة مصرف رئيسي أو مهندسة حقل. أما إذا كلفت بأعمال تحتاج لإصدار أوامر أو اتخاذ قرارات فإنها تشرف على نساء أو رجال أقل منها مستوى تعليميا.

إن وجود هذا النمط يرجع إلى عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية ومن العوامل التي أدت إلى انخفاض مشاركة المرأة في سوق العمل نقص مستوى تعليمها، والتنشئة الاجتماعية التي تحث المرأة على أن تضع أسرتها في المرتبة الأولى من اهتماماتها، وإعطاء أهمية ثانوية للعمل. فإذا اختارت العمل انخرطت في وظائف مقبولة اجتماعيا لا تعارض مع واجباتها المترلية. ولكي يستفيد المجتمع من جميع أفراده في إنجاح الخطط التنموية وتحقيق التقدم، فإن على صانعي القرار وواضعي الخطط التنموية تشجيع مشاركة المرأة في العمل، وإقحامها في القوى العاملة ودمجها في سوق العمل، يتسنى لها الإسهام في تطور المجتمع وتنميته اقتصاديا، والتقليل من الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية .

الهـوامـش

1) النتائج النهائية للتعددات السكانية أعوام 1964 - 1984 .

2) استبعدت البيانات الخاصة بالقوى العاملة للزراعة وذلك لأسباب منهجية. لمزيد من المعلومات انظر محمد عبد المطلوب 1991 المشاركة في القوى العاملة والتوزيع المهني والإحراز المهني للمرأة الليبية ص 45 .

3) انظر دراسات يخمين هبرنز 1958، د هوفمان 1964، وفيرست 1974 .

4) الفتحلى وبالمر. التنمية السياسية والتغيرات الاجتماعية في ليبيا ص 21 .

5) على عتيق (تأثير النفط على الأراضي الزراعية في ليبيا) 1973 .

6) على الهونى 1978 .

7) د. مصطفى التير، التنمية والتحديث 1980 .

8) ليبيا الثورة في عشرين عاما .

9) أمانة التخطيط: خطة التحول الاجتماعية والاقتصادية 1985 .ص 25.

10) انظر الفتحلى 1980 والشلى 1980 .

11) فريدة العلاقى المرأة الليبية في التحول مجلة القلم العدد 49812 ص 33 - 37

12) ديب وديب "ليبيا منذ الثورة" مظاهر التنمية السياسية والاجتماعية ص 73 - 75

13) للأسف لم احصل على إحصاءات خاصة بتعليم المرأة صادرة بعد الإحصائية الواردة في هذا البحث .

14) قانون العمل الليبي الصادر في عام 1969 .

15) مصطفى التير. مصدر سابق .

16) انظر الهونى 1978، وهاندر سون 1984 .

17) ليبيا الثورة في عشرين عاما .

18) ديب وديب - مصدر سابق ذكره ص 67 - 68 .

19) داود. تقويم لدراسات ومنشورات تتعلق بعمل المرأة .

20) انظر مصطفى التير - مصدر سابق، وكذلك نادية يوسف .

21) بركس وسنكلير " القوة البشرية العربية: أزمة التنمية " ص137 .

22) تم دمج بعض القطاعات في إحصاء عام 1984 واعتقد انه أثر في تلك النسبة بمعنى أخر، لو اتبع التصنيف السابق نفسه، فإن هذه النسبة ربما تكون قريبة من النسب السابقة، أو أعلى منها .

المـراجـع المصادر

1 - العـــربـــية :

- التير، مصطفى. التنمية والتحديث: نتائج دراسة ميدانية في المجتمع الليبي. طرابلس معهد الإنماء العربي 1980 .
- داود، ليلى. "تقييم لدراسات ومنشورات تتعلق بالمرأة العربية" ورقة مقدمة إلى ندوة المرأة العربية في المجتمع العربي، بنغازي جامعة قاريونس 1989 .
- أمانة التخطيط "النتائج النهائية لحصر السكان لعام 1973". مصلحة التعداد والإحصاء، طرابلس 1980 .
- أمانة التخطيط "تقييم القوى العاملة خلال خطة التنمية الخمسية 1981-1985" طرابلس مكتب التعداد والإحصاء 1985 .
- أمانة التخطيط "النتائج النهائية لحصر السكان لعام 1984" مصلحة التعداد والإحصاء 1994 .
- أمانة التعليم. دراسة تاريخية عن تطور التعليم. طرابلس 1983 .
- وزارة التخطيط "النتائج النهائية لإحصاء السكان". طرابلس مكتب التعداد والإحصاء 1964 .
- وزارة التعليم. "تعليم المرأة في الجمهورية العربية الليبية" طرابلس مكتب التخطيط العام والمتابعة 1975 .

2 – الأجنبيـــــة :

- Abdulmatlub, Mohammad. "Labor force participation, occupational distrion and occupational attainment of women in Libyan Arab Jamahiriya" 1991.

- Allagi, Farida. "On Libyan women: the Libyan women in Transition" Al Qalam, 2: 33 - 37, 1981.

- Attiga, Ali "The Economic Impact of Oil on Libyan Agriculture". in 9.18 .London: Frank Cass, 1973.

- Attir, Mustafa. "Ideology, Value changes, and women's position in Libyan Society" pp.125 - 133 In "women and the Family in the Middle ast .New vcices of Change. E .Ferha (ed) Austin :Univ. of Texas Press, 1985 .

- Henderson, Dore. "Libyan women and Their place in the Revolution in Libya". pp .77 - 86 In the Vi - li 0 fied Revolution. Themba Sono (ed). Mavylan. Progress press. 1984.

الأثر النقودي من المديونية

دراسة حالة الأردن

□ د. عبد النافع عبد الله سليم الززي

❖ أستاذ مشارك

❖ كلية العلوم الإدارية والمالية

❖ قسم العلوم المالية والمصرفية

❖ جامعة فيلادلفيا

❖ الأردن

المقدمـــــة

إن مشكلة الدين الخارجي في الدول النامية تنبع من مجموعتين رئيسيتين من الأسباب، الأولى: بسبب ظهور الاختلالات الداخلية، والثانية: أن حجم القروض قد اتسعت بشكل كبير، ويرتبط هذان العاملان ارتباطا وثيقا فيما بينهما، وهنا لابد لأغراض التحليل أن نميز بين المجموعة الأولى من الأسباب التي نشأت محليا من السياسات الاقتصادية والمجموعة الثانية ذات الأصل الخارجي. وبناء على ذلك سوف يقوم الباحث ببيان الأسباب الداخلية لأزمة الدين (وهو هدف البحث)، حيث يفترض الباحث أن من الأسباب الداخلية الرئيسة هي السياسات النقدية والائتمانية التوسعية.

إن النقوديين يؤمنون بأن نسبة النمو الثابت في حجم عرض النقد عند 3% أو 4% سنويا سوف يؤدى إلى التخلص من خطر عدم الاستقرار الاقتصادي وخاصة في الاقتصاديات الحديثة، كما أن التحول غير العقلاني والمفاجئ في السياسة النقدية يؤدى إلى الانفجار في عرض النقد ومن ثم إلى عدم الاستقرار، وبالعكس فإن نمو عرض النقد بما يتناسب مع نسبة النمو في الناتج القومي سوف يؤدى إلى استقرار الأسعار[1]. ولأن زيادة حجم الطلب الكلى بما يفوق القدرة الإنتاجية يؤدى إلى زيادة الاستهلاك وضعف القدرة على الادخار لتمويل الاستثمارات المطلوبة، حيث تظهر الفجوة في الادخار وتلعب الزيادة في حجم النقد والائتمان المحلى دورا مهما فى زيادة حجم الطلب النقدي، وفى ظروف واعتبارات معينة يوجه الائتمان لأغراض غير إنتاجية وهذا بالتأكيد سوف يؤدى إلى ظهور الضغوط التضخمية، ولمعالجة هذه الفجوة تلجأ الدول النامية في ظل تلك الاعتبارات إلى الاقتراض الخارجي لسد هذه الفجوة، ولما كانت المشكلة التي تعانى منها اقتصاديات الدول النامية هي نقص العملات الأجنبية والعجز الكبير في ميزان المدفوعات والذي يحد من قدرة القطاعات الإنتاجية في توفير السلع فأن السبيل إلى مواجهة تلك المشكلة

هي الاقتراض باعتباره الوسيلة السهلة والقصيرة الأمد. وهنا يؤكد الباحثان افتراضهما أن السيولة النقدية الزائدة ستؤدى حتما إلى زيادة التضخم وزيادة الاقتراض الخارجي وهذه هي الصلة النقدية التي سبقت الإشارة إليها .

لقد بينت الدراسات الاقتصادية أن السياسات التي تبعتها معظم البلدان النامية لم تؤد إلى حل مشكلة الدين الخارجي، وتجدر الإشارة إلى عدم وجود معيار واحد يقاس به الدين الخارجي والاعتماد عليه للتعرف على مستوى معين من المديونية فيما إذا عد مفرطا أو معقولا، ويبدو واضحا في حالة "أمريكا اللاتينية" خطورة مشكلات الدين مهما كان المؤشر المستخدم، ففي "المكسيك" و"الأرجنتين" بلغ مجموع الدين 66% من الناتج المحلى الإجمالي، وفي "البرازيل" بلغ 44%. إن المشكلة هي ليست فقط حجم الدين سواء المطلق أو بالنسبة للناتج المحلى الإجمالي وإنما هي فيما إذا أمكن خدمته ،وهذا يعنى مقارنة بين التزامات خدمة الدين (سداد أصل الدين والفائدة) وصادرات السلع والخدمات، وتظهر الصورة أكثر تعقيدا إذا علمنا أن البرازيل تحتاج 89% من صادراتها لخدمة دينها الخارجي في عام 1982، والأرجنتين 68%، والمكسيك 57% [2]. وهنا لا يختلف الحال كثيرا بالنسبة للأردن فقد بلغ مجموع أجمالي الدين الخارجي في عام 1986 (40165350) مليون دولار، بينما بلغ أجمالي الدين للأردن في عام 1980 (1729200) مليون دولار، ومن جهة أخرى فقد بلغ الناتج المحلى الإجمالي للأردن (بسعر السوق) في عام 1980 (32,629,545) مليون دولار، وفي عام 1986 (57,642,485) مليون دولار. وهنا نلاحظ أن مجموع الدين الخارجي في عام 1980 بلغ حوالي 53% من الناتج المحلى، بينما أصبحت هذه النسبة في عام 1986 (71%)[3]. وهذا يوضح أن البلدان النامية ومنها الأردن غير قادرة على تخفيض وارداتها من اجل تشغيل اقتصادها بشكل فعال، وهذا يوضح خطورة الوضع بالنسبة لمستقبل الاقتصاد الأردني.

إن تفاقم حجم المديونية الخارجية في البلدان النامية له أثاره الخطيرة جدا على وضع ومستقبل التنمية في البلدان وبخاصة البلدان النامية الفقيرة بالموارد

الاقتصادية. وبسبب توسع حجم الديون الخارجية في البلدان النامية فقد أصبحت مشكلة تخصيص الموارد (Allocation of Resources) مسألة معقدة أكثر من السابق بالنسبة للعديد من الأقطار العربية إذ أصبحت تلك العملية لا تنطوي على الموازنة التقليدية بين ما يخصص للاستهلاك وما يخصص للتراكم الرأسمالي بل أصبحت عملية لها بعد ثالث وجديد فالموارد المتاحة للاقتصاد القومي يصبح من الواجب تخصيصها لثلاثة اوجه رئيسية :

أ – الوفاء بحاجات الاستهلاك الخاص والعام (مخصص الاستهلاك).

ب – الوفاء بالتزامات خدمة الدين الخارجي (مخصص أهلاك الدين الخارجي) .

ج – الوفاء بحاجات التنمية والإنفاق الاستثماري (مخصص التراكم). وفى حالات عديدة يكون لمخصص الاستهلاك وإهلاك الدين الخارجي الأولوية الملحة عند تخصيص الموارد القومية المحدودة بحيث يصبح مخصص التراكم تحت رحمة ما قد يفيض من موارد بعد الوفاء بحاجات الاستهلاك وخدمة الدين الخارجي وبذا تصبح عملية التنمية طويلة الأجل معرضة للنكسات نظرا لابتلاع جانب هام من الموارد الاقتصادية في سَد حاجات الاستهلاك الجاري وخدمة الدين الخارجي [4] .

وتجدر الملاحظة أن جميع الدراسات التي تمكن الباحث من الإطلاع عليها تشير إلا أن سبب المديونية وحجم الاقتراض يقرره دائما العلاقة بين الاستهلاك الكلى والناتج المحلى الإجمالي من جهة ومعدلات الاستثمار والادخار من جهة ثانية[5]. ولم تتطرق تلك الدراسات تحليلا إلى الأثر النقودي في المديونية، ولهذا تكتسب هذه الدراسة أهميتها من حداثة الموضوع وأهميته ولهذا فالسؤال الذي يطرح في هذا المجال. هل هناك تأثير للتغيرات النقدية في المديونية؟ ما هو مدى هذا التأثير .

إن هذه الدراسة وموضوعها "الأثر النقودي في المديونية" دراسة حالة الأردن في الفترة 1980 – 1989، تحاول الإجابة على هذا التساؤل وذلك في أربعة أقسام، حيث نتعرض في القسم الأول إلى الإطار الفكري الذي يتناول

النظريات الاقتصادية المختلفة في تفسير التأثيرات النقدية على النشاط الاقتصادي، حيث يضع الباحث في الاعتبار ربط التحليل النظري بالواقع التجريبي خلال فترة الدراسة، أما القسم الثاني فيتناول عرض النقد والعوامل المؤثرة فيه في الاقتصاد الأردني القسم الثالث فيبين التوازن النقدي في الأردن، وفي القسم الرابع سنتناول بالتحليل العلاقة بين السيولة النقدية المحلية والمديونية من خلال إجراءات الدراسة، ثم عرض النتائج ومناقشتها .

القسم الأول: الإطار النظري

ليس من السهولة أن نلخص موقف كل مؤيدي النظرية الكمية الحديثة وهذا يعود إلى أن موقف النقوديين حالة مثل حال موقف اقتصادي ما بعد "الكينـــزية" قد تأسس عبر السنين من قبل مجموعة من العلماء الاقتصاديين الذين على الرغم من أنهم في اتفاق عام بخصوص الدور الرئيسي للنقود في الاقتصاد فأنهم يختلفون في عدة طرق مؤدية إلى التفاصيل وإلى وصفات محددة للسياسة الاقتصادية.

إن المعتقدات الأساسية التي يشترك بها كل النقوديين المحدثين تتضمن ما يأتي[6] :

1) عرض النقود (Money supply)، حيث يعتقد النقوديون أن عرض النقود هو المقرر المهيمن وليس الشامل لكل من مستوى الإنتاج المادي ومستوى السعر في المدى القصير ومستوى الأسعار في المدى الطويل. إن مستوى الإنتاج المادي في المدى الطويل أخذ على أنه لا يتأثر بعرض النقود ولكن معتمد بدلا من ذلك على عناصر حقيقية مثل التقنية وكمية ونوعية الموارد الإنتاجية .

ولكن كيف يكون عرض النقود هو المقرر المهيمن وغير الشامل؟ حسب وجهة نظر " ليونال أندرسن " (Leonall C.Anderson) فإن المقترح الرئيسي هو أن التغيرات في عرض النقود تهيمن على الـــتأثيرات قصيرة المدى الأخرى على الإنتاج، وعلى التأثيرات طويلة المدى الأخرى على مستوى السعر والطلب الكلى [7].

وبعبارة قصيرة نقول على الرغم من أن العناصر الأخرى غير عرض النقود

يمكنها أن تؤثر على مستوى (GNP) في المدى القصير، فأن مثل هذه الآثار تخضع إلى التأثيرات التي يفرضها عرض النقود. فالنقوديون يقررون أن التغير في عرض النقود يسبب ارتفاع مستوى السعر أو مستوى الإنتاج في المدى القصير، وفى المدى الأبعد فأن تأثير التغيير في عرض النقود ينصب كليا على الأسعار .

إن هذا الموقف يبدو متجاوزا كثيرا لمناقشات المدرسة الكينـــزية (Keynesian school) التي تؤكد بان فخ السيولة يبطل تأثيرات التغيرات في عرض النقود إن هذا يفترض ليس فقط أن التغيرات في عرض النقود تعمل دائما (بمعنى أنها تؤثر دائما على الطلب الكلى في نفس الاتجاه)، ولكن أيضا أن تلك التغيرات هي السبب المهيمن في أي تغيير في الطلب الكلى .

2) أن التغيرات في عرض النقود تؤثر في الطلب الكلى من خلال تأثيرها على مدى من الأصول أوسع مما موجود في النظرية " الكيترية ". يشعر النقوديون أن النظرية تتضمن آلية تحويل ضيقة بين عرض النقود والتغيرات في الطلب الكلى، وبصيغة أكثر تحديدا نقول عنه في النظام الكيترى (Keynesian system) فان الزيادات في عرض النقود يمكن أن تنفق على السندات وبذلك تخفض معدلات سعر الفائدة والذي يؤدى في النهاية إلى السماح بزيادة النفاق الاستثماري (Investment Spending) وذلك لانخفاض كلفة الاقتراض (Cost of borrowing) .

أما موقف النقوديين بأن الزيادة أو الإضافة إلى الأرصدة النقدية (Money Balances) الناتجة من الزيادة في عرض النقود (Money Supply) سوف تقود إلى الأنفاق على مدى أوسع من الأصول (assets) وليس مدى من السندات فقط التي احتواها النموذج الكينـــزى .

يقول "ملتون فريمان": "إن محاولة الأفراد الذين يحتفظون بالنقود في تحديد ميزانية أرصدتهم المرغوبة بعد زيادة غير متوقعة في كمية النقود سوف تؤدى إلى رفع أسعار الأصول (Price of assets) أو الأرصدة وتخفيض معدلات سعر

الفائدة التي سوف تشجع الأنفاق لإنتاج أصول جديدة والأنفاق على الخدمات الجارية أكثر مما ينفق على شراء الأصول الموجودة. هذه هي كيفية ترجمة التأثيرات الأولى على ميزانية الأرصدة إلى التأثير على الدخل والأنفاق. إن الاختلاف بيننا وبين الكيتزيين هو أقل في طبيعة العملية مما هو في مدى الأصول (Range of assets) الداخلة في الاعتبار فالكتزيون يميلون إلى التركيز على مدى ضيق من الأصول التي يمكن أن يتم التعامل بها في السوق ومعدلات سعر الفائدة المسجلة. نحن نؤكد ونلح بأن ثمة مدى أوسع بكثير للأصول ولسعر الفائدة يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار ومثل تلك الأصول السلع الاستهلاكية المعمرة وشبه المعمرة والهياكل وملكيات حقيقية أخرى، وبالنتيجة نحن نعتبر معدل السوق الذي أكده الكيتزيون جزءا صغيرا منه الحزمة الكلية للمعدلات المناسبة أو الملائمة [8].

3) السياسة المالية (Financial Policy) بدون تغييرات في عرض النقود لها تأثير قليل أو تأثير معدوم على الطلب الكلى أو على مستوى الناتج القومي. إن هذا المقترح جاء نتيجة منطقية للمقترح الأول المذكور أنفا. فإذا كان على الحكومة رفع أنفاقها أو تخفيض الضرائب وتمويل عجز الميزانية من خلال بيع السندات الحكومية إلى الجماهير أي غير القطاع المصرفي .

وعرض النقود بقى بدون تغيير، فان مثل هذه الإجراءات ضمن السياسة المالية سوف يكون لها تأثير ضئيل أو لا يكون لها تأثير على الطلب الكلى، وهذا ما يقوله النقوديون. إن هذا الاستنتاج المتطرف بأن السياسة المالية ذاتها هي سياسة عقيمة يبدو أن فريدمان أول من وصل إليه .

إن حالة الميزانية ذاتها تشير إلى الضرائب أو التغيرات في الأنفاق الحكومي التي لا ترافقها تغيرات في عرض النقود. ولمتابعة السببية لهذه الحالة كما هي مطبقة على تخفيض الضرائب مع عجز (deficit) ممول عن طريق بيع السندات الحكومية للجمهور. إن مثل هذه الحركة المالية سوف تستهدف رفع الطلب الكلى. وطالما أن هذه الحركة لا تتضمن زيادة في عرض النقود فإن الطلب الكلى (Mvy) يمكن

أن يزداد فقط إذا أدى النشاط المالي إلى رفع سرعة تداول النقود (Velocity) بطريقة ما. في أبسط صيغ النظام الكنيزى نجد أن ارتفاع سرعة تداول النقود قد جعل ممكنا بوساطة وجود أرصدة مضاربة نقدية عاطلة فعندما يزداد أنفاق المستهلك نتيجة تخفيض الضرائب فإن الدخل يرتفع، وهذا يؤدى إلى رفع الطلب على النقود والذي بدوره يزيد معدل سعر الفائدة. وارتفاع معدلات سعر الفائدة عندئذ تسحب جزءا من عرض النقود الموجود خارج موزانة الأصول إلى ميزانية المعاملات (Transaction Balances) حيث تنفق. إن المعدل الأعلى لسعر الفائدة فـــي الحقيقة يقلل الأنفاق الاستثماري، وبذلك يقلل جزئيا الآثار التوسعية (Expansionary Effect) للسياسة المالية. ولكن (ميلتون فريدمان) لا يقبل هذا الخط من السببية، فهو يرى أن تخفيض الضرائب سوف يقود إلى زيادة أولية في أنفاق المستهلكين وهذا ما أسماه (فريدمان) بالجولة الأولى وتأثير هذه الجولة مرغوب. ولكن حسب وجهة نظر (فريدمان) فإن آثار الجولة الثانية وهى الزيادة فـــي معدل سعر الفائدة الذي حفز بتمويل العجز بأسلوب لا يخلق نقودا جديدة (New Money) سوف يؤدى إلى تعطيل كل أو معظم الإنجازات التي حققتها الجولة الأولى للسياسة المالية .

لقد كان يعتمد قبل عدة أعوام على وضع الجولة الثانية وهى زيادة معدل سعر الفائدة يعوض أو يلغى أو يطرد (Crowd out) الآثار المرغوبة للجولة الأولى اعتمادا على الإيمان، أو الاقتناع أن منحنى الطلب على النقود كان عديم المرونة تماما (Perfectly inelastic). ولكن ظهرت الدلائل التجريبية (empirical evidence) التي بينت أن الطلب على النقود يرتبط سلبا بمعدل سعر الفائدة. يقول ليدلر (D. Laidler) أن ثمة دلائل جديدة تؤكد المقترح وتؤيده في أن الطلب على النقود يرتبط بمعدل سعر الفائدة بعلاقة مستقرة سالبة، وهذه القضية من بين القضايا في الاقتصاد النقدي تبدو أنها قد رسخت أو قررت بشكل حاسم أو قاطع [9].

إن هذه النتائج التجريبية ذات أهمية كبيرة. فإذا تغيرت سرعة تداول النقود فعلا مع معدل سعر الفائدة، فإن التغيرات النقدية ليست بالضرورة هي النافذة

الوحيدة لتغيير مستويات الدخل. وان السياسة المالية أيضا يمكن لها أن تلعب دورا. ولكن فريدمان يبدو غير مقتنع بهذه الدلائل حيث أكد في رده أنه لا يرى أية قضية أساسية سواء فـــي النظرية النقدية (Monetary theory) أو السياسة النقديـــة (Monetray policy) تتوقف على مسألة اعتماد الطلب على النقود على معدل سعر الفائدة. فهو يعزى الجولة الثانية المتوقعة وهى تخفيض الأنفاق إلى حقيقة مفادها أن فئات الأنفاق المتأثرة بالتغيرات في معدل سعر الفائدة أوسع بكثير من تكوين رأس مال الأعمال وبناء المنازل وتراكم الخزين التي حددتها الكيترية الجديدة بوصفها حدود الاستثمار [10].

ولكن ثمة اتفاق عام بين النقوديين واقتصاديين ما بعد الكينـــزية على عدد من الأمور :

1) إن التغييرات في عرض النقود لها فعلا تأثيرا مهم جدا على الناتج القومي الإجمالي.

2) ليس هناك أية دلائل تدعم مقترح كيتر أن منحنى الطلب على النقود عند بعض المستويات المنخفضة لسعر الفائدة ربما يصبح تام المرونة ليس هناك دلائل تشير إلى وجود فخ السيولة.

3) على الرغم من أن الكمية المطلوبة من النقود تزداد فعلا كلما أنخفض معدل سعر الفائدة فإن درجة المرونة صغيرة .

4) مزيدا من الاهتمام يجب أن يمنح إلى معدل نمو المتغيرات النقدية الكلية مثل عرض النقود أكثر مما كان الوضع في الفترات السابقة .

القسم الثاني: عرض النقود والعوامل المؤثرة في الاقتصاد الأردني

تطور عرض النقد :

إن الاختلاف قائم بصدد تعريف عرض النقد، فحين تقتصر مكوناته على العملة في التداول والودائع الجارية فقط، فقد يشمل أيضا من وجهة نظر أخرى على ودائع التوفير والزمنية وأنواع أخرى من الموجودات النقدية، وقد يحتسب عرض النقد في فترة زمنية محددة أو كمعدل خلال فترة معينة وفى جميع الحالات فان ذلك يتوقف على العرض الذي يطلب التوصل إليه في ضوء العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية التي تتضمنها المعادلات المعتمدة في التحليل .

وهنا نوضح أن المفهوم الواسع لعرض النقد يعتبر أكثر شمولا في المجتمع الاقتصادي من المفهوم الضيق، ولهذا فسيتم اعتماده في التحليل .

ويتكون عرض النقد من فقرتين رئيسيتين هما :

1 - عرض النقود بالمفهوم الضيق (ع1) ويشمل العملة في التداول زائدا الودائع الجارية (ودائع تحت الطلب)، حيث تتكون من ودائع القطاع الخاص المقيم زائدا الودائع الحكومية (ودائع البلديات والمؤسسات العامة) .

2- شبه النقد، ويتكون من ودائع القطاع الخاص المقيم وودائع البلديات والمؤسسات العامة.

وبجمع الفقرتين (1، 2) نحصل على عرض النقد (ع 2) بمفهومه الواسع ومن خلال متابعة التغيرات في عرض النقد للفترة (1980 - 1989) كما في جدول (1) التالي:

جدول رقم (1)

تطور عرض النقد في الأردن 1980 – 1989

السنوات	النقد المتداول	الرقم القياسي	ودائع تحت الطلب			الرقم القياسي	أ : جـ %	3:1 %	عرض النقد ص 3-2+1	شبه النقد			الرقم القياسي	عرض النقد ص 2 (0)	4:5 %
			القطاع الخاص المقيم	الحكومية (ب)	المجموع (أ+ب)					القطاع الخاص المقيم (أ)	الحكومية (ب)	المجموع جـ = (أ+ب)			
1980	351 628	100	218 854	24 289	243 143	100	59 65	59 11	594 771	361 718	28 278	389 996	100	984 767	39 60
1981	412 309	137	272 008	17 339	289 347	119	94 01	58 76	701 606	434 388	43 836	478 224	123	1179 880	40 53
1982	469 980	134	296 354	21 169	317 523	131	93 33	59 68	787 503	507 032	28 812	615 844	158	1403 347	43 88
1983	516 084	147	325 030	28 339	353 369	145	91 98	59 35	896 417	710 379	35 343	745 722	191	1615 139	46 17
1984	530 523	151	325 855	22 013	347 868	142	93 67	60 40	878 391	843 945	35 326	879 271	225	1757 662	50 02
1985	531 793	152	292 640	23 789	316 429	130	92 48	62 70	848 222	981 765	44 865	1026 630	263	1874 850	54 75
1986	583 866	166	299 915	13 316	313 231	129	95 74	65 10	897 097	1125 081	50 245	1175 326	301	2072 423	56 71
1987	655 779	186	312 705	11 319	324 024	133	96 50	66 93	979 803	1351 249	41 104	1392 353	357	2372 156	58 69
1988	811 160	231	344 438	11 160	355 598	146	96 86	69 52	1156 758	1402 833	56 852	1459 685	374	2626 443	55 57
1989	826 798	236	345 219	10 978	356 197	147	96 91	69 90	1182 995	1428 978	71 492	1498 470	384	2681 465	55 88

الودائع تحت الطلب = الودائع لدى البنك المركزي + الودائع التجارية + الودائع لدى البريد + الودائع لدى بنك الاسكان .

يتضح أن العملة في التداول قد ازدادت وبشكل مطرد خلال سنوات الدراسة حيث ازدادت بنسبة 235% في عام 1989 مقارنة بعام 1980 (سنة الأساس) أما بالنسبة للودائع تحت الطلب فقد ازدادت بنسبة (174%) في عام 1989 عما كانت عليه في سنة الأساس وهذا يوضح تجاوز نسبة الزيادة في النقد المتداول على الودائع الجارية .

وهذا ما يبينه تركيب عرض النقد، حيث نلاحظ أن تركيب عرض النقد في الأردن يميل لصالح العملة في التداول إلى عرض النقد (ع 1) في عام 1980 حوالي (59 %) وأن هذه النسبة قد ازدادت بشكل متواصل حيث وصلت إلى نسبة حوالي 70% من ع1، وهذا يوضح تواضع العادات المصرفية والوعى المصرفي في الأردن، حيث يفضل الجمهور استعمال النقد السائل كمدفوعات في المعاملات الاقتصادية على استعمال الشيكات وهذا يتطابق مع الوضع النقدي .والمصرفي في معظم الدول النامية. وفى هذا المجال نلاحظ أن الودائع تحت الطلب للقطاع الخاص يمثل نسبة عالية من مجموع ودائع تحت الطلب في الأردن خلال فترة الدراسة، فقد كانت النسبة تمثل (59.65% في عام 1980، ارتفعت هذه النسبة مباشرة ومنذ عام 1981لتصل إلى نسبة 96.91%) عام 1989، وهذا يبين الدور الكبير الذي يلعبه القطاع الخاص في الحياة الاقتصادية الأردنية .

ومن جانب آخر يبين الجدول (1) نسبة النمو في عرض النقد (ع1) والذي أزداد بشكل كبير وسريع خلال فترة الدراسة (لاحظ الشكل 1) لقد كان ع1 في 1980 (594.771) مليون دينار وصل إلى مبلغ (1182.995) مليون دينار في شباط 1989. أي نسبة زيادة قدرها حوالي 99%. وإذا تفحصنا عرض النقد (ع 2) والذي أزداد أيضا بشكل كبير وسريع حيث بلغت نسبة الزيادة 272% عما كانت عليه عام 1980 نلاحظ أن هذه الزيادة الكبيرة في محتوى ع2 كان سببها الزيادة الكبيرة التي حصلت في شبه النقد، فقد أزداد شبه النقد بنسبة 384% في عام 1989 عما كان عليه في سنة الأساس وهنا نلاحظ أن نسبة مساهمة شبه النقد في ع2 قد ازداد بشكل واضح حيث كانت هذه النسبة (39.60) في عام 1980

وصلت إلى 44.58 في عام 1989 وهذا يبين أن أكثر من نصف عرض النقد (ع2) مكون من شبه النقد، والجدير بالذكر أن الودائع الزمنية للقطاع يمثل نسبة كبيرة من شبه النقد وبالتالي نسبة الودائع الزمنية (والتوفير والأجل) [11] .

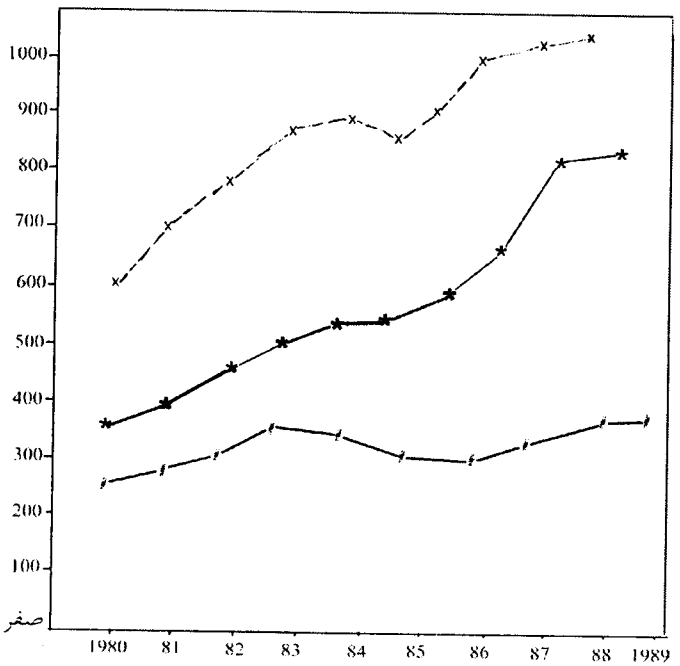

شكل رقم 1
يوضح نسبة النمو في عرض النقد

ومن جانب أخر تشير البيانات الإحصائية للبنك المركزي الأردني (CBJ) إلى العوامل التي تؤثر في عرض النقد بشكل مباشر [12]. والتي يمكن أن يستخدم لتحديد التأثير النقدي في أية معاملات اقتصادية أو تجارية .

إن موجودات ومطلوبات البنك المركزي الأردني (CBJ) تضم حسابات البنك المركزي وثروة الحكومة (الموجودات الأجنبية)، والبنوك التجارية ومؤسسات مالية، فجانب الموجودات يحتوى على الموجودات الأجنبية والتي تتكون من الموجودات لدى (CBJ) والبنوك التجارية ومن ضمنها الذهب وحسابات السندات وأذونات الخزانة وحقوق السحب الخاصة لدي صندوق النقد الدولي بالإضافة إلى ودائع بالعملة الأردنية لدى البنوك المحلية والمساهمة في المؤسسات المالية

المحلية وقروض وسلف إلى الحكومة المركزية وبنك الاستثمار العربي الأردني والبنوك التجارية ومؤسسات الإقراض المتخصصة والقطاع الخاص إضافة إلى الموجودات التي تتمثل بشكل سندات (الحكومة والمؤسسات العامة) وأذونات الخزينة وموجودات أخرى .

أما بالنسبة لجانب المطلوبات فتقسم إلى فئتين مطلوبات نقدية ومطلوبات غير نقدية .

إن المطلوبات النقدية هي التي تؤلف عرض النقد، والمطلوبات غير النقدية تشمل شبه النقد (الذي يتكون من الودائع الزمنية والودائع الادخارية، والودائع مقابل خطابات الضمان والاعتماد) بالإضافة إلى الودائع الحكومية وبند الموازنة والذي يتكون من (رأس المال والاحتياطي العام والمخصصات ومطلوبات أخرى).

إن الميزانية النقدية الموحدة تمكننا من تحديد عرض النقد فالحقيقة أن الزيادة في أجمالي الموجودات للجهاز النقدي سوف تؤدى إلى التوسع في عرض النقد والعكس صحيح .

أما بالنسبة للمطلوبات غير النقدية وبند الموازنة، فأن زيادتها ستؤدى إلى انكماش في عرض النقد، ولهذا فأن التغير في عرض النقد يمكن أن يعزى إلى التغيرات في عامل أو اكثر من العوامل التي تم الإشارة إليها آنفا [13] .

من الجدول (2) نلاحظ إن التغيرات في عرض النقد يمكن ربطه في عامل أو أكثر من العوامل التي سبق ذكرها. فنلاحظ خلال الفترة (1980 – 1988) أن عرض النقد ازداد بنسبة 9.61% هذه الزيادة يمكن ربطها بالزيادة التي حصلت في فئتين من الموجودات النقدية وهى :

ديون القطاع الخاص، وديون الحكومة، حيث ازدادت ديون القطاع الخاص خلال فترة الدراسة نحو (1419679) ألف دينار. أي بنسبة زيادة قدرها حوالي 246% كما أن الديون الحكومية قد ازدادت أيضا نحو (724000) ألف دينار أي

بنسبة زيادة قدرها 366% هذه الزيادة السريعة في كل من الديون الحكومية وديون القطاع الخاص عكست الانحدار الشديد لخط عرض النقد إلى جهة اليمين، كما ظهر في شكل (1) .

أما من جهة المطلوبات، فنلاحظ وبشكل عام أن المطلوبات غير النقدية ازدادت وبشكل متواصل خلال فترة الدراسة، حيث مارست تأثيرا انكماشيا من عرض النقد، وهذا كان نتيجة للتحول الذي حصل في ودائع التوفير والأجل (خاصة بالنسبة للقطاع الخاص)، حيث ازدادت نسبة 139.077% خلال فترة الدراسية، بالإضافة إلي المطلوبات الأجنبية حيث بلغت الزيادة نسبة 134.672% خلال نفس الفترة.

مما سبق من نتائج كما بينتها الميزانية النقدية الموحدة للجهاز المالي، تؤكد على عاملين نقديين مهمين وهما: الديون الحكومية وديون القطاع الخاص .(*)

إن النتائج السابقة تظهر بوضوح وجود علاقة خطية بين عرض النقد وكل من ديون الحكومة وديون القطاع الخاص، أن الارتباط الخطى المتعدد يوضح هذه العلاقة إحصائيا .

$$MS = f(CG, CP).$$

$$MS = a + B_1 CG + B_2 CP + U... \qquad (1)$$

عندما يكون:

MS is the M^{11}

CG is Claim on Government

CP is Claim on Private Sector

U represent the error term

وبالاعتماد على البيانات الموجودة فى الجدول (2) تم الحصول على النتائج التالية :

$$MS = 527.256 + 0.429\ CG + 0.128\ CP \ldots \textbf{(2)}$$

$$(9.454)\ (2.782)\ (1.813)$$

$$R^2 = 0.91$$

$$S.E=57.317$$

لقد كان التقدير كما توقعه الباحثان، حيث كان الارتباط عالي بين المتغيرين المستقلين (الديون الحكومية، وديون القطاع الخاص) مع المتغير التابع (عرض النقد). أن معامل التحديد (R^2) بين اكثر من 90% من الاختلافات الكلية في عرض النقد يمكن تفسيره عن طريق المتغيرين المستقلين المذكورين. كما أن قيمـــة (T2) تشير إلى أن جميع المتغيرات في المعادلة هي هامة من الناحية الإحصائية، كما أن نمط معاملات الانحدار الجزئية تبين أن الديون الحكومية تساهم بنسبة أعلى من ديون القطاع الخاص في تغيرات عرض النقد. وقد توضح من خلال تقييم الأهمية النسبية للمتغيرات المستقلة.

حيث بلغ معامل تحديد R2 بين MS وCG (الديون الحكومية) (0.85579) بعد إسقاط المتغير CP (ديون القطاع الخاص) من المعادلة أعلاه، ونلاحظ هنا أن نسبة الانخفاض بلغ (أكثر من مستوى المعنوية5%) لذلك يمكن اعتبار متغير (ديون القطاع الخاص) هاما في توقع عقد النقد.

كما أن معامل التحديد R2 بين MS وCP (ديون القطاع الخاص) بلغ (0.79) (بعد إسقاط المتغير CG (ديون حكومة) من المعادلة أعلاه نلاحظ أيضا نسبة الانخفاض في R2 بلغ (أكثر من مستوى المعنوية 5%)، ولهذا يمكن اعتبار (الديون الحكومية) متغيرا هاما في توقع عرض النقد .

جدول (2)

الميزانيـــــة النقديـــــة الموحـــــــدة

الموجودات	1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988
1- الموجودات الأجنبية	624.768	671.655	632.322	729.559	740.871	781.351	821.857	870.496	953.693
2- ديون على الحكومة	197.80	231.500	276.200	314.100	342.700	370.400	414.900	624.400	921.800
3- ديون على الحكومة	563.900	721.300	887.200	1.030.900	1473.688	1579.320	1714.608	1844.997	1953.579
4- ديون على البلديات والمؤسسات العامة	2.9.6840	33.223	40.672	48.200	60.847	94.859	111.052	156.302	174.532
5- موجودات الجهاز المالي لدي :	387.091	388.755	409.515	440.733	473.780	605.158	668.620	662.807	739.743
أ- البنك المركزى الأردني	126.911	116.637	119.925	136.108	137.114	164.229	164.088	128.918	151.355
ب-بنوك ومؤسسات مالية ومؤسسات أخرى	260.186	272.118	289.590	304.625	331.666	440.929	504.532	533.889	588.388
6- الموجودات الثابتة	43.662	47.548	52.360	61.692	64.784	75.093	76.630	82.650	89.124
7- موجودات أخرى	134.259	147.113	155.216	162.109	17.018	176.219	205.894	227.251	278.810
	2368.267	2629.849	2863.066	3228.026	32.8616	3640.696	3992.482	4446.667	510.511

المطلوبات								
1- عرض النقد M1	600.017	714.533	802.739	883.555	888.598	860.974	910.819	999.230	1179.8
- عملة في التداول	351.628	412.309	469.980	516.048	530.094	531.304	583.387	654.571	808.54
- ودائع تحت الطلب	248.389	302.224	332.759	367.507	358.504	329.670	327.435	344659	371.34
2- مطلوبات غير نقدية	654.700	731.086	746.287	911.372	938.876	1109.86	1263.21	1494.92	1565.2
3- مطلوبات الحكومة	116.050	117.750	133.970	139.510	131.514	130.147	168.907	131.284	114.34
4- مطلوبات أجنبية	268.220	296.420	337.090	344.730	360.751	383.883	410.748	497.583	629.43
5- مطلوبات الجهاز المالي	385.700	392.200	410.620	442.399	447.306	564.449	602.827	573.483	651.27
أ- البنك المركزي الأردني	112.500	114.181	125.802	127.815	129.632	146.888	165.018	173.694	180.62
ب-بنوك ومؤسسات مالية ومؤسسات	273.200	278.019	284.818	314.084	317.674	417.561	437.809	399.789	470.60
6- بند الموازنة	193.340	206.810	249.660	312.540	326.664	343.749	396.780	397.671	445.87
أ- رأس المال	76.760	91.690	131.160	158.340	163.041	185.555	190.887	190.169	200.52
ب- الاحتياطات والمخصصات	116.580	115.120	118.500	154.200	163.623	158.194	178.893	202.502	245.34
7- مطلوبات أخرى	150.240	171.050	182.700	196.210	204.907	247.633	266.183	352.490	519.44

المصدر : البنك المركز الأردني ، النشرة الإحصائية الشهرية ، مصدر سابق ص 4 ،ص 25 .

القسم الثالث: التوازن النقدي في الاقتصاد الأردني

للتعرف على التوازن النقدي وأثره على التوازن الحقيقي فإن الأمر يتطلب تحليل العلاقة السببية بين النقود والنشاط الاقتصادي بمعنى هل تؤثر كمية النقود (عرض النقود) على مستوى النشاط الاقتصادي. إن المشاكل الرئيسية التي تعرقل سير التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول النامية ترجع غالبا إلى السياسة النقدية والسياسة المالية واللتان تؤثران في السياسة الاقتصادية مما يؤدى إلى تفاقم المشكلة .

وكما هو معروف أن النشاط الاقتصادي في أي مجتمع يدور في دائرتين هما مادية وتتمثل بالتدفق السلعي (العرض الكلى) ونقدية والتي تتمثل بالمتدفقات النقدية (الطلب الكلى). ولكي يتحقق التوازن النقدي، أي لكي يبقى مستوى الأسعار مستقرا نسبيا، يتطلب أن يتعادل معدل التغير في عرض النقد (الطلب الكلى) مع معدل التغير في (العرض الكلى) أن عدم التعادل بين هذين المتغيرين يترتب عليه أضرار كبيرة تلحق بالاقتصاد القومي بسبب اختلال التوازن النقدي بشكل تضخم أو فجوات تضخمية وذلك في حالة زيادة معدل التغير في عرض النقد عن معدل التغير في الناتج القومي. ويحدث الانكماش في الحالة العكسية لذلك. والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا المجال هو "مدى تحقيق التوازن النقدي في الاقتصاد الأردني" وهذا ما سنحاول الإجابة عليه وتجدر الإشارة هنا انه لكي يتحقق التوازن النقدي في الاقتصاد يتطلب التعادل بين معدل التغير في المتدفقات السلعية مع معدل التغير في المتدفقات النقدية (عرض النقد)، أن عدم التعادل بين هذين التدفقين سوف ينعكس أثره على الأسعار فيظهر ذلك في صورة تضخم أو انكماش، وهذا ما تم الإشارة إليه عندما تناولنا الجانب النظري. والتي استخلصنا منها وجود منهجين فيها هما المنهج النقدي الذي يرجع سبب اختلال التوازن النقدي وإلى عدم التعادل بين معدل التغير في (الطلب الكلى) كمية النقود المعروضة، مع معدل التغير في الناتج القومي الإجمالي وهو ما يطلق عليه (الفجوة النقدية).

والمنهج الأنفاقي الذي يرجع سبب اختلال التوازن النقدي إلى عدم التعادل بين التغير في الطلب الكلى (الأنفاق القومي) مع التغير في جانب العرض الكلى (الناتج القومي الإجمالي) وهو ما يطلق عليه (فجوة الطلب الكلى) .

من المفيد أن نشير إلى أن صندوق النقد الدولي يعتمد في سياسته على هذين المنهجين للتعرف على حالة التوازن النقدي في الاقتصاد الأردني خلال فترة الدراسة.

أولا: معيار الفجوة النقدية :

للتعرف على الفجوة التضخمية في الاقتصاد الأردني، فسيتم استخدام المنهج النقودي عن طريق قياس فائض المعروض النقدي حيث تأخذ الصيغة التالية :

مكونا الفجوة يبدو أن في المعادلة رقم (3) وهما التغير في عرض النقود (ΔM) والتغير في الطلب على النقود (ΔL) حيث إن الفرق بينهما يكون الفجوة النقودية .

$$P = b_0 + b_1\Delta L + b_2\Delta M + Ut..... \quad (3)$$

وتبدو الفجوة النقودية (فائض المعروض النقدي) من خلال الفرق بين التغير في عرض النقود والتغير في الطلب على النقود، أو :

$$G = M - \left(\frac{M}{GNP} \right) GNP ..... \quad (4)$$

ΔM = الزيادة في كمية النقود المعروضة.

ΔL = الزيادة في الطلب على النقود.

P = المستوى العام للأسعار.

Ut = المتغير العشوائي.

وباستخدام المعادلة رقم (4) لقياس الفجوة التضخمية أو الانكماشية) في فترة الدراسة، ثم الحصول على النتائج الواردة في الجدول الآتي رقم (3).

جدول رقم (3)

الفجوة التضخمية (أو الانكماشية) في الاقتصاد الأردني

باستخدام معيار الفجوة النقدية 1980 - 1989 (ألف دينار)

السنة	عرض النقد M1	ΔM	الطلب على النقود	GNP	ΔGNP	التغير في طلب على النقود ΔL	الفجوة التضخمية G	الرقم القياسي للأسعار P
1980	594.771	-	-	1190.100	-	-	-	100
1981	701.656	106.8	0.47	1482.700	292.6	137.5	30.7 (-)	107.7
1982	787.503	85.8	0.47	1673.400	190.7	89.6	3.8 (-)	115.7
1983	869.417	81.9	0.49	1770.300	96.9	47.4	34.5 (+)	121.5
1984	878.391	8.9	0.47	1853.600	83.3	39.1	30.2 (-)	126.2
1985	848.222	30.1(-)	0.45	1881.800	28.2	32.6	17.5 (+)	130.-
1986	897.097	48.8	0.46	1919.400	37.6	17.2	31.6 (+)	130.-
1987	979.803	82.7	52؟0	1867.900	51.5 (-)	26.7 (-)	56.- (+)	129.6
1988	1166.758	186.9	0.55	2112.8	244.9	134.6	52.3 (+)	133.7
1989	1182.995	16.2	0.50	2348.4	235.6	117.8	101.6 (-)	147.8
المتوسط							25.3 (+)	

المصدر: جدول (1) البنك المركزى الأردني - مصدر سابق ص 80، 1991.

IMF, International financial statistic,

نلاحظ في الجدول أن هناك فجوة تضخمية قد ظهرت في عام 1983 نتيجة الزيادة التي حدثت في عرض النقود (m1) والتي كانت أكبر من نسبة الزيادة التي حدثت في الناتج القومي. وهذا ينطبق على الأعوام 1985،1986، 1988 أما الزيادة التي حصلت في عرض النقد في عام 1987 فقد قابلها انخفاض في حجم الناتج القومي الإجمالي مما أدى إلى ظهور فجوة تضخمية عالية مقارنة بسنوات الدراسة. إن الزيادة في عرض النقود (m1) كان سببه الزيادة التي حصلت في موجودات الجهاز النقدي خاصة ديون الحكومة وديون القطاع الخاص. (جدول 2).

وهذا يتطابق مع ما ورد في معادلة رقم (2) واستنادا إلى ما سبق،فيمكن الوصول إلى الاستقرار النقدي وذلك عن طريق إيجاد التناسب بين الزيادة في المعروض النقدي والزيادة في الناتج القومي .

إن النتائج السابقة توضح وجود علاقة خطية بين التغير في السعر بوصفه متغيرا معتمدا ومكونا الفجوة النقدية بوصفهما متغيران مستقلان ولأغراض

القياس التجريبي تستخدم العلاقة والدالة الآتية :

$$P = b_0 + b_1\left(\frac{m1}{GNP}\right) + b_2M_1 + Ut \quad \ldots\ldots\ldots\ldots (5)$$

حيث إن :

P = المستوى العام للأسعار.

$\frac{MI}{GNP}$ = الطلب على النقود (مكونات الفجوة النقدية).

M1 = عرض النقود.

Ut = المتغيرات العشوائية.

وبالاعتماد على البيانات الواردة في الجدول (3) تم الحصول على النتائج التالية :

$$P = 0.149 - 0.5\left(\frac{M_1}{GNP}\right) + 0.6356\,(M_1)\ldots \quad (6)$$

(0.13) (- 1.45) (4.65) قيمةt

$R^2 = 0.86$ $R^2 = 0.81$

لقد كان التقدير كما توقعه الباحث، حيث ظهرت إشارة المعلمة المرافقة للمتغير الذي يعبر عن الطلب على النقود سالبة، ولكن يبدو أن قيمة (t) عند مستوى المعنوية 5% ضعيفة .ولكن عند مستوى (10%) تكون المعلمة بمستوى معنوية جيد، بمعنى أنها تجتاز اختبار (t) .

لقد كانت قيمة معامل التحديد المعدل (R2) هي (0.81)، وهذا يعنى أن المتغيرات المستقلة في الدالة مسؤولة عن (81%) من الانحرافات أو التغيرات الخاصة في المتغير المعتمد (p) وهناك (19%) فقط من الانحرافات تعزى إلى المتغير العشوائي الذي يحسب تأثير المتغيرات المحذوفة أو غير الموجودة في الدالة وأخطاء القياس .

أما المعلمة المرافقة للمتغير (M_1) فقد جاءت بالإشارة الموجبة وهى متوقعة من قبل الباحث ومتطابقة مع المنطق الاقتصادي وكانت ذات معنوية إحصائية عالية لأن قيمة (t) الفعلية كانت (4.65) وهذا يعنى أن الزيادة في عرض النقد (m_1) تساهم إيجابيا في زيادة الأسعار .

ثانيا: معيار فجوة الطلب الكلى :

لغرض التأكد من حالة التوازن النقدي في الاقتصاد الأردني (بعد استخدام معيار الفجوة النقدية) فسنحاول استخدام معيار فائض الطلب الكلى والذي يقيس بين الزيادة في الأنفاق القومي والزيادة في الناتج القومي الإجمالي، وبالاعتماد على الأرقام الواردة في الجدول(4) نستنتج ما يلي:

إن إجمالي الناتج القومي قد بلغ في فترة الدراسة 18100.4 مليون دينار، بينما بلغ أجمالي الطلب الكلى (أجمالي الأنفاق القومي) 21803.2 مليون دينار، وهذا يعنى أن فائض الطلب الكلى قد بلغ 2065.5 مليون دينار .

إن جزءا من فائض الطلب الكلى قد وقع تأثيره على ميزان المعاملات الجارية في ميزان المدفوعات، حيث بلغ العجز في ميزان المعاملات الجارية خلال فترة الدراسة (368.67) مليون دينار، ويلاحظ أن نسبة أجمالي العجز في ميزان المعاملات الجارية إلى مدفوع فائض الطلب في فترة الدراسة قد بلغ 18.7% نستنتج مما سبق وباستخدام كل من المعيارين السابقين. أن معيار الفجوة النقدية قد بينت لنا فجوات تضخمية خلال بعض سنوات الدراسة وفجوات انكماشية في الفجوة التضخمية. أما معيار فائض الطلب الكلى فقد بين لنا وجود فائض في الطلب الكلى في معظم سنوات الدراسة، مما كان له أثره الإيجابي في استمرار العجز في ميزان المعاملات الجارية في غالبية سنوات الدارسة بل زيادة هذا العجز في سنوات أخرى .

جدول رقم (4)

فائض الطلب الكلى في الاقتصاد الأردني 1980 - 1989

السنة	أجمالي الناتج القومي (A)	إجمالي الإنفاق القومي				الطلب الكلي (B-A) فائض أو (نقص) في	ميزان المعاملات الجارية (الحساب الجاري)
		الإنفاق الاستهلاكي الحكومي	الإنفاق الاستهلاكي الخاص	أجمالي الاستثمار المحلي	الطلب الكلي (B)		
1980	1190.100	243.8	829.3	397.8	1470.9	280.8	373.90 (+)
1981	1482.700	285.9	1053.2	517.5	1856.6	373.9	38.90 (-)
1982	1673.400	326.1	1219.5	533.7	2079.3	405.9	332.70 (-)
1983	1770.300	348.3	1348.1	455.6	2152.-	381.7	141.32 (-)
1984	1853.600	376.9	1373.9	419.8	2170.6	317.-	140.13 (-)
1985	1881.800	405.2	1401.7	414.5	2221.4	339.6	99.90 (-)
1986	1919.400	449.9	1238.4	413.2	1651.6	267.8 (-)	15.95 (-)
1987	1867.900	566.3	1547.1	411.8	1958.9	91.0	118.35(-)
1988	2112.800	578.8	1620.3	415.-	2035.3	77.5 (-)	105.51 (-)
1989	2438.400	550.9	1595.7	465.-	2060.7	287.7 (-)	214.24 (+)
المجموع	18100.400	4132.1	13227.2	4443.9	21803.2	2065.5	368.62

المصدر :(1) وزارة التخطيط، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (1986 - 1990)

والجدير بالذكر أن النتائج التي توصلنا إليها باستخدام كل من المعيارين هي: نتائج متفقة توضح أسباب اختلال التوازن النقدي في الاقتصاد الأردني. وهذا يأتى كإجابة على السؤال الذي طرح في مقدمة هذا الجزء من الدراسة "المديونية في الاقتصاد الأردني". كأن الزيادة الكبيرة في عرض النقد والذي أدى إلى ظهور الفجوة النقدية وكذلك ظهور فجوة في الطلب الكلى (أدتا إلى ظهور الضغوط التضخمية) وهذا قد أدى إلى زيادة قيمة الاستيرادات، وذلك لعدم مواكبة العرض المحلى لمواجهة الطلب الكلى مما أدى إلى تفاقم حجم المديونية ونلاحظ من نفس الجدول أن نسبة الزيادة في قيمة الاستيرادات في عام 1989 قد بلغت (171.8%) عما كانت عليه عام 1980 .

إن هذه النتائج توضح وجود علاقة خطية بين قيمة الدين العام الخارجي (EPD) باعتباره متغيرا معتمدا، وكل من المستوى العام للأسعار (P) والاستيردات (IMP) باعتبارهما متغيران مستقلان. ولأغراض القياس التجريبي تستخدم العلاقة الدالية الآتية :

$$EPD = b_0 + b_1 + b_2 (IMP) + U \ldots \quad (7)$$

واستنادا إلى البيانات الواردة في جدول (5) تم الحصول على النتائج التالية :

$$EPD = 10450 + 91.0 (p) + 0.74 (IMP) \ldots (8)$$

$$(2.86) (2.77) (0.25) \qquad \text{قيمة t}$$

$$R^2 = 0.62, R^2 = 0.51$$

لقد كان التقدير كما توقعه الباحثان، حيث ظهرت إشارة المعلمة المرافقى للمتغير الذي يعبر عن المستوى العام للأسعار موجبة، وهى مطابقة للمنطق الاقتصادي (وما تم الإشارة إليه آنفا)، وكانت ذات معنوية تحصانية جيدة لان قيمة (t) الفعلية (2.77) وهذا يعنى أن الزيادة في المستوى العام للأسعار تساهم إيجابيا في زيادة المديونية أما المعلمة المرافقة للمتغير (IMP) فقد جاءت بالإشارة الموجبة (لكنها ضعيفة)، وقد يعود السبب إلى وجود مشكلة الارتباط الخطى المتعدد بين المتغيرات المستقلة حيث ربما انعكس على معنوية العلاقات بين المتغير المعتمد والمتغيرات المستقلة .

جدول رقم (5)

يبين تطور كل من الدين العام الخارجي للأردن، الاستيرادات

للفترة 1980 - 1989

السنوات	قيمة الاستيرادات	نسبة الزيادة ٪	قيمة الدين العام الخارجي	نسبة الزيادة	الرقم القياسي لتكاليف المعيشة
1980	715.977	100	382.10	100	100
1981	1047.504	146.30	512.80	134.20	107.7
1982	1142.493	159.57	616.60	161.37	115.7
1983	1103.310	154.10	807.40	211.30	121.5
1984	1071.340	149.63	989.30	258.91	126.2
1985	1074.445	150.06	1097.80	287.30	130.-
1986	850.199	118.74	1166.90	305.39	130.-
1987	915.545	127.87	1209.30	316.48	129.6
1988	1021.616	142.68	3836.90	1004.16	133.7
1989	1230.142	171.81	5409.40	1415.70	147.8

المصـــدر :

(1) دائرة الإحصاءات العامة في الأردن، النشرة الإحصائية السنوية 1987 و 1990.

(2) IMF: IFS , 1987 , P.431 . (3) حقل (3) من الجدول (3) .

ولكن عموما فإن قيمة (R^2) معامل التحديد كانت (62 %) من التغيرات في المتغير المعتمد يعود سببها إلى المتغيرات المستقلة وهناك (38 %) من التغيرات يعود سببها إلى المتغير العشوائي .

الاستنتاجـــات والتوصيـــات

1 - تبين أن عرض النقد يشكل عاملا مهما في مشكلة التضخم والمديونية في الاقتصاد الأردني. وتأسيسا على هذه النتيجة فإننا نرى أن يعتمد الاقتصاد

الأردني على سياسات نقدية ملائمة بما يحقق الاستقرار النقودي مما يعكس عدم امتداد مشكلة التضخم إلى مشكلة المديونية .

2- من التحليل تبين أن هناك عاملين أساسيين كان لهما أثرهما في زيادة عرض النقد في الاقتصاد الأردني (ديون القطاع الخاص وديون الحكومة) . وهنا نشير إلى ضرورة تقليل الاعتماد على القروض الداخلية والخارجية .

3- ظهر أن هناك علاقة واضحة بين التضخم والمديونية حيث شكل متغير (مستوى الأسعار) متغيرا مستقلا مهما في تحديد مستوى المديونية حسب ما مر ذكره في النموذج. (8)

4- ومن أجل التقليل من مشكلة المديونية، يكون من الضروري انتهاج سياسة الاعتماد على الذات بالقدر الممكن ودعم الاستثمار المحلى الخاص ووضع سياسات لجذب رؤوس الأموال العربية لغرض الاستثمار في الأردن، وهذا سوف يقلل من الاعتماد على القروض الخارجية لأغراض التنمية .

المراجع والمصادر

(1) Samuelson & Nordhans: Economics "Twelfith Edition" 1985 MeGraw Hill Book Company. London. P. 320.

(2) صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل و التنمية، أذار 1985 ،ص 24.

(3) البنك المركزي الأردني - النشرة الإحصائية الشهرية، العدد الثاني شباط 1989 .

(4) د. محمود عبد الفضيل "النفط المشكلات المعاصرة للتنمية"، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت 1979. ص 96 - 97 .

(5) الدارسات العربية عن المديونية وأسبابها بشكل عام قليلة ولعل أبرزها:

أ - د.رمزي زكى "أزمة الديون الخارجية" الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1978 .

ب- الدارسات المنشورة في مجلة التمويل و التنمية، أعداد مختلفة .

ج- سعود عبد العزيز يوسف،مشكلة الديون الخارجية للأقطار العربية،رسالة ماجستير،كلية الإدارة و الاقتصاد،الجامعة المستنصرية 1983 .

د - يالجين فاتح سليمان، العلاقة بين المديونية و التجارة الخارجية عن بعض البلدان النامية المختارة. رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة الموصل 1986.

(6) Leonall C. Anderson. "The State of the Monetarist Debat Review of the Federa Reserve Bank of St. Louis. September, 1973.

(7) I bid. p .68.

(8) Milton Friedman. A Theoretieal Framework for Monetary Analysis, Oeeaional paper 112. New York: National Bureau of Economic Research. 1971, PP. 27 - 29.

(9) David Laidler, The Demand for Money: Theoires and Evidence Haper and Raw, Publisher New York second Edition, 1977 .P 130.

(10) Milton + Friedman "Comments on the critics", Journal of political Economy, sSeptember / October, 1972. pp 915 - 916 .

* لمزيد من الإيضاح حول مفاهيم عرض النقد انظر مثلا :

- J. Pranger: Monetary Economics, Controversies in theory and policy. New York Random Huse. 1971. pp 4 - 6 .

- عبد المنعم السيد على. دراسات في النقود والنظرية النقدية، بغداد، مطبعة العانى 1976 .

- L.C. ANDERSON AND J.L Jordan: the monetary Base Explanation and Anadytical use, Review of fedral Reserve Bank of St .Louis 1968, pp. 10 - 11.

(11) لمزيد من الإيضاح عن هيكل أسعار الفائدة انظر: النشرة الإحصائية للبنك المركزي الأردني، مصدر سابق، ص 30 .

(12) نفس المصدر ص 14 - 17 .

(13) Paul B. Trescott, Money, Banking and Economic Welfare, New York McGraw - Hill Inc. 1965. pp .105 - 107.

* من خلال النتائج السابقة يوضح الباحثان أن من الممكن أن تكون هناك علاقة بين عرض النقود وكل من ديون الحكومة وديون القطاع الخاص، ويرى الباحثان القيام بدراسة تجريبية حول هذه العلاقة.

* يمكن القول إن باقي فائض الطلب الكلى قد وقع عبوة على المستوى العام للأسعار وخاصة في الأعوام 1988 / 1989، وسبب هذا هو الزيادة الكبيرة في كمية النقود في هذه السنوات .

أصـــــداء
إعدام عمر المختار

□ الدكتور/ يوسف سالم البرغثي
❖ أمين قسم التاريخ / كلية الآداب والعلوم (المـرج)

المقدمـــــة

تناقلت الصحافة العربية خبر إعدام عمر المختار عقب إعلان ذلك بوسائل الإعلام المصرية وقد جعلت الصحافة العربية من البطل الشهيد عمر المختار منارة لاستنهاض الهمم، والمطالبة بثأر فقيد الوطن والعروبة والإسلام، ويبدو هذا الأسلوب في إطاره القومي تحريضا لأبناء الأمة العربية، لكي يثوروا على الدول التي تستعمرهم، وجعل المواجهة ضد الدول الاستعمارية مواجهة عربية صرفة، حيث إن العرب معنيون أكثر من غيرهم حيال هذه الفاجعة وإذا أردنا أن نتطرق إلى تلك الأصداء بالمشرق العربي، فلابد لنا من البداية أولا من دمشق التي شهدت زخما عظيما واهتماما بالغا بقضية إعدام عمر المختار حيث تعد دمشق مركز تجمع المهاجرين العرب الليبيين في بلاد الشام وسوريا، وسكنتها أعداد غفيرة من أبناء المهاجرين الليبيين، الذين هاجروا إليها منذ البادية، بعد أن وجدوا تعاطفا وترحيبا من الحكام الأتراك ببلاد الشام عموما حيث أتيح للموظفين الليبيين الفارين من بطش الإيطاليين أن يمارسوا وظائفهم في بلاد الشام وسوريا [1] وهذا ما يفسر تدفق الهجرات الليبية على بلاد الشام وسوريا .

وتعد دمشق بالذات هي مهد لجنة الجاليات الطرابلسية البرقاوية، ثم اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية، وأخيرا لجنة الدفاع الطرابلسي البرقاوي، ويفسر اختلاف التسمية الواضح المعاناة التي مرت بها الجالية وحالت دون تشكيل الجمعية في الوقت المبكر نظرا لاندلاع الثورة السورية سنة 1925م وطاردت فرنسا كل الأحرار من العرب السوريين وغير السوريين، وتم إعلان الجمعية التأسيسة للجاليات بمناسبة الاحتفال بالذكري الرابعة عشرة لإعلان إيطاليا الحرب واستمرت سرية حتى سنة 1928م، عندما أحيل على التقاعد كل من بشير السعداوي وعمر فائق شنيب، وتشكلت منهما بالإضافة إلى "فوزي النعاس والهادي الرايس"، على

أن لا يظهر اسم الآخرين في أي نشرة أو أي نشاط لأنهما كانا مازلا موظفين رسميين في الدول، وحتى لا يتعرضان لعقوبة الطرد من الوظيفة من قبل السلطات الفرنسية الحاكمة، والتي اتصل مندوبها بالسيد بشير السعداوي، وصحبه وطلب منهم وقف نشاطهم،وإلا سيخرجهم من البلاد [2] وشهدت دمشق أيضا تشكيل أو ل أفواج المدافعين عن القضية الليبية من غير العرب الليبيين، والذين كثيرا ما تعرضوا للاضطهاد الفرنسي بسبب مساندتهم القضية الليبية على اعتبارها تحمل التيار القومي المناهض للاستعمار بجميع أشكاله، أصبحت حركة الجهاد في ليبيا في إطارها القومي تغذي الحركات القومية المناهضة للاستعمار الفرنسي، وكانت الثورة السورية الكبرى سنة 1925م وما شكلته من خطر مباشر على المستعمرين الفرنسيين وكانت الجالية الليبية بدمشق من أنشط الجاليات الليبية في الخارج بل أصبحت تلك الجاليات فروعا للجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية بدمشق، ولقد فرض نشاط الجالية الليبية في دمشق بالإضافة إلى الالتزام القومي فرض على الصحافة في دمشق متابعة نشاط الجالية الليبية، وخاصة بعد الرسالة الواضحة التي أرسلها بشير السعداوي إلى رؤساء تحرير صحف سوريا والأقطار العربية الأخرى طالبهم بنشر ما تقدمه إليهم اللجنة التنفيذية للجاليات الطربلسية البرقاوية من معلومات ويأمل السيد السعداوي أن تكون الصحف العربية عونا لجهاد الليبيين المقدس[3] وهكذا لم تخل الصحف السورية يوما من مقالة أو اثنين عن حركة الجهاد في ليبيا بقيادة عمر المختار وعلى سبيل المثال لا حصر فقد تابعت صحيفة اليوم فاجعة عمر المختار منذ، البداية ونقلت نشاط الجالية بدمشق وتضامن الشعب السوري الذي بلغ حد الحماس إلى درجة التصادم مع قوات الأمن الفرنسية ووقع عدد من القتلى والجرحى أثناء مظاهر الاحتجاج، كما كثفت السلطات الفرنسية الحراسة المشددة على مقر السفارة الإيطالية والقنصلية الإيطالية في دمشق ولبنان [4] وهكذا يتضح تضامن الشعب العربي بالمشرق أحرار العالم مع الشعب الليبي وعلى سبيل المثال فقد تابعت صحيفة اليوم فاجعة عمر المختار ومن أبرز العناوين (عمر المختار يخدم العروبة حيا وميتا)، وقد اتخذ كاتب

المقالة من فاجعة عمر المختار منبرا يثير من خلاله شجون العرب للحرية، والتخلص من الاستعباد فعرج على صلب الموضوع وهو الاستعمار الإيطالي في ليبيا وما قامت به إيطاليا من جرائم آخرها إعدام الأسير الشيخ عمر المختار، رغم أنه كان يعامل أسراهم معاملة حسنة، وفق ما أملته عليه قواعد الشرف والكرامة العربية، أما الإيطاليون فلم يرحموا أسره ولا شيخوخته، ولطخوا بذلك تاريخ أجدادهم أمثال غربالدى وكافور ومازيني، ثم يشير المقال إلى ضرورة اتحاد العرب، وجمع كلمتهم ضد أعدائهم الذين يسيطرون على الوطن العربي تحت عدة مسميات (وصاية – حماية – انتداب) وأن كانت قد تنوعت تلك المسميات، إلا أن الغرض واحد، وبشكل عام اتخاذ المنشور أو المقالة لهجة استنهاض وتحريض، ولم يقطع الرجاء في استخلاف القائد القومي عمر المختار فيقول "يا عرب: أريد أن أتحدث إليكم عن رجل لا تجهلونه، بل أنتم تجلونه كل الإجلال، فهل أتاكم حديث شهيد الوطن الجديد، شهيد العروبة – شهيد الإسلام ذلك هو بطل برقة وطرابلس الغرب ذلك هو الشهيد عمر المختار".

ويشير المقال إلى نوايا الدول الاستعمارية التي تسعي إليها وهي محق العروبة والإسلام فيقول " يا عرب: ذلك الأثر هو أن تعلم الأرض وأن تشهد السماء بأن دول الاستعمار دائبة على محق العروبة وعلى محو الإسلام .[5]

ويتضح من هذه المقالة شهرة عمر المختار كرمز للنضال القومي، حيث خدم العروبة أثناء حياته، عندما رفع السلاح في وجه الأعداء الغاصبين المعتدين ولم يهادن أو يفرط في حقوق الأمة، مثلما عمل بعض الزعماء بالمشرق، كما يقول المقال، وقد رسم بذلك طريق الكفاح المسلح أمام جماهير الأمة العربية والإسلامية وصدق من قال: أن جهاد الليبيين علم العرب الحرب .

وقد خدم عمر المختار أبناء أمته العربية عقب مماته أو استشهاده، عندما أصبح رمزا يحتذي به في سبيل الذود عن الحرية والعزة والكرامة، وشق بذلك طريق الحرية بدمائها وأصبح قدوة للمناضلين الشرفاء وتؤكد صحيفة اليوم في

عددها رقم "1365" بتاريخ27 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1931، استمرار المقاومة بعد القبض على عمر المختار، وجاء ذلك واضحا من عنوان المقالة". ماذا جنت إيطاليا من إعدامها الزعيم المجاهد" وأشارت إلى اجتماع دار الشيخ محمد سعيد الجزائري حفيد المناضل عبد القادر الجزائري لأحياء ذكري الزعيم المجاهد عمر المختار، والذي دعي إليه رئيس اللجنة التنفيذية للجالية عقب تلقيه الفاجعة مباشرة، ووجهت الدعوة إلى جميع جمعيات الشبان المسلمين وعدد من الجمعيات الإسلامية والشخصيات البارزة ،ونقتطف من نص الدعوة ".. فلا يخفى على حضاراتكم أن الإيطاليين قد أضافوا في هذه المرة إلى صحائف أعمالهم البغيضة في طرابلس وبرقة صحيفة سوداء، ستبقي أبد الدهر وصمة في تاريخهم المملوء بالخزي والعار بإعدامهم المجاهد الكبير عمر المختار .. لقد قررنا إقامة حفل تأمين الأربعين للشهيد .."[6] وقد تابعت صحيفة اليوم نشاط الجالية العربية الليبية ونشرت عدة مقالات وقصائد شعر قيلت في أو قات متفاوتة، بمناسبة إحياء ذكرى استشهاد زعيم طرابلس وبرقة، ومن أبرزها نقل ما دار أثناء اجتماع دار الشيخ محمد سعيد الجزائري من حديث وكلمات قدم لها المحامي أحمد الشهابي بخطبة قصيرة عن جهاد عمر المختار وجهاد الشعوب الناهضة في سبيل الحرية، ثم تلاه الأستاذ لطفي الحفار وتناول جهاد عرب طرابلس وبرقة بقيادة عمر المختار طيلة العشرين سنة الماضية وأن جهاد عمر المختار فتح أعين الشرق، ولن تطبق قبل أن ينال الشرق كل ما يصبو إليه ثم تناول الأستاذ محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل الموضوع بقصيدة أشار خلالها إلى كفاح الأمة العربية والإسلامية الطويل ضد المستعمرين، وهول الفاجعة الكبرى الأليمة التي حلت بالعرب والمسلمين، وتركت في النفوس أبلغ الأثر وارتجل أثناء اجتماع الأستاذ عارف الكندي مدير سياسة جريدة اليوم كلمة تناول فيها أعمال المجاهدين العرب، والفظائع الإيطالية، ثم بحث في الخطب النازل بطرابلس وبرقة، وما يقدم على مذبح الاستعمار الأجنبي من الضحايا، ويري أن الغاية من الاستعمار إيجاد أسواق لتصريف متاجر الأمم التي ترهق هذا الشرق العظيم وبلاد العرب عامة وطالب بقاطعة البضائع الإيطالية، وفي كلمة طرابلس

وبرقة أشاد السيد بشير السعداوي رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية بكفاح عمر المختار وجهاده، وعدد الفظائع التي ارتكبتها إيطاليا ضد أبناء الشعب الليبي، حتى سال دمعه ودمع السامعين، كما تقول الصحيفة فياضا، لشدة الألم الذي يحدثه في النفوس تريد هذه الفظائع الشائنة ونذكر منها ".. لقد مات السيد عمر المختار ذلك البطل المغوار، فلو كان الجزع يدفع المنون لأنفذنا عليه ماء العيون ولو كان يقبل الفداء لفديناه بأرواحنا، ولكن المنون لا تطيش سهامها ولا تؤجل أيامها .."وأراد السعداوي أن يجعل من الفاجعة وسيلة لتنبيه شعوب العرب والمسلمين لما يدور حولهم فيقول: " وأن كانت فاجعة الطرابلسيين تبعث في نفوس المسلمين روح الشعور فأهلا بمصائبنا التي يعقبها التضامن بين أبناء الأمة الإسلامية.." [7].

ولقد انبثق عن المجتمعين بدار السيد محمد سعيد إرسال برقيات احتجاج إلى كل من عصبة الأمم المتحدة، ورئيس وزراء إيطاليا موسوليني [8] تضمنت الاحتجاج والتنديد بجرائم إيطاليا في ليبيا وأخرها جريمة إعدام عمر المختار، كما تنادي التجار الذين كانوا من بين الحاضرين وعقدوا اجتماعا خاصا بهم، وتدارسوا خلاله موضوع مقاطعة البضائع الإيطالية مقاطعة تامة [9]. وفي إطار اهتمام الصحيفة نشرت في موضوع آخر مقالة تضمنت السيرة الذاتية لفقيد العروبة والإسلام عمر المختار ومراحل الجهاد التي قادها، والمعاناة التي عاناها الشعب الليبي تحت ظل الحكم الفاشستي الغاشم وكيف أن غرسياني رغم تلك الإجراءات حالفه الفشل حتى أنه اضطر إلى تخصيص مبلغ مائتي ألف ليرة كمكافأة لمن يأتي برأس عمر المختار [10]. وقد جاءت قصيدة الأستاذ محمد الأثري الموجهة إلى البابا في روما، تعبيرا عن الاستياء الذي عم الشرق العربي، أثر مأساة إعدام عمر المختار بالمغرب العربي مايلي :

مـــأتم قـــام بثغر الغرب ++ هـــز الشـــرق حـــزنـــا
قـــام فـــيه المـــلأ الأعـــلى ++ مـــع الـــباكين عيـــنا

يـــندب الباســـل مـــنذب ++ ومـــن جـــاهد عـــنا

ويخاطب البابا مباشرة ويحمله مسؤولية ما قام به الطليان أبناء جلدته ضد زعيم المقاومة في ليبيا عمر المختار فيقول:

أيـــهـــا البابـــا - وأبـــناؤك ++ هـــــاجوا الشـــجومنـــا
اجـــب الواجب مما اجترحوا ++ فـــنـــافـــقـــــــنـــــا
هـــل بـــاتـــجيلك أن يذبح ++ مـــأســـور مـــعني ؟ (11)

ويستطيع المرء أن يسرد أفضال المناضلين في ليبيا ضد الغزاة الطليان، كونهم بجاهدهم وثباتهم حركوا الأحرار في العالم، فها هي اليقظة تشتد وتظهر في تلك الفترة " في الهند المعذبة والصين المضطربة، ومصر الثائرة وأفريقيا القلقة. وهذا الشرق العربي المتحفز (12) وأن الدول المغلوبة على أمرها كانت كالنيام الذين أيقظتم زمجرة المجاهدين الليبيين ولم يرضوا بعد ذلك ألا بالنور الكامل، والحرية والاستقلال، ويحرض المقال الشعوب المغلوبة على أمرها في المشرق العربي حذو المجاهدين الليبيين في المغرب العربي فيقول ولايليت وراء هذه الغاية المقدسة مكافحا ومناضلا أمثال المجاهد الكبير عمر المختار وإخوانه الأشداء الأبطال أعظم مثل لنا وقدوه لأمثالنا في حاضرنا ومستقبلنا (13).

وتحت عنوان "أنوار الحرية تفيض على الشرق" كتبت صحيفة اليوم بمناسبة إعدام عمر المختار مقالا، أشارت إلى الشعلة التي حاول إطفاءها الطغاة الطليان أثر إعدامهم عمر المختار، واعتبرت حادثة الإعدام محاولة استعمارية لإخماد الشعلة الوطنية في الوطن العربي، وإطفاء لأنوار الحرية، وتشويها للحقيقة النضالية وكبتا للمشاعر الوطنية القومية الفياضة، وخنقا لصوت الحق، واعتبرت نضال دول الشرق مستمدا من نضال البطل عمر المختار، فعبثا تقول الصحيفة."يقضون على الأحرار لكي لا يولد أبطال وبطلات ومجاهدون ومجاهدات .. فالربيع في الشرق لا يزال ربيعا والشمس فيه تزداد إشراقا ولمعانا"(14) وكانت فاجعة عمر المختار قد

ألهبت حماس العرب بالمشرق العربي، وأصبحوا يتحفزون إلى يوم الخلاص من المستعمرين، فيما جادت قريحة الشاعرين الفحلين أحمد شوقي وخليل مطران بقصيدتين جمعتا وأعيتا كل شيء نشرتهما صحيفة اليوم بعد نظمها بشهر تقريبا، حث في الأولي الشاعر أحمد شوقي الشباب على تحمل المسؤولية بعد إعدام عمر المختار فقال :

يأيهـــا الـــشعب القريب أســـامع ++ فأصـــوغ في عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحـــرمت ++ أذنـــيك حين تخاطب الإصغاء
ذهـــب الزعيم وأنت بـــاق خالد ++ فـــإنقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ++ واحمـــل على فتيانك الأعـــباء

فيما حاول الشاعر خليل مطران أن يبرز دور عمر المختار في حركة التحرر الوطني، حيث رغم التسلط الإيطالي الغاشم إلا أنه لم يأب التسليم والاستسلام فيقول:

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليما ++ وجدت بالروح جود الحران ضيماً
تـــــذكر الـــعـــرب والأحداث ++ مكان إذ ملكوا الدنيا لهم خـــيمـــا
لله يـــا عـــمـــر الـــمختار حكمته ++ في أن منسيه تلاقي ما لاقيت مظلوما

ويحاول مطران أن يجعل جهاد عمر المختار امتدادا لحركة التحرير، فقد تبني الأحرار في مصر حركة الجهاد في ليبيا، وكأنها تعبر عن أحلامهم وطموحاتهم فأووها وحموها وناصروها فيقول:

يا ســـادة اطلعت مصر بهم شهبا ++ والليـــل خيم بالأحداث تخيما
فما ونواللحمي عن واجب وينوا ++ للمجد فيه طرافا كان مهدوما
أعـــزة ان بدا من فضلهم أثـــر ++ فكم لهم من جميل ظل مكتوما

إلي أن يقول:

شـــاركتم الجار في خطب ألم به ++ وما ادخرتم لشيخ العرب تركيما[15]

أما في فلسطين والتي كانت تعاني من الاستعمار الإنجليزي والتسلط اليهودي المدعوم والمحمي من قبل الإنجليز، فقد كانت أصداء عمر المختار بالغة وعميقة باعتباره رمز من رموز المقاومة العربية للاستعمار، ولقد اختار المهاجرون فلسطين مكانا لهم، بعد أن عبروا إليها من مصر، وطاب لهم المقام نظرا للحفاوة التي استقبلوا بها من قبل عرب فلسطين، وتشابه ظروف العيش مع موطنهم الأصلي، خاصة وأن أغلب الذين هاجروا إلى فلسطين هم من بين المشتغلين بالزراعة والرعي، ولقد شارك المهاجرون الليبيون مع إخوانهم عرب فلسطين في الثورة الكبرى سنة 1936، وساندوا القاوقجي والقسام في هذه الثورة [16] واعتمدت عليهم قيادة الثورة واستفادت من خبرتهم السابقة في حروبهم ضد الاستعمار الإيطالي واستطاعوا إلحاق الهزائم باليهود وأعوانهم الإنجليز، وعرف العرب الليبيون بالمغاربة في جيش القسام، وتعرضوا بعد فشل الثورة إلى عقوبة السجن، ثم الطرد من فلسطين إلى مصر، على يد القوات البريطانية، وقد سجل التاريخ لعرب فلسطين مناصرتهم للقضية الليبية عندما أطلق اسم الشهيد عمر المختار على أكبر شوارع غزة، ورغم احتجاج القنصل الإيطالي إلا أن رد فهمي الحسيني عميد بلدة غزة كان ملجما للقنصل ثم من بعده اليهود وأعوانهم الإنجليز، حيث قال " لكل مدينة شعورها ويحق لبلدية تلك المدينة إظهار هذا الشعور، فكما أن لبلدية تل أبيب الحق في تمجيد هرتسل وبلفور وغيرهما ممن تسيء ذكراهم غير اليهود، فبلدية غزة أن تمجد الشخص الذي يحمل له الأهلون في قلوبهم أطيب الذكري، وأسمي معاني الاحترام، فإذا كانت ذكرى الشهيد عمر المختار تسسء إلى إيطاليا فذلك ما اقترفته إيطاليا نفسها لا بلدية غزة، لذلك فإنني اعتقد بأن اعتراض قنصل إيطاليا في غير محله [17] ولقد أستحسن فرع جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي رد عميد بلدية غزة السيد فهمي الحسيني، واستحق شكر الأمة العربية، ولقد سطعت العلاقة بين أبناء ا لأمة العربية في ليبيا وفلسطين عقب هذه البادرة من عميد بلدية غزة فتولت صحيفة الجامعة العربية التي تصدر بالقدس الشريف الاهتمام بالقضية الليبية، ونشرت في عددها رقم "682" الصادر عقب

الفاجعة بشهر مباشرة مقالة بقلم حسان بن ثابت تحت عنوان "عمر المختار شهيد الوطن " والذي استهله ببيت من الشعر جاء فيه :

دع المـــوت يغـــتل من أراد فإنه ++ ثوري اليوم من تخشى عليه الغوائل

جاء في المقال "ثوري اليوم عمر المختار وهو في ميدان الجهاد يضرب أصدق الأمثلة لهؤلاء المجاهدين الأبرار، ثوري عمر المختار وقد حمل علم الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال السنين الطوال .."، ومما يميز هذه المقالة أنها تناولت وبشكل مباشر الحديث عن الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي، فقال: "إن روح الاستعمار واحدة. لا فرق بين إنجليزي وفرنسي وإيطالي، يمثلون مآسيها في كل البلاد .. فالسياسة التي يمثلها الإنجليز في مصر والعراق وفلسطين هي السياسة التي يمثلها في سوريا وهي هي السياسة التي يمثلها الإيطالي في مراكش (كذا) ." وفي جانب أخر ربط الكاتب الإحساس العربي الواحد بمصائب الأمة العربية، وهي كالجسد الواحد فيقول "إذا سمعت الأنين في مصر تردد صداه في الشرق كله، وإذا سمعت بعمر المختار يموت شهيد الوطن في مراكش رأيت دموع الآسي تمتلئ في الجفون والمآقي .." وقد عبر الكاتب عن الهجمة الاستعمارية التي تعاني منها الأمة العربية في المغرب العربي، حتى أنه اعتبر عمر المختار شهيد مراكش، وهذا يعني أن المغرب العربي وحدة واحدة، في أفراحه وأحزانه، فشهيد طرابلس هو شهيد مراكش، وشهيد المغرب العربي ثم الأمة العربية قاطبة، ومن أبرز العناوين التي جاءت بهذه الصحيفة وبالصفحة الأولي ،خبر احتجاج بلد الجاوي ومقاطعة أهلها للبضائع الإيطالية تضامنا واحتجاجا على ما قامت به إيطاليا ضد الشعب الليبي وآخرها جريمة إعدام عمر المختار وقد جاء تحت هذا العنوان " عقد في اليوم الأول من تشرين الأول الجاري اجتماع كبير في سورا بابا حضره مئات من وفود مدن الجاوي .. وتكلم عدد من الخطباء في الاجتماع عن استشهاد المرحوم السيد عمر المختار، وعن فظائع إيطاليا المنكرة " وقرر المجتمعون في جاوي ستة قرارات، أهمها إرسال برقية احتجاج إلى جمعية الأمم، وإلى موسوليني وقناصل الدول في سورا بابا

وطبع كراسة على نفقة الجمعية الإسلامية، تحتوي على أسماء جميع البضائع والمؤسسات الإيطالية وإرسال برقية تعزية إلى السيد بشير السعداوي رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية، واعتبار يوم 16 أيلول "سبتمبر" من كل عام، يوم تضرب فيه بلاد الجاوي إضرابا شاملا وتقام فيه الصلوات على روح المجاهد العظيم، وتسترل اللعنات على إيطاليا دولة البغي والطغيان والظلم، وقد أبلغ المجتمعون في جاوي جمعيات الشباب المسلمين في فلسطين وسوريا ومصر بوجوب اتخاذ يوم 16 أيلول يوم حداد عام [18] .

ويرى المرء الأثر البالغ للجريمة الإيطالية بين شعوب مدن الجاوي، مما يؤكد شهرة عمر المختار والأصداء البالغة للجريمة الإيطالية بين المسلمين أثر هذه الجريمة البشعة، فلم يشاهد الإنسان قرارات حادة أكثر من تلك القرارات التي أقرها المجتمعون في سورا بابا ببلاد الجاوي، ومنها لها اعتبار إعدام عمر المختار ذكري سنوية مقدسة، تضرب فيها جميع بلاد الجاوي من أقصاها إلى أقصاها بل وطالب المجتمعون أن يكون يوم 16 أيلول من كل سنة يوم حداد، تتبناه جمعيات الشبان المسلمين في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي والعربي وفي عددها رقم "931" نشرت صحيفة الجامعة العربية الصادرة في القدس الشريف صورة للشهيد عمر المختار كتب عليها زعيم المجاهدين وشهيدهم المبرور المرحوم عمر المختار وأشارت وأشرت إلى الاحتفال بالذكري السنوية الأولي 16 أيلول سبتمبر 1931م وجاءت مقالة السيد عبد الرحمن عزام، الذي سبق له خوض غمار بعض المعارك مع المجاهدين في ليبيا ضد الطليان، وقال "سلاح الظالمين يرد إليهم" عندما حاول الإيطاليون كبح جماح الشعب العربي في ليبيا ومنعه من الاحتفال بتأبين شيخ الشهداء عمر المختار، فتجاوب معهم إخوانهم في مصر ونقلوا حفلات التأبين من قرية سلوق إلى عاصمة العرب قاهرة المعز، وهكذا تم تدويل التأبين وخروجه من النطاق المحلي إلى النطاق الدولي، فزاد في شهرة عمر المختار واتسعت دائرة الاحتجاج والتنديد بالجريمة الإيطالية البشعة وعرضت قضية إعدام عمر المختار في المؤتمر الإسلامي بالقدس ويقول عزام :

"أنقل بذلك ظل الظلم من مجهول الصحراء إلى الكعبة الأولى إلى موضع الإسراء، إلى ملتقى الأديان والأمم ذكر عمر وساء ذكر قاتليه .. وينبه عزام العرب إلى مأساة الأندلس التي نسوها أو تناسوها، وهاهم أمام محنة أخرى حيث تقتطع طرابلس من جسم الأمة، و لم يبق فيها الرجاء القليل، فيقول: "فإن كانت الأندلس قد طوي إسلامها وطويت عروبتها و لم يبق إلا رجاء، فإن طرابلس وبرقة تنتزع من ساحة العروبة والإسلام و لم يبق إلا قليل من الرجاء .." [19] .

ويبدو دور المناضل عزام، حيث كان وراء نظم قصيدة شوقي في رثاء عمر المختار، عندما أرسل المجاهد مصطفي عون الجزائري عقب بلوغه نبأ الفاجعة التي هزت العالم والبلاد الإسلامية بالأخص، إلى مكان إقامة الشاعر الكبير أحمد شوقي (بكرمة أم هاني) وطلب منه نظم شيء من الشعر تخليدا لذكري الشهيد عمر المختار، وبعد فترة من الحديث الذي اشترك فيه عزام باشا نفسه ثم لم تلبث صحف القاهرة أن أصدرت من الغد مرثية عمر المختار الرائعة المكونة من أربعين بيتا، ويستطيع المرء أن يستشف مبلغ سمعة عمر المختار في العالم العربي والإسلامي حيث إن شوقي استطاع في وقت وجيز بعد تأثره البالغ بالفاجعة أن ينظم هذه القصيدة الرائعة[20]. التي أصبحت فيما بعد تتصدر أبياتها جميع المقالات والمنشورات التي كتبت في التنديد بجريمة إعدام عمر المختار، وهكذا تم اتخاذ قضية طرابلس وبرقة واستشهاد عمر المختار وسيلة لحث العرب والمسلمين على الجهاد والاستشهاد.

وسيطرت تلك الأحداث على مشاعر العرب والمسلمين في الوطن العربي وخارجه واستحوذت على أعمالهم وأقولهم أثناء اجتماعاتهم، فقد انتهز الشاعر العراقي الأستاذ محمد على اليعقوبي مناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي بالقدس الشريف وحاول من خلاله مخاطبة العرب والمسلمين وحثهم على أن ينسوا أحقادهم، ويرتفعوا على أعراضهم الشخصية، ويتبعون تعاليم القرآن الشريف التي تحث على الوحدة والوئام فيقول:

كونوا يدا واحدة تـــفـــلحوا ++ ولا تكونـــوا شيعا أو زمـــر

سياسة التفـــريق أدت بـــنـــا ✦✦ فلـــنا خذوا يا قوم منها الحذر
قد صدع الذكر بتوحيدكـــم ✦✦ وصـــــرخت أياتـــة والسور

ويبين الشاعر نتائج غفلة العرب والمسلمين السابقة عندما انتهز التتر (الماغول) انشغالهم وتفرقهم وهاجموا بغداد عاصمة الدولة العربية الإسلامية، ودمروا حضارة العرب والمسلمين، وهاهي برقة وأختها طرابلس تتعرض إلى نفس المصير إذا لم ينته العرب فيقول :

فـــإن تناســـيتم وحاشـــكم ✦✦ أولي الدواهي والرزايا الآخر
فناشـــدوا " برقة " أو أختها ✦✦ تنبـــئكم عـــن حالها ما الخبر
جنـــت عليها "رومة"فوق ما ✦✦ جنـــت على دار السلام التتر

ويبين الشاعر في موضع آخر المثل الحاضر في الأذهان أن عمر المختار قد أعدم على يد الطغاة، أمام مرأى وسمع الجميع من العرب والمسلمين وغيرهم ويبرز الشاعر صبر عمر المختار وجهاده، وفي المقابل لائمة وعنجهية الغزاة الذين رغم قدرتهم واقتدارهم إلا أنهم لم يعفوا على عمر المختار وهكذا أصبحوا في مصف الأمم اللائمة التي لا تبقي ولا تذر على أية أمل في النفوس فيقول:

هـــل علـــم المختار طه بما ؟ ✦✦ جـــرى على المختار فيها ومـــر
أم كـــــان يدري عمر الذي ✦✦ نـــال العدى وارتكبوا من عمر
جـــاهد عـــن أو طانه صابرا ✦✦ اهكذا يجزى الفتى أن صبر؟ (21)

وقد كتبت صحيفة الرابطة الإسلامية مقالا، وضحت فيه الفرق الشاسع بين سماحة الدين الإسلامي وغلظة وغطرسة الإيطاليين، الذين حللوا لأنفسهم قتل الأسرى وإعدامهم في عمل همجي، لم تعرف الإنسانية مثله، حتى في العصور المظلمة لاسيما ضد أمثال الزعيم والقائد عمر المختار، واستهلت الصحيفة مقالها ببيت شعر جاء فيه:

وحللتموا قتل الأساري وطالما ++ كنا على الأسري نعف ونصفح

ويصف المقال شخصية عمر المختار الفذة، حيث رغم سنه ونحافة جسمه، إلا أنه أبي الضيم، وقارع الأعداء مدة عشرين سنه لم يجده خلالها الأعداء منحني الظهر مطاطا الرأس لهم، ويخاطب المقال الأمة العربية الإسلامية " أن تصير على هذا المصاب الجلل الذي عم كل من جري في جسمه دم العروبة، فقد فقدت بموته علما من أعلام الشجاعة، ورمزا من رموز الشهامة، بعد أن ألقي عليها درسا هائلا من مكافحة الخطوب، والتمسك بالدين الحنيف .." [22] وأثر التضامن العربي الإسلامي حيال قضية الشعب الليبي، وتنديد أحرار العالم بالجرائم الإيطالية البشعة ضد أبناء الأمة العربية والإسلامية في طرابلس وبرقة، كانت محاولة (المفتري) دي بونو وزير المستعمرات الإيطالي، الذي أباح لنفسه ولحكومته ارتكاب تلك الجرائم ضد الشعب الليبي، وإنها حسب افترائه لا تمس الشرع، ونشرت صحيفة العرب نص الفتوى الإسلامية للرد على افتراءات دي بونو كتبها أحد علماء الأزهر الشريف، والذي يعمل مدرسا بالحرم الإبراهيمي، وتنص الفتوي في مجملها على أن المعتدي وهو الدولة الإيطالية المسيحية، والمعتدي عليه وهم أبناء الشعب الليبي المسلم، وكيف يسمح دي بونو لنفسه التحدث باسم الدين الإسلامي، والتطاول على حقوق العرب والمسلمين في ليبيا؟ وهو حقهم المشروع في الدفاع عن دينهم ووطنهم وعرضهم وأموالهم وتشير الفتوى أن ما قام به عمر المختار هوعين الحق والصواب وهكذا يعد شهيد الوطن والواجب المقدس، وليس بقاطع طريق أو خارج عن القانون كما يدعي دي بونو[23] أما في مصر فلم يعد يخفي على أحد دور مصر العروبة حيال حركة الجهاد في ليبيا بقيادة عمر المختار، وهو موضوع اهتمامنا في هذه الدراسة، وبدأت العلاقة بين عمر المختار ومصر منذ السنة 1924 م، عندما زارها لمقابلة المهاجرين الليبين، وتعد هذه القصة واضحة، ولكن الميزة الوحيدة التي تحصل عليها عمر المختار من زيارته تلك هي انه اتصل ببعض الزعماء المصريين، وببعض رجال الصحافة المصرية وكلف عددا من المراسلين بالسلوم لاستقبال مراسلاته القادمة من ميدان القتال بجبل برقة الأشم، وتسليمها إلى

الصحف المصرية، وكثيرا ما نشرت صحف الشورى والمقطم والأهرام، والفتح، وغيرها أخبار القتال والعمليات الحربية في طرابلس وبرقة، وفق تقارير أولئك المراسلين ويمكن القول إن ما قامت به الصحف المصرية حيال القضية الليبية يرجع في الأصل إلى اتصال عمر المختار بها حيث لم تشكل أية جهة سرية أو علنية تحت أي اسم من المهاجرين العرب الليبيين لمتابعة إخبار المجاهدين، على غرار ما حدث في دمشق وبلاد الشام وتونس بشكل عام اللهم إلا مجهودات فردية يرجع الفضل فيها إلى السيد أحمد السويحلي، الذي بدأ نشاطه السري سنة 1924 م بالكتابة للصحف تحت أسماء مستعارة، ويرجع طاهر الزاوي ذلك إلى نفوذ القنصل الإيطالي في مصر [24] السياسي والذي طالب بالحد من نشاط الجالية الليبية السياسة، ولبت السلطات المصرية تلك المطالب ويعد ذلك مدعاة لخيبة الأمل لدي الكثير من المهاجرين، وأصبح وضعهم داخل مصر متقلقلا [25]، حيث كثيرا ما اشتكت إيطاليا واحتجت على نشاطهم باعتباره يحول دون استتباب النظام والاستقرار داخل ليبيا نفسها، مما يؤكد دور تلك الجاليات في إثارة الرأي العام داخل ليبيا نفسها، مع إحكام السيطرة الإيطالية والطوق الاستعماري المضروب على المواطنين داخل البلاد، ويبدو هذا النفوذ الشرس ضمن التحالف الاستعماري ضد أبناء الأمة العربية في مظهره أثناء استقبال حرس الحدود للمهاجرين الفارين من بطش الإيطاليين، والذين يتعرضون أيضا إلى الضرب والسلب، وانتزاع أسلحتهم منهم عنوة، ويتم تحديد إقامتهم وتحذيرهم من مزاولة أي نشاط سياسي وهكذا انشغل المهاجرين بالبحث عن لقمة العيش واشتغل بعضهم بالتجارة، والبعض الآخر بالزراعة والحراسة مقابل أجر زهيد وتعريض بعضهم إلى أسوء الظروف نتيجة لضنك العيش، فغادر البعض منهم إلى مصر وإلى بلاد الشام وفلسطين، واشتغل البعض الآخر كعمال لدى الإقطاعيين الأقباط بمصر، والذين كانوا يعاملونهم معاملة العبيد "الرقيق" ويستهزئون بهم، وهم في مجموعهم كانوا من المجاهدين والفرسان وأولاد المشايخ والأعيان في بلادهم، وخاطب أحد الأقباط أحدهم وهو المجاهد محمد أبو بكر الرفي العوامي، الذي كان برتبة يوزباشي مع المجاهدين ويعمل

عامل تنظيف القطن لدى القبطي، الذي كان يملك فرسا، فأعجبت المجاهد وأخذ يتفقدها، فشاهده القبطي فناداه وأراد أن يسخر منه فقال: هل أنت تعرف الخيول يا عربي "بدوي"؟ هل أنت تعرف شرب الشاي الأخضر يا عربي ؟ وكأن امتلاك الخيول وشرب الشاي من مظاهر الأرستقراطية لدى الأقباط فتنهد المجاهد اليوزباشي والذي أصبح في آخر أيامه يعمل في تنظيف القطن مقابل قرشين اثنين في اليوم، أو بالأحرى مقابل رغيف خبز واحد وقال :

نالقـــاني نعرف الشاهي ونعرف كاره ✧✧ وركوب من إقد الدير في مشواره
نـــعـــــــرف قـــــــــده ✧✧ وركوب من اتنخط خايله بالعده
اركابهـــا يوقـــد كمـــا الهلوبـــه ✧✧ وشـــاريتها تشهر كما لنظاره
ودقـــره أتـــزهى والحـــلاط جديدي ✧✧ وعائلة احذاي أتقول ريش أحباره
انصـــارت الـــزقة إجوأتقول صقوره ✧✧ إيفكـــوا كحـــيلة لانجو غواره

إلي أن يقول:

أومـــال الـــزمان اليوم حط عليهم ✧✧ في بالعذ (موقع) إنفوا أقطان الحارة
والله يحفـــروا بالفـــأس دبـــر ديهم ✧✧ يـــا نويرتي بالحيل يالعصاره (26)

وكانت هذه الظروف هي التي جعلت نشاط الجالية الليبية بمصر أقل منه في باقي البلدان العربية الأخرى، واستطاعت السلطات الإيطالية بالتعاون

مع حكومة إسماعيل صدقي باشا المصرية منع احتفال التأبين الذي كان يريد إقامته السيد أحمد باشا الباسل ببيته بتاريخ 2 من رجب 1350هـ الموافق 13 من نوفمبر 1931م، عندما منع الحاضرون من الوصول إلى مكان الاحتفال كما استطاعت السلطات الإيطالية ضرب حصار حديدي حول الطلاب العرب الليبيين بالأزهر الشريف، والذين اتصل بهم رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية عن طريق الطالب الجزائري سعيد طيب بغية حثهم على القيام بأعمال دعائية للقضية الوطنية ،وكان رد سعيد الجزائري الذي أوضح فيه وضع الليبيين

بالأزهر ".. أن اليد الحديدية التي جعلت في أعناقهم (الطلبة) السلاسل والأغلال لا تمكنهم أن يعلموا من ذلك شيئا، ولاسيما في هذه المدة الأخيرة.." ويتضح نوع المراقبة الإيطالية المكثفة على الطلبة الليبيين، حتى أنهم أجبروا على البقاء بمباني خاصة، تخضع لإشراف ورعاية أعضاء السفارة الإيطالية وأعوانهم، وتم تشديد تلك الحراسة وأحكام ذلك الطوق في الأيام الأخيرة، أي الفترة التي نفذت فيها السلطات الإيطالية حكم الإعدام في عمر المختار، وهكذا لم يظهر كيان المهاجرين السياسيين في مصر إلا بعد إعلان الحرب العالمية الثانية في 1939/9/3م، واستطاعوا الإعلان صراحة عن تشكيل اللجنة الطرابلسية البرقاوية، واحتفلوا رسميا عقب طرد القوات الإيطالية من طرابلس وبرقة في أكتوبر 1943م ويمكن القول: إن اهتمام بعض الصحف المصرية بقضية إعدام عمر المختار في 1931/9/16م ناتج عن نضوج الوعي القومي في مصر العروبة مصر أحمد عرابي ومصطفي كامل، وقد طالعتنا جمعية اللطائف المصرية المصورة في عددها بتاريخ 1931/9/28م بمقالة تحت عنوان: "عمر المختار شهيد التشفي والاستعمار" وحاول كاتب المقال أن يقوم بتشريح كيان الاستعمار وأشكاله بالوطن العربي فذكر عبد القادر الجزائري وبطولاته ضد الفرنسيين، والخطابي، وأحمد عرابي والذين تلقوا العفو من الدول الاستعمارية كعمل حضاري وتصرف راقي (كذا) "بينما ابتلي العرب في ليبيا بأسوأ أنواع الاستعمار وهو الاستعمار الإيطالي الذي تجاهل تعليم العلماء والمصلحين في العصر الحديث لا تقتلوا أسيرا، لا تجهزوا على جريح، لا تقربوا المستضعفين والنساء والشيوخ والأولاد ولكن الأسير والشهيد كان حظه من الاستعمار الحديث أسوأ الحظوظ وقامت إيطاليا بإعدامه للانتقام منه والتشفى فيه، نظرا لما قام به ضدها من نضال وصرامة في النـــزاع والقتال، ورأت اللطائف أنه قريبا ستنبت العشرات أمثال عمر المختار، بعد أن روت التربة هناك وأخصبها دمه المهدور، ويمكن أن يكون الهدف من هذا النص جعل أبناء ليبيا متحفزين ليوم الخلاص، والانتقام من المستعمرين خاصة وأن الكاتب حرض العرب على أخذ الثأر من الأعداء بقوله :

(أجهل المستعمرون الثأر عند العرب ..) وحث أهل الشرق على مواصلة الكفاح انتقاما لشهيد الأمة، الذي يجب أن نستلهم من قصة حياته وجهاده طريق الخلاص من المستعمرين فيقول " إن هذا الشرق .. لا يستطيع السكون طويلا على الضيم والمهانة وهو يقرأ صباح مساء تاريخ أمجاده في كل الظروف، ويستحضر في كل ضيق ما كان عليه أمثال عمر، وطارق، وعبد الرحمن الداخل، وهارون، والمأمون، وصلاح الدين الأيوبي "ويحذر الكاتب الغزاة من أن " أجراس الإيذان بالساعة أخذت تدق " ويشتم القارئ من هذه المقالة الوعي العربي في مصر، حتى انهم تمكنوا من التنديد بالاستعمار والمستعمرين كما أن العلاقة بين إنجلترا وإيطاليا قد شابها نوع من القصور حتى إن الصحيفة تحدثت بشكل مباشر عن مساوئ الاستعمار الإيطالي في ليبيا دون أن تهتم بالنفوذ الإيطالي داخل مصر .

أما في العراق التي كانت تعاني الاستعمار الإنجليزي، فقد انعكست تلك الفاجعة على مشاعر الناس، حيث ملأت قلوبهم حزنا وألما وجاء ذلك الشعور على هيئة قصائد شعرية، ومقالات كانت تمجد شخصية الفقيد، وتنعى استشهاده ودونت العناوين باللون البارز الأسود لمعظم الصحف العراقية، كالإخاء، والوطن والأخبار، والعالم العربي، وصحيفة العراق، والنهضة، والاستقلال، والأهالي، وغيرها ،وقد أبرزت صحيفة العراق هذا الحدث وأثاره الجسيمة والضجة الكبرى العالمية التي أحدثها في العالمين العربي والإسلامي فقالت :

" كان لهذا النبأ محملة البرق إلى العالم صدى أسف واستياء عظيمين في البلاد العربية بل في كل موطن، يقدر البطولة، ويمجد الوطنية، ويقدس التضحية في سبيل الواجب .." فيما جاء في جريدة العالم العربي عدد رقم 11 بتاريخ 24 رجب 1350هـ الموافق 5 ديسمبر 1931م قصيدة شعر بالفصحى استهلها الشاعر محمد الطيب أبو راوي بقوله :

الله أكبر سبحان المعز لمن ✦✦ يقيم للدين وزنا وهو يرفعه
محا عن الملة السمحاء كل ردى ✦✦ مؤيد شوكة الإسلام يجمعه

وشيد الصرح في أوج علية رست ✦✦ دعـــائم الملـــك لا يهتز موضعه

ويصف الشاعر عمر المختار بالشجاعة والإقدام والصدق والثبات على المبدأ وهو يقارع جيوش الأعداء الجرارة وكأنه الليث الجسور، والغضنفر الذي يرهب الأعداء الجرارة ويفزعهم بروعة جهاده فيقول :

بـــل أنت يا عمر المختار من عرف ✦✦ إلا قدام منك وفيك الله مودعة
جبـــت الفيافي بلا خوف ولا وجل ✦✦ مبارزا صدمات الكفر تنتزعه
معارضـــا قـــوة الجيش المريع ولا ✦✦ شـــيء يرعك مذواناك أروعه

ويصف صدى نعى عمر المختار الذي عم أقطار الوطن العربي، وتجاوزها إلى العالم كله وذاقت الإنسانية بفقده الآلام الحمام فيقول :

هذا صدى نعيك المبرور سار إلى ✦✦ الأقطـــار حـــزنا وذلـــك الجرم
فـــالله يعـــلم مـــا ذقـــنا بفقدك ✦✦ ألام الحمـــام ومـــا كـــنا نجرعه
وكيف ساد الإلى كانت فضائلهم ✦✦ في الغزو حتى فشا ما نحن نسمعه[31]

ولقد وضعت الصحف العراقية الشهيد عمر المختار في مصاف الأبطال الذين خلدهم التاريخ في القرن العشرين، وهو الثالث بعد الخطابي والجزائري .

كما تقول صحيفة العالم العربي، والجدير بالذكر في هذا المقام أن جهاد أبناء الأمة العربية ضد الاستعمار من الأهداف النبيلة التي يضحى من أجلها كل حر عربي، وجهاد الأمة العربية امتداد شاسع يكمل بعضه بعضا ومع الاتفاق في الهدف، إلا أنني أرى الفرق شاسعا عندما نستقرئ التاريخ، حيث إن عمر المختار لم يقبل طيلة فترة جهاده بالمساومة، رغم أنه جنح للسلم عندما طلبوا السلام والتفاوض، وكانت المفاوضات بغية الحصول على الحق المشروع لأبناء وطنه، ولكنه رفض المرتبات الضخمة والقصور الفخمة ووظيفة مستشار تشاوره إيطاليا في جميع أمور البلاد ثم رفض العرض المقدم من الغزاة بأن يسافر منفيا إلى الحجاز،

ويبقى بجوار أحمد الشريف أو إلى القاهرة بجوار إدريس السنوسى ولكنه رفض أيضا وهدفه الوحيد أن يقبل بالإيطاليين كتجار على السواحل فقط وكان بوسعه أن يترك الحسن الرضا يتصرف كممثل للسنوسية كيفما شاء، ويقبل بتغيير المطالب والشروط إذا صدقنا ما قاله غراتسيانى، من أنه خادم مطيع للسنوسية، بل أحتج احتجاجا شديدا ورفض قبول الإهانة، وترك الحسن ومن معه، وأسس جناحا جديدا للمقاومة الشريفة، فكيف لنا بعد هذه النفحات وهى قليل من كثير من أفعال البطل أن نقارنه بغيره، أو أن نجعله في المرتبة الثالثة؟ وبحق يمكن اعتباره الظاهرة النادرة الوحيدة التي ظهرت في الثلث الأول من القرن العشرين، وهاهي الصحيفة نفسها تستطر وتمجد الشهيد وتفضله عن أبطال الحرب العالمية الأولى، لأنه كان بطل الحرية والمدافع عنها [32]، ولقد حاولت الصحف العراقية أن تميز حركة عمر المختار بعد سنة 1923م، عندما أشارت إلى النهج الثوري الذي سلكه عمر المختار واستطاع به أن يطور حركة الكفاح كما كانت عليه بشكل تقليدي في السنوات السابقة، وتأكد لديها عمق تلك الثورة التي أمدها عمر المختار بغريزته الثورية بكل قوة حتى استوعبت قدرتها على الاستمرار، وفق المبادئ الثورية السامية للحرية والاستقلال، فتقول الصحيفة في رد لها على محاولات غراتسيانى إعطاء مبلغ مالي لمن يأتي برأس عمر المختار "فإنه ليس حول عمر المختار رجل واحد يمكن أن يخونه، بل إن حياة جميع أنصاره منوطة بحياته "[33] وكانت النتيجة التي جنتها إيطاليا من قتل الشهيد عمر المختار عكس ما كانت تتصور، فقد خاب ساستها وقادتها العسكريين في الوصول إلى أهدافهم وقمع المقاومة، فها هي روح عمر المختار تقاتلهم على طول ساحة الوطن العربي فأصبح عمر المختار شهيد الوطن العربي وفقيد العالم الإسلامي بأسره، لا طرابلس فقط وأصبحت روحه تقاتلهم هذه المرة، باستنزال للعنات على الطغاة الطليان، وأصبح عمر المختار مثلا خالدا لكل عربى مناضل يجدد فيه حيويته، ويستلهم من سيرته القدرة على الاستمرار في مقاومة الاستعمار، وتحقيق النصر وأصبحت ذكراه لهلا يرتوي منه النشىء العربي معاني الوطنية والفداء، وما الخطاب الذي أرسله مفتى الموصل الشيخ

حبيب العبيدى إلى موسوليني الذي حاول استدرار عطف العرب واستمالتهم للتخلى عن حملة الاحتجاج والتنديد بالسياسة الإيطالية أثر جريمة إعدام عمر المختار ذلك الخطاب يعد دليلا على سير أحرار العرب من الشباب والشيوخ على الطريق الذي رسمه عمر المختار لأبناء أمته، فيقول الخطاب: " ... من الخطأ في الرأي إذا ما وقع عصفور في شبكة صياد أن يرى نفسه قد أصطاد كامل الطيور حتى العقبان والنسور، وقد جربت أسود طرابلس وبرقة فعلموكم هو الكفاح .. أذكرك بان لا تسيء الظن في ذاكرة العربي .. فليس في استطاعته أن ينسى عمر المختار في بضع سنين .. " [34] .

ولقد تابعت الصحف العراقية إحياء ذكرى عمر المختار كلما دعتها الضرورة القومية الوطنية للكتابة عن حركة النضال في ليبيا، كرمز للنضال العربي بشكل عام ضد الاستعمار الأوربي، وقد جابهت تلك الصحف العديد من الضغوط من قبل الأنظمة السياسية المتعاقبة على العراق، ولكنها استمرت في الكتابة عن ذكرى عمر المختار حتى بوادر الحرب العالمية الثانية.

أما فيما يتعلق بالمغرب العربي فقد برز إلى حيز الوجود مجهود بعض المهاجرين الليبيين: أمثال محمد شكري، سالم بن عبد النبي الزنتانى، وأحمد زارم ومحمد عباس في تونس، التي استقبلت أعدادا غفيرة من المهاجرين من منطقة طرابلس وفزان والضواحي المحيطة بهما، والذين يقدر عددهم بحوالي عشرين ألف [35] ويخضع هذا العدد للزيادة والنقصان نظرا لحركة الخروج والدخول المتزايدة من قبل المهاجرين من وإلى تونس، وذلك في الفترة من (1911 - 1916) قبل وصول الفاشيست السلطة ومن " 1922 - 1932 " بعد وصولهم ولقد اتسم نشاط المهاجرين الليبيين بتونس بنوع من الركود نظرا للعلاقة الطيبة التي كانت بين الدولتين الاستعماريتين أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها بقليل، ورغم حدوث بعض الفتور في تلك العلاقات إلا أن تعاون الدولتين استمر، وخاصة في مجال متابعة المهاجرين الليبيين والحد من نشاطهم داخل تونس، ويعد هذا التعاون في إطار قمع حركة الكفاح الوطني في ليبيا ضمن الأهداف الأساسية للقضاء على

الحركة القومية العربية التي لو انتصرت في ليبيا فسوف يمتد سناها إلى تونس، وما حادثة الجلاز ببعد عن أذهان الفرنسيين في تونس ولقد تابعت الصحف التونسية أخبار المجاهدين في طرابلس، وكان ذلك بشيء مقضب في محاولة فرنسية للقبض على العصا من منتصفها، والمحافظة على علاقة طيبة بجارتها إيطاليا، مع إيجاد إدارة ضغط عليها في نفس الوقت، وظهر في هذا الازدواج في السياسة الفرنسية، عندما لاحت في الأفق بوادر الحرب الكونية الثانية، وأزداد هذيان موسوليني وتهديده باكتساح العالم، والسيطرة على الدول المجاورة لليبيا والمطالبة بالتعويض عن خسائر إيطاليا أثناء الحرب الأولى، التي ظهرت عقب تقسيم التركة خالية الوفاض، وتجددت مطالبتها بتونس، وهذا أثار حفيظة فرنسا وأصبحت تتصرف بحذر حيال أطماع موسوليني، فتارة تحاول إرضاءه على حساب القضية الوطنية في ليبيا، وتارة أخرى تصطدم مصالحها بمصالح موسوليني، وهكذا لأول مرة سمح للصحف التونسية بمتابعة أحداث إعدام عمر المختار، وظهر نشاط الجالية العربية الليبية بشكل واضح عقب وصول رسالة السيد بشير السعداوى إلى الطلبة العرب الليبيين بجامع الزيتونة بتونس [36] وقام الطالب محمد عباس المصراتى بالرد على الرسالة في 5 رجب 1350هـ الموافق 16 نوفمبر 1931، حيث يقول:

"لقد قمنا بما يحثنا عليه الدين والوطن من جهة بطلنا الأمير عمر المختار رحمه الله رحمة واسعة ما أنقض ليل وجاء نهار .. وأقمنا صلاة الغائب على روح فقيدنا وقد أخذ هذا الاجتماع رنه عظيمة ..واعتبارا كبيرا في نفوس إخواننا الطرابلسين، وأكثر السادة التونسيين وقد حضره أغلب أشرافهم كأهل الصحف والمحاميين وغيرهم من أهل البيوتات المحترمة والذات البارزة، وقد سالت الدموع في هذا الاجتماع وارتفعت الزفرات ..."[37].

ولأول مرة يتم الإعلان عن تشكيل لجنة الدفاع الطرابلسى البرقاوى في تونس وظهرت في هذا الاحتفال إلى حيز الوجود للعامة، وهى مشكلة من 12 عضوا، ومقسمة إلى ثلاث هيئات رئيسية " إدارية - مالية- دعائية " وترأسها السيد شكري الطرابلسى [38] واستطاعت تلك اللجنة طبع عدد نسخ من صورة

الشهيد عمر المختار، وتوزيعها على الصحف التونسية التي تناقلت خبر إعدامه، وجاء في صحيفة لسان الشعب الخبر تحت عنوان "مات المجاهد الكبير - خطب عظيم ومصاب أليم"، وقالت الصحيفة "لا نريد أن نتساءل عن مخازى هذه المدنية الزائفة، التي تحكم بالصلب على شيخ جليل في السبعين من عمره، وقبض عليه العدو وفي ساحة الحرب وهو يناضل عن حرية بلاده، ويجاهد في سبيل أمته"[39] ويلاحظ المطلع على نص هذه المقالة أنها تعرضت بشكل واضح للجرائم الفاشستية، ونددت بفظائعهم المريعة، وأظهرت روح التشفي الانحطاط عندهم، وحددت الصحيفة الصادرة يوم الأربعاء أن يكون يوم الجمعة القادمة موعدا لاحتفال العرب والمسلمين ومعهم أحرار العالم بذكرى إعدام عمر المختار، وأداء صلاة الغائب على روح الفقيد، وفي هذا الإطار نشرت جريدة الصراب في عددها (673) خبر تأبين عمر المختار في مقالة بعنوان: "تأبين بطل طرابلس العظيم المبرور عمر المختار" وتقول "يوم الجمعة الماضي أقام أعيان ووجوه طرابلس الغرب بهذا الطرف احتفالا دينيا رهيبا .. "وتستطرد الصحيفة فتقول" .. وعلى كل فإن العالم العربي الذي أهتز لهذه الكارثة وماد ميدانا عظيما لا ينسى هذا البطل وما قام به من الأعمال الجليلة في سبيل الله والوطن ..[40] وطالبت الصحيفة العرب بعدم التسامح في هذه الجريمة وغفرانها للإيطاليين الذين تجاهلوا مشاعر العرب، ثم انهم تجاهلوا الحق المشروع للزعيم عمر المختار في الدفاع عن دينه ووطنه، وليس بقاطع طريق كما يزعم الإيطاليون، ولقد تناولت صحيفة لسان الشعب خبر الاحتفال بتأبين الشهيد عمر المختار، وأظهرت موقف التونسيين من هذا الحادث المروع عندما تقول " لقد كان لفاجعة الشهيد عمر المختار تأثير شديد وكدر عميق في العالم الإسلامي عموما، وفي تونس خصوصا " .

كما أظهرت دور الجالية الطرابلسية التي تمكنت من إصدار منشورها الوطني الأول، وتستنهض همم المهاجرين، وتحثهم على التمسك بمواقفهم النضالية رغم الصدمات والعثرات، وتثير به الحميه الوطنية في نفوسهم، تفاديا لما قد تصاب به من الذهول بسبب هذه الكارثة الأليمة [41] وعلى أثر هذا الاستنهاض عقدت

الجالية اجتماعا موسعا حضره عدد من المفكرين والصحفيين في تونس، وكان ذلك يوم الجمعة 4 جمادى الثاني، ونعت الشهيد في هذا الاجتماع بفقيد العالم الإسلامي، بدلا من فقيد طرابلس، أو فقيد العرب، وذكرت الصحيفة أسماء بعض المهاجرين العرب الليبيين بتونس والذين هم من أعيان القوم والمنضمين للاحتفال[42].

أما صحيفة النهضة التونسية فقد تناولت بإسهاب قصة نضال عمر المختار وسيرة حياته واعتبرته ضحية المدنية الفاشيستية المزيفة، ويتضح استعمال كلمة الفاشيست بشكل واضح عنها في الصحف العربية بالمشرق، نظرا للاحتكاك الناشئ عن تجاور الدولتين الاستعماريتين في تونس وليبيا، وهى محاولة فرنسية للتنديد بالفاشيست، الذين باتوا يجاورنهم وينغصون حياتهم بالشعارات المخيفة التي كانوا يطلقونها بين الفنية والأخرى، واعتبرت الصحيفة الاعتداء الإيطالي على شخص عمر المختار هو اعتداء على الشعور الإسلامي، وإن الإيطاليين يعتقدون أن الثورة ستنتهي في طرابلس عقب اقترافهم لجريمتهم، فليفهموا قول الشهيد قبل موته " أن مت فستستمر الثورة على الباطل بعدى " وتطرقت الصحيفة إلى المجهودات التي قام بها غراتسيانى أثناء مقارعته لعمر المختار، وكيف أنه عجز عجزا تاما عن خوض المعارك ضده مع وجود الفارق في العدد والعدة وهكذا التجأ إلى الدخول في مفاوضات مع عمر المختار وطالب صاغرا بهدنة مدتها خمسون يوما، وتستعرض الصحيفة شروط عمر المختار التي وصفتها بالميثاق الوطني[43] وقد تابعت الصحافة في تونس حادثة إعدام عمر المختار منذ وصول رسالة رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية السيد بشير السعداوى، بعد أقل من شهر من الحادث وفي مقالة بعنوان: " صوت من وراء البحار ينجى على قتلة عمر المختار" نقلا عن مجلتي الكويت والعراق تحدثت الصحيفة عن المقالة الحارة، التي سطرها أحد المواطنين من جاوى في رثاء فقيد أفريقيا، بل الإسلام أجمع كما تقول الصحيفة وأظهرت هذه المقالة اهتمام العالم الإسلامي أجمع بهذا الحادث الأليم، اهتزت لمنعاه سائر البلاد الإسلامية من سواحل البحر المتوسط إلى المحيط الهندي، فيقول كاتب المقال " في ذمة الله يا عمر، لقد ذهبت حيث الراحة الأبدية

والسعادة الخالدة ولكنك لا تذهب إلا بجسمك الفاني ،ولم تذهب إلا بقامتك المعتدلة المهيبة، لأن روحك السامية ومبادئك الوطنية العالية مازالت ولا تزال مثل أعلى للدفاع عن الوطن وعن كرامة أبناء الوطن ويعبر هذا المقال عن الحسرة والألم لدى المسلمين في أقطار جاوى، أثر هذه الجريمة البشعة ثم انهم ربما تخف عندهم مسؤولية القتلة الطليان، لو أن عمر المختار استشهد في ساحة المعركة، وسجلوا بذلك على أنفسهم جريمة لن تغفر، وعارا لن يمسح فأطلقوا عليه الرصاص " كذا " وهو مكتوف الأيدي، وها هي معالم المدينة الزائفة كما يقول كاتب المقال التي يتحجج أصحابها بأنهم جاءوا لاسعاد البشر[44] ولقد تكررت الاحتفالات التأبينية بالذكرى السنوية الأولى لإعدام عمر المختار بتونس فقد أوردت صحيفة لسان الشعب في عدد (503) تحت عنوان " الجالية الطرابلسية البرقاوية تحيى ذكرى "عمر المختار" خبر إحياء تلك الذكرى من قبل أبناء الجالية ومشاركة التونسيين لهم حيث قالت " أنه في يوم الجمعة 12 جمادى الثاني 1350 هـ وعقب صلاة العصر، أقامت الجالية الطرابلسية البرقاوية بالقطر التونسي حفلة لإحياء ذكرى الزعيم مولانا عمر المختار .

وجددت الصحيفة التنديد بالجريمة، اعتبرت إعدام عمر المختار بمثابة خروج صارخ عن كافة الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية التي لا تسمح بإعدام واحد من اثنين أما أسير أو طاعن في السن، وقد اجتمعا معا في شخص الزعيم الراحل عمر المختار وعبرت الصحيفة عن التفاؤل أثر مشاركة الشباب المسلمين في الشمال الأفريقي لإحياء هذه الذكرى، وقالت " .. أن دل على شيء فإنما يدل على الروح الطيبة والمقاصد السامية " [45] وفى إطار الصحوة العربية .

يتضح أسلوب الصحيفة، كونها تنبه إلى المصير المشترك لأبناء الأمة العربية التي اتخذت من هذه الذكرى الأليمة توحيدا لمشاعرها، ونبذا لخلافاتها والتطاحن فيما بينهم، وعبروا بذلك عن تلاحم الأقطار العربية في الشرق والغرب. ويرجع الفضل إلى شهيد الأمة عمر المختار الذي ولد هذا الإحساس المشترك، أتاح للعرب فرصة التنادي والاحتفال بالذكرى السنوية للشهيد، وشعروا بواقعهم الممزق الذي

كان من الأحرى بهم أن يحسوا بإحساس واحد، وهم أمة واحدة في الأصل تؤبن أحد أبطالها العظام، ويتضح من المقالة أن العرب في المشرق والمغرب يتعرضون إلى محاولة قطع الروابط بينهم، وفصم عرى وحدتهم ومما يشير إلى الصحوة العربية في تونس مشاركة أعضاء الحزب الدستوري التونسي في احتفالات الجالية الطرابلسية بذكرى إعدام عمر المختار، حيث أقيم احتفال بتاريخ 1932/10/12م بدار النادي المركزي للحزب الحر الدستوري، وحضره جمع غفير من أبناء المسلمين، وأستهل الحفل بمرور سنة على إعدام عمر المختار - الأستاذ محيى الدين القليبي أمين الحزب، بخطاب تناول فيه قصة حياة عمر المختار، ومبلغ تأثير الفاجعة في العالم الإسلامي، وطالب بمقاطعة كل ما هو إيطالي[46] ونعى المجتمعون عمر المختار واعتبروه خسارة عالمية، حيث كان رمزا للبطولة والفداء " فبفقده فقدت البطولة فذا من أفذاذها والزعامة ركنا من أركانها..[47]. وقد رثاه بعض الشعراء التونسيين نذكر منهم الشاعر محمود أبي رقيبه الذي اعتبر جهاد عمر المختار واستشهاده لا يخلو من العبر والدروس التاريخية الهامة للأجيال القادمة فيقول :

مضـــى عمـــر المختار لله رافلا ++ بثوث نقى حيك من خالص الطهر
مضـــى عمر المختار لله بعدما ++ قضى الواجب الأسمى بأغلى ذرى
مضـــى عمـــر المختار لله هانئا ++ سعيدا شهيدا وانطوت صفحة الدهر
ومـــن دمه المسفوك سطر أية ++ سيحفظها التاريخ بالحمد والشكر[48]

ويصف لنا الشاعر التونسى صالح السويسى القيروانى استشهاد عمر المختار بقصيدة عنوانها "أفتح جنانك" بين خلالها روح عمر المختار بالجنة النعيمة، ويعتبر إن الدفاع عن الأوطان مصدر كل مفخرة وان أحفاد عمر المختار سيبذلون دماؤهم في سبيل حب وطنهم وربما ذلك يعد تورية لدى الشاعر يحث من خلالها التونسيين على خوض غمار الكفاح ضد الفرنسيين مقتدين بتضحيات إخوانهم الليبيين فيقول :

افتح جنانك يا رضوان مغتنما ++ أنسا فذا عمر المختار قد قدما

شـــيخ إلى يثاب صرجت بدم ++ كأنهـــا الشفق المحمر فوق سما
شيخ ملائكة الرحمات قد حضرت ++ في يوم شهده والخطب قد عظما

إلى أن يقول:

أن الدفاع عن الوطن مفخرة ++ ومـــن يمت مات بين الخلق محترما
فالملك بالبغى لم تثبت قواعده ++ وكـــم رأينا أساس البغى قد هدما
قد خلف الشيخ اسادا دماؤهم ++ فى حب اوطانهم مبذولة قسما[49]

وكان لمجهودات الجالية الليبية، في تونس أثر على سمعة إيطاليا وصدمة عنيفة مخيبة لأمالها وكبحا قويا لدعايتها في هذه الصقاع بسبب المناشير التي كانت توزع والمقالات والقصائد التي كانت تنشر في صحف تونس التي كانت تسيل ذكراها لعاب موسوليني .. وهكذا تم إبطال مفعول الدعاية الإيطالية بالمغرب العربي عموما وعلى الساحة التونسية بشكل خاص بفضل مجهودات المهاجرين الليبيين وصحوة التونسيين الذين كانوا شديدي الإحساس بالإخوة العربية وعميقوا الشعور بالحمية الإسلامية[50].

و لم يكن صدى إعدام عمر المختار واضحا في الجزائر رغم الاهتمام الملحوظ بالقضية الليبية من قبل الجزائريين الذين رأوا في الاحتلال الإيطالي لليبيا إعادة لمأساتهم القومية وصورة طبق الأصل لما حل بهم على يد الفرنسيين، كما اعتبروا كفاح عمر المختار ضد الاستعمار الإيطالي امتدادا لكفاحهم، وإحياء لبطولاتهم وفى جانب آخر كان الصراع بين الدولتين الاستعماريتين قد خلق تنافسا فيما بينهما، حيث حاولت إيطاليا أن تعطى صورة براقة لاستعمارها، قصد كسب التأثير وإيجاد السند لأطماعها في كل من تونس والجزائر فيما حاولت فرنسا أيضا أن تشهر بالسياسة الإيطالية القمعية في الشمال الأفريقي، وخاصة لليبيا وأصبحت فرنسا تراقب عن كثب تطور المقاومة الوطنية بزعامة عمر المختار، وفى جانب الجناح الوطني الجزائري مثلت جمعية علماء المسلمين ورئيسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس وجهة النظر الجزائرية حيال كفاح عمر المختار، وأعتبر كفاحه جزءا

من كفاح الأمة العربية الإسلامية، لبعث الماضي العريق، وتجديد روح الإسلام، وذلك بتعميق فكرة الأخوة العربية الإسلامية، التي تجمع بين أبناء ليبيا والجزائر وفى هذا المجال نشرت صحيفة الشهاب ثلاث صور لزعماء عرب استشهدوا على أيدي المستعمرين الإيطاليين والفرنسيين والإنجليز (51) وكانت أولهما لعمر المختار، وكتب عليها: عمر المختار ضحية الاستعمار الإيطالي ونشرت الصحيفة جزءا من قصيدة أحمد شوقي في رثاء عمر المختار وحاولت الصحيفة تعرية النظام الفاشيستى في إطار الصراع الفرنسي الإيطالي، حيث فندت الدعاية الإيطالية المتعلقة بالاهتمام المتزايد بالمسلمين في ليبيا فقالت: ".. ومن الغرور الذي تصاب به الدول الطاغية أنها تحسب معسول كلامها ينسى الناس حنظل أعمالها .." واعتبرت الصحف الجزائرية القضية الليبية استعمارا فاشيستيا قمعيا القصد منه القضاء على الشعب العربي المسلم في ليبيا، وتصدت الصحف الجزائرية إلى الدعاية المفضوحة المبالغ فيها من قبل الإيطاليين، الذين تخالف أقوالهم أفعالهم، ولم يكن لدينا سوى أثر واضح وحيد ومتأخر جدا زمنيا عن موضوع دراستنا وهو قصيدة من نظم أمير الشعراء في الجزائر محمد آل العيد خليفة جاء فيها :

ومضـــى عمر الشهيد يقودهم ++ لـــلحرب يـــنام قامه الرئيال
كتـــب الآله له الشهادة مرة ++ لـــيفوز مـــنه بطعمها العسال
ويكـــون حيا غير ميت عنده ++ جـــذلان يرزق أطيب الآكال
فى كـــل قلب مؤمن ذكرى له ++ ايديه قرنت بطل جلال (52)

الهـــوامـــش

1) تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1920–1950) طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد العدو الإيطالي،1983م،ص31.

2) بن موسى، كفاح الليبيين، ص 61 ،44،57،61 .

3) صحيفة اليوم، العدد رقم (81، 29)، السنة الأولي، 15 تشرين الثانى سنة 1931م، ص5 .

4) بن موسى، كفاح الليبيين، ص 68 للمزيد أنظر الشكل رقم (43) صورة نشرت بمناسبة إحياء ذكرى الأربعين للشهيد عمر المختار .

5) بن موسى، كفاح الليبيين في بلاد الشام، ص 67 ، 70 .

6) صحيفة اليوم، العدد رقم (66–14)، السنة الأولى، بتاريخ 28 تشرين الأول سنة 1931م ص 5 للمريد راجع الملحق رقم [39] نص برقيات الاحتجاج

7) صحيفة اليوم، العدد رقم (65 –13)، السنة الأولي، بتاريخ 27 تشرين الأول سنة 1931م ص 44 .

8) صحيفة اليوم، العدد رقم (72–30) السنة الأولى، بتاريخ 3 تشرين الثانى/ نوفمبر سنة 931 م ص 5 .

9) المصدر السابق، ص 2 .

10) صحيفة اليوم، العدد رقم (66–14)، السنة الأولى، 8 تشرين الأول سنة 1931م ، ص 2.

11) صحيفة اليوم العدد رقم (63–14)السنة الأولي،25 تشرين الأول 1931م.

12) صحيفة اليوم، العدد رقم (83–31) السنة الأولى، 17 تشرين الثاني سنة 1931م ، ص2 .

13) محمد شعيب الفاشي، رواية أعدها الباحث، المرج 1978م، المعنى من بين الأشخاص الذين شاركوا في هذه الثورة ولا يزال على قيد الحياة .

14) صحيفة الفتح، العدد رقم (286) 20 رمضان 1350هـ، ص 9 .

15) صحيفة الجامعة العربية،العدد رقم(682)،16تشرين الأول 1931م ص1.

16) صحيفة الجامعة العربية، العدد رقم (913) السنة السادسة، 21 أيلول 1932م ص 1–4 .

17) محمد ميلاد مبارك، المجاهد المرحوم الحاج مصطفى الجزائري "شئ عن حياته وجهاده مجلة الشهيد، العدد السابع والثامن "، والسنة (86-87) وأكتوبر 1988م، ص224.

18) صحيفة الجامعة العربية، العدد رقم (741)، بتاريخ 30 تشرين الثانى 1931م ص1 .

19) صحيفة الرابطة الإسلامية القدس الشريف، بدون تاريخ نشر، ص 46-47 .

20) صحيفة العرب، العدد رقم (23)، 4 شباط سنة 1933 م، ص 13-14

21) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة ، (طرابلس دار الفرجانى 1976 م) ص 14.

22) مجيد خدورى، ليبيا الحديثة، ترجمة نقولا زيادة مراجعة ناصر الدين الاسد، (بيروت – نيويورك، دار الثقافة – الإشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر 1966م)، ص39.

23) الريفى، رواية شفوية، موسوعة روايات الجهاد، ص 49.

24) شكرى، السنوسية، 738.

25) الزاوى، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، ص 15.

26) صحيفة الطائف المصوّر، عدد رقم (868)، 28 سبتمبر 1931م، ص1-9.

27) الزاوى، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، ص 14.

28) جريدة العالم العربي، العدد [11] 24 رجب 1350، الموافق 5 ديسمبر 1931م، ص 15.

29) جريدة العالم العربي العدد رقم (2277) 16 أب 1931م ،ص 4 نقلا عن: رضا، موقف الحافة العراقية، ص 26.

30) جريدة العالم العربي، العدد نفسه .

31) جريدة الأهالى، بغداد 19 مارس 1944 م، ص 1: نقلا عن سعيد رضا موقف الصحافة العراقية، ص 26 .

32) الزاوى، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، ص 14 .

33) يقول المجاهد أحمد زارم في مذكراته أنه في يوم 1931/9/17م التقيت بصديقى الإيطالي .. وبعد تبادل التحية سأله هل هناك أخبار جديدة ؟ فقال نعم هناك خبر جميل، قلت ما هو ياصديقى ..؟ قال هناك شخص قاطع طريق عاش في البلاد فسادا يدعى "المختار" في سيرنايكه قبض عليه .. فأحسست أن جميع أمعائي قد نزلت الى أسفل واندفع قلبي في الخفقان بصورة يكاد يسمع دقاته محدثى ولكن أسررتها في نفسى و لم أشعر بشيء رغم وقع هذا الخبر الأليم على نفسى .."احمد

زارم، مذكراته (ليبيا – تونس) الدار العربية للكتاب، 1979م، ص 137.

34) شكرى، السنوسية ،ص 834.

35) شكري، السنوسية ،ص 837.

36) صحيفة لسان الشعب، العدد رقم (456)، بتاريخ 7 من اكتوبر 1931م، ص 3 للمزيد راجع: محمد صالح الجابرى ،يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، ص 2 (1912–1932) (ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب: 1982م) ص 645، ونلاحظ على هذا المرجع أنه لم يوافينا بأخبار الصحف حول أصداء إعدام عمر المختار إلا في عددين أثنين فقط من صحيفة لسان الشعب .

37) صحيفة الصواب، العدد رقم (673)، تونس في ت1931/10/16م، ص 2 .

38) زارم، المذكرات، ص 138.

39) صحيفة لسان الشعب عدد رقم (458) بتاريخ 21 / 10 / 1931م، ص 3، وأيضا للمزيد الأبرى، اليوميات، ص 648 .

40) صحيفة النهضة، العدد رقم (2589) بتاريخ 1931/10/24م، ص 1 ، 2 .

41) صحيفة الصواب ،العدد رقم (678) بتاريخ الجمعة 30 من رجب 1350هـ الموافق 11 من نوفمبر 1931م، ص 2.

42) صحيفة لسان الشعب، العدد رقم (503) السنة رقم [13] الأربعاء 18 جمادى الثاني 1301هـ الموافق 1932/10/19م، ص 3، للمزيد راجع الجبارى، اليوميات، ص 650 .

43) زارم، المذكرات، ص 142 .

44) صحيفة لسان الشعب ،العدد (502)، الأربعاء 11 جمادى الثانى 1351 هـ الموافق 1932/10/12، ص 3.

45) البربار وآخرون، عمر المختار، ص 178 .

46) جاد الموالى على الحرير، الليبي عند شعراء الأقطار العربية (طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدرسات التاريخية 1991م)، ص 334 .

47) شكرى، السنوسية، ص 836 .

48) ناصر الدين سعيدونى، أصداء كفاح عمر المختار في الجزائر " بحث مقدم الى مهرجان الشهيد عمر المختار، بنغازى، جامعة قاريونس، 1979م، ص9 .

49) المصدر السابق ص 11.

البحث الجغرافي التطبيقي بمنظور معايير الابتكار وآليات التقويم

□ أ. د / محمد أزهر سعيد السماك

❖ كلية الآداب والعلوم (المـرج)

هدف البحث ومنهجه (*):

شهدت السنوات التالية للحرب العالمية الثانية نموا مضطردا في الأبحاث الجغرافية بصفة عامة، وأبحاث الجغرافيا التطبيقية بصفة خاصة في العديد من دول العالم لا سيما دول العالم المتقدم. وكان من الطبيعي أن تشهد دول العالم النامي نموا ملحوظا في هذا الاتجاه. وأضحى مصطلح الجغرافيا التطبيقية هو الطابع الطاغي في عصرنا الحالي. والمقصود بالجغرافيا التطبيقية هو: تطبيق المنهج الجغرافي والتقنيات العلمية المساعدة في حل المشكلات البيئية الطبيعية والبشرية في إطار التنظيم الإقليمي لتلك البيئات .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية بذل الجغرافيون جل اهتمامهم في معالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية المعاصرة، مستخدمين أحدث التقنيات والوسائل في المعالجة كاستخدام الاستشعار عن بعد والصور الجوية والوسائل الكمية في البحث وأساليب المسح والتحليل. وقد أعانت تلك الأبحاث في تقديم الحلول والمشكلات قائمة في موضوعات النقل والتوطن الصناعي والمراكز الحضرية والتسويق والسياحة والتعليم والصحة .

ولم يألو الجغرافيون الأوربيون جهدا في هذا المجال. خاصة في ألمانيا والدول الاسكندنافية فاهتموا بمشكلات التخطيط الحضري والإقليمي والموضوعات ذات العلاقة بحاجات المجتمع ومتطلباته. كما أهتم الجغرافيون "الإنكليز" بدراسة مشكلات التجارة وإعادة التطوير الحضري والريفي في التخطيط الإقليمي. وبرز منهج دراسته استخدامات الأرض بشكل واضح وكان للجغرافي" L. D .stamp" دورا متميزا في هذا الشأن [1] .

(*) بحث مقدم إلى الملتقى الجغرافي الليبي الرابع الذي ينعقد بمدينة المرج في الفترة 9-11-4/1997 ف.

غير أن الجغرافيين الفرنسيين قد ركزوا دراساتهم على ضرورة التنظيم الإقليمي وكشف المشاكل الناجمة عن اعتماد مبدأ المركزية في التوطين للمنشآت المختلفة فانساقت أبحاثهم باتجاه تنظيم الأقاليم وعلاقاتها بالمستعمرات الفرنسية بقصد الوفورات الاقتصادية والإستراتيجية .

وكان لجغرافي دول أوربا الشرقية دورا واضحا وبارزا في مجالات البحث التطبيقي خاصة في موارد الثروة وتحسين البيئات وصيانتها وتطويرها والاهتمام بدراسة الكوارث الطبيعية والمشكلات الناجمة عنها .

وحذا بعض من جغرافي العالم النامي حذو زملائهم جغرافي العالم المتقدم وتبلورت دراسات جيدة في هذا الخصوص في بعض دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا. ويمكن أن نشير فقط إلى ما أنجزه بعض من جغرافي الأرجنتين والبرازيل ومصر وتونس وليبيا والعراق على وجه التحديد خاصة في مجال التخطيط الحضري والريفي ومعالجة مشكلات التوطن الصناعى والنقل والمواصلات. واتسعت دائرة تلك الأبحاث لتغطى العديد من دول العالم .ونما الكم الجغرافي بشكل واضح في العقدين الأخيرين على وجه التحديد .

وقد صاحب هذا الخضم الجغرافي المتزايد من الأبحاث أن تنوعت مستويات تلك الأبحاث في الأهداف والمناهج والوسائل والنتائج، واختلفت بالتالي في الكيف بشكل واضح. وبدأ البحث بشكل جدي عن معايير علمية محددة للتقويم والتمييز بين ما هو أصيل (مبتكر) وما سواه. وظهرت محاولات عديدة تضمنتها بعض من نماذج استمارات التقويم المعتمدة في الجامعات المختلفة .

بيد أن المتفحص لتلك الاستمارات يرقب عن كثب مواطن الخلل والانحدار الشديد في فهمها والحكم عليها بالتالي لأسباب ذاتية وموضوعية. ترتبط الأولى بمدى إدراك المقوم العلمي لماهية البحث الأصيل (المبتكر) وسماته العلمية المميزة. وتتعلق الثانية بافتقار الاستمارات بالخاصية القياسية الموزونة .

من هنا بدأ الاهتمام **بمشكلة هذا البحث** التي تتلخص في تحديد ماهية

معايير الأصالة في البحث الجغرافي التطبيقي وكيفية قياسها علميا ومنطقيا بعيدا عن البلاغة الإنشائية كما احتوتها الاستمارات المعمول بها حاليا .

وتتجسد **الفروض العلمية** لهذا البحث في أن هناك إدراكا محدودا لماهية البحث الأصيل ومعايير تحديده من قبل المحكمين أولا. وعدم وضوح الرؤية لبعض الباحثين أنفسهم في الكشف الرقمي والقياسي لعناصر الأصالة في البحث الجغرافي ثانيا. ونقصا شاخصا وعدم كفاءة في استمارات التقويم المعتمدة ثالثا .

وبغية التحقق من تلك الفروض الثلاثة اعتمدنا المنهج الاستنباطي في التحليل. هذا المنهج الذي يقوم على التصورات العقلية والنماذج البديهية في المقام الأول. منطلقين من إدراك فلسفي لجوهر العلم وماهيته وسماته.

وترتب على ذلك أن إنساب البحث في ثلاثة مسارات هي:

أولا: المرتكزات العلمية للبحث الجغرافي الأصيل .

ثانيا: معايير الأصالة في ظل القياس الرقمي .

ثالثا: الاستنتاجات .

ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن خبرتنا التخصصية والبحثية المتواضعة طيلة أكثر من ثلث قرن قد شكلت المدخلات الرئيسية لهذا البحث. في حين تجسدت مخرجاته بالاستمارة في النموذج المطروح في هذا المجال. فضلا عن استنتاجات هذا البحث الأخرى .

فان وفقنا فهذه غاية المنى. وقديما قيل من لا يدرك كله لا يترك جله

ومن الله سواء السبيل

محمد أزهر السماك

أولا: المرتكزات العلمية للبحث الجغرافي المبتكر :

1) الإدراك الفلسفي لجوهر العلم: [2]

يعرف العلم بأنه: المعرفة المنسقة المصنفة التي تفصح عن تفاعل الظواهر المحيطة بالإنسان، وسبيلها إلى ذلك مسألتان: الملاحظة وتكرار الملاحظة والتنبؤ بالضبط. أو هو [3]: المعرفة المجمعة بوسائل المنهج العلمي الذي يتمثل بدورة تضم الاستقراء والاستنباط والإثبات وأهدافها النهائية البحث من أجل تعميق النظريات وتطويرها فالفحص والبحث والتطور هو القاسم المشترك لها والعلم بجمل عام وما التخصصات إلا لفهم هذا المجمل. فإن أي تقسيم جدي للعلوم مسالة فيها وجهة نظر إلا إذا كانت تساعد في الفهم والإدراك لجوهرها وأبعادها .

وبالعلم نتوصل للتفسير المنطقي المعقول للأحداث والظاهرات المتنوعة في هذا الكون، فالإنسان يقف حائرا أمام الكثير من الظاهرات يبحث عن أجوبة لها، من هنا تتحدد قاعدة التفسير العلمي للظواهر طالما أن الظواهر تمثل انعكاسا للتشابك والتفاعل بين العوامل والمسببات المختلفة لها والتي يصعب فصل أو عزل بعضها علميا وان كان ذلك مقدور عليه نظريا [4].

وعليه فإن تضافر التخصصات المختلفة لمعالجة مشكلة ما أو ظاهرة معينة غدي أمرا غاية في الأهمية وإذا كان الأمر كذلك فإن علم الجغرافيا أحوج ما يكون للاضطلاع بمثل هذه المهام طالما أن الجغرافيا تعد أحد العلوم الواقعية أو علوم الحقائق كما تسمى. فلها محتوى تجريبي يعالج البيانات والحقائق من خلال علاقاتها المكانية المتداخلة والمترابطة مستعينة بالعلوم الصورية كالمنطق والرياضيات للإثبات أو النفي أو التأييد [5].

وترتيبا على ما تقدم فإن معالجة أية مشكلة جغرافية تطبيقية يقتضي أن يكون الهاجس الرئيسي للباحث هو أدراك لجوهر العلم كونه يستند على الملاحظة وتكرار الملاحظة والتنبؤ بالضبط من خلال تشابك العلاقات وتداخلها فيما يحدد أبعاد الظاهرة المدروسة ولنسوق مثالا في هذا المجال. فعندما ينوى باحث في الجغرافيا التطبيقية دراسة مشكلة ما ولنفرض دراسة الأبعاد الجغرافية السياسية للنشاط التجاري في الوطن العربي فأن عليه أن يدرك أن النشاط التجاري يمثل العمود الفقري

في القدرة الاقتصادية وبالتالي في القدوة السياسية والإستراتيجية طبقا لمناهج تحليل القوة وقد عبر باوندز (Pounds)[6] عن التجارة بأنها (سلاح سياسي قوى). وعبر (Knoor)[7] في أفكاره عن الإمكانية الاقتصادية للحرب أن بنية ومرونة الإنتاج من العناصر الرئيسية لقوة الدولة وهما العناصر الرئيسة لهيكل التجارة أما "برى" (Perry)[3] فقد خص محاولته لجرد القوة التجارية الخارجية بست بنود وقد أكد على قيمة التجارة ونصيب الفرد منها وكمية الصادرات وحجم الواردات وغيرها .

والنشاط التجاري أحد الوسائل المهمة لتحقيق التنمية والتقدم. فالعلاقة بين حجم التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي علاقة عضوية. فالصادرات تساهم في تنمية الدخل القومي لكونها انعكاسا حقيقيا لاستغلال الموارد المتاحة. وقناة من قنوات تصريف فائض الإنتاج أما الواردات فإنها توفر متطلبات الوحدة السياسية: السلعية والخدمية، التي تعد قاعدة التنمية الاقتصادية، لذلك غدت التجارة جزءا من الإستراتيجية الاقتصادية .

ويتلخص الغرض العلمي لدراسة النشاط التجاري في أن التجارة تشكل محور القوة الاقتصادية والسياسية بالتالي. وهى بالضرورة ثمرة من ثمار التفاعل التام بين ريع الموقع وهبات الموضع بين الجغرافيا والجيولوجيا بين الإنسان وموارده. فإذا كانت هذه الفرضية تمثل إطارا عاما للعلاقات بين الظواهر المختلفة المسؤولة عن حجم وتركيبة التجارة الخارجية فأنها تمثل المتغير المستقبل. وتمثل المؤشرات العديدة المعتمدة المتغيرات التابعة أو المعيارية كونها معيارا أو مقياسا للعلاقات المتبادلة بين الهيكل الجغرافي والتركيب السلعي للنشاط التجاري في الوطن العربي. في حين تمثل الأهداف المنتجة المقارنة من دول متقدمة ونامية المتغيرات الفاحصة أو الضابطة لأنها تستخدم في الكشف عن العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة. أذن هذا هو الإطار العام لمنهج هذه المشكلة .

وعليه، فإن البحث عن البيانات الأساسية للصادرات والواردات ولسلسلة زمنية معقولة لا تقل عن عشر سنوات لكافة أقطار الوطن العربي طبقا للتركيب السلعي والهيكل الجغرافي سواء للتجارة البينية أم التجارة الخارجية. وكذلك للأهداف المقارنة كدول نامية مثل تركيا وإيران أو غيرها. وأهداف منتخبة

كالمجموعة الاقتصادية الأوربية أو "منظمة التعاون والتنمية" تعد أمرا مهما كي نطبق عملية مفهوم الملاحظة وتكرار الملاحظة والشروع بالتنبؤ العلمي في هذا الخصوص كأن نعمد إلى حساب الاتجاهات العامة لتطور الصادرات والواردات وطبقا للتركيب السلعي والهيكل الجغرافي وفق مؤشرات رياضية محددة في هذا الشأن. أو نلجأ إلى قياس كمي للتبعية التجارية من خلال مؤشرات القياس الكمي المعتمدة: كأن نستخدم مؤشرات "التبادل الصافي" "الانكشاف الاقتصادي" "التركيز السلعي للصادرات" "التركيز الجغرافي للصادرات والواردات" "مؤشر التنوع والتركيز" ... إلخ [9].

ويمكن أن نطرح مثالا آخر في جغرافية الزراعة، فعند دراسة مشكلة في جغرافية الزراعة قد يسعى الباحث إلى توفير بيانات متنوعة عن الساحات الصالحة للزراعة والمساحات المزروعة وحجم الملكية وعدد المشتغلين والقيمة المضافة والناتج المحلى الزراعي وغيرها لسلسلة زمنية تكفى أجراء المقارنات من خلال المراحل المختلفة والمستويات المكانية المحددة، والتي تعكس أبعاد تطور الظاهرة المدروسة. وفى ذات الوقت تعينه في تحقيق السمة الثانية للعلم التنبؤ (التنبؤ بالضبط) من خلال طرح خيارات المستقبل عن طريق حسابات رياضية تساعده في تحقيق الهدف كمعادلات لاتجاه العام أو أيجاد المرونة الداخلية للطب أو قياس درجة المعنوية الحقيقية (طريقة المربعات الصفري) وغيرها. على أنه من الجدير بالذكر أن انتخاب الوسيلة الرياضية الملائمة يتم من خلال أدراك علمي دقيق لخصائصها ومدى صلاحيتها للتطبيق على الظاهرة المدروسة ففي حالة حساب المرونة الداخلية للطلب عند التنبؤ بمستقبل لاستهلاك من سلعة ما يجب أن نحدد طبيعة السلعة أولا. وعندها نحدد طول السلسلة الزمنية المتوقعة لأنه ليس من المعقول أن يستمر الطلب بالنمو على سلعة قابلة للإشباع بمجرد ارتفاع دخل الأفراد وهكذا .

فالتنوع المقصود عند دراسة أي ظاهرة أمر ضروري لصبغ الصفة العلمية في عملنا كجغرافيين. وهكذا هو الأسلوب ذاته الذي يعتمده زملاؤنا بالتخصصات العلمية المختلفة .

2: الالتزام بسياسيات نظم المعلومات :

انتهينا فيما تقدم إلى تحديد علمية الجغرافيا واقترانها بسمات العلم الرئيسة وخواصه، وإذا كان الأمر كذلك فإن المعالجة العلمية طبقا لأساسيات البحث العلمي ونظم المعلومات تعد السبيل الذي ينبغي أن يسلكه الجغرافي عند تصديه لأي مشكلة تطبيقية في اختصاصه. وإذا كان مثل هذه المعلومات قد نالت عناية المختصين والباحثين[10] فلا داعي للتفاصيل عنها هنا في هذا البحث بل سنركز الحديث فقط على أساسيات نظم المعلومات. متمثلة في المخطط التالي :

البيانات ..... نصف معلومة ..... معلومة ..... قرار

فالبيانات تشكل المادة الخام الأساسية لمعالجة أية مشكلة جغرافية مستمدة من الميدان أو الوسائل من النشرات الإحصائية الوثائقية ومن خلال أعدادها وتطويعها وتكيفها طبقا للفروض العلمية لمشكلة الباحث يهيئ الباحث. ما نسميه نصف معلومة تشكل بدورها المادة المستخدمة في الوصول إلى المعلومة. وذلك من خلال تحليلها في ضوء النظريات والقواعد المتاحة بالمصادر الرئيسة التي تعالج مشكلة كتلك التي يتصدى إليها الباحث ومن خلال الاستقراء أو الاستنباط - طبقا لمنهجه سينتهي حتما إلى تشخيص المشكلات وتوصيف المعالجات قد يعين صانع القرار الإداري أو الاقتصادي أو السياسي أو الفني أو غيرهم في اتخاذا اللازم من خلال استنتاجات البحث وخيارته المطروحة .

إن الالتزام بهذه الآلية عند التصدي لمعالجة مشكلة في الجغرافية التطبيقية كفيل بأن يقود إلى نتائج ذي بال قد تتأكد لاحقا من قبل باحثين آخرين وترقى عندها نتائج بحثه إلي مستوى القواعد، وربما قد تسهم في إذكاء الإطار النظري أو بناء النظرية في المستقبل .

3: المصادر الأصلية و الأساسية أو الرئيسة :

يمكن لأي باحث أن يحكم على أي بحث في الجغرافيا التطبيقية من خلال عدة مؤشرات منها ما سبق تحديده في موضوعي الإدراك الفلسفي لجوهر العلم والالتزام بأساسيات نظم المعلومات. ومنها ما يتعلق بالمصادر المستخدمة في البحث.

فقائمة المصادر ينبغي أن تنصب في قناتين رئيسين لكل باحث مبتكر أو أصيل هما :

أ – مصادر البيانات المستخدمة وفى هذه الحالة أما أن تكون مستمدة من العمل الحقلي (الميداني). أو في النشرات الإحصائية الرسمية أو المنظمات أو الهيئات الدولية المتخصصة أو الأمم المتحدة وما إلى ذلك طبقا للحالة المدروسة، لا أن يعتمد إطلاقا على بيانات الصحف والتصريحات والكتب الإعلامية والدعائية أو ما في حكمها لان في ذلك ليس خروج على مقومات البحث المبتكر فحسب بل تحدى سافر للبحث العلمي الموضوعي .

ب- المراجع الرئيسة التي تعالج نظرية ما أو مشكلة ذات علاقة أو لإحالة القاري إلى تفاصيل موضوع ما أثير في البحث. وعندها ستشكل المصادر الرئيسة والأجنبية وبحوث دوائر المعارف والدوريات المختلفة ورسائل الدكتوراه القاسم المشترك الأعظم لهذه المجموعة من المصادر .

4: منهجية البحث المبتكر :

ينبغي أن يحدد كل باحث مشكلة بحثه تحديدا دقيقا ثم يبين دوافع اختياره، مشخصا الفروض العلمية الرئيسة للبحث والفرضية إطار عام يصور العلاقة بين عناصر الظاهرة أو الروابط بين الظواهر وتفسيرها والعلم في سعيه للتوصل إلى نظرية لابد أن يسلك طريقا خاصا به يطلق عليه المنهج العلمي الذي يشمل الاستنباط أو الاستقراء. فالاستنباط يعتمد على الاستنتاج العقلي في الكشف عن الحقائق. وعليه ينبغي أن يكون الباحث ذا قدرة على التوقع الحدسي بطبيعة الأمور التي يزمع الكشف عنها أي ذا قدرة على التصور الذهني أو التخمين الذي يعين في بناء النماذج البديهية التي تلتزم حين بناء النظرية [11] ويستند المنهج الاستنباطي على القياس المنطقي. وهو يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات. إما المنهج الاستقرائي فيبدأ بالجزئيات وتنتهي بالكليات، أي أنه يركز على الحواس أكثر من التصورات العقلية [12] فهذا يستند على ملاحظة عناصر الظاهرة أو المشكلة ثم يحلل العلاقات القائمة بين مكوناتها .

عموما ينبغي لكل باحث أن يلتزم بمنهج محدد تبعا لمشكلة بحثه، يشكل

المسار أو الطريق الذي يسلكه في حل تلك المشكلة لا أن ينساق وراء النصوص أو البينات أو الحقائق المستمدة من المصادر والمراجع، عندها يفقد البحث منهجيته ويضحي مجموعة من النصوص المجتمعة دون ضبط منهج ما يربطها ولا يعينه على الوصول إلى نتائج محددة .

على أنه ينبغي التركيز بضرورة الالتزام بتحديد المتغيرات المستقلة منها والتابعة بسواء عند التصدي لأي مشكلة في الجغرافيا التطبيقية وكما مر بنا أنفا سواء في أي من المناهج المختارة. لأن في ذلك تطبيقا، أمينا لمحتوى العلم القائم على الملاحظة وتكرار الملاحظة حتى تصل إلى نتائج سليمة قدر المستطاع .

ولعل من نافلة القول أن نشير إلي أن المناهج المشار إليها تمثل المنهج الرئيسي أو القاسم المشترك للعلوم أو تاريخيا أو وظيفيا أو مورفولوجيا أو منهج تحليل القوة أو منهج نظرية الحقل الموحد أو منهج السلوك أو منهج تحليل الأنظمة لكنه في أي منها لن يخرج عن سقف المنهج العام المشار إليه في هذا البحث. وهكذا في فروع الجغرافيا التطبيقية الأخرى كل حسب مناهجه الفرعية التي لا تتقاطع بالضرورة مع المنهج العلم للبحث العلمي .

5: الإطار النظري :

تعد الموائمة بين النظرية والتطبيق أمرا غاية في الأهمية ويمكن تشبيه العلاقة بينهما في جسم الإنسان فالعمود الفقري والعضلات هو النظرية وما كساه من لحم فهذا التطبيق، فأي إسراف في أي منهما تشويه تام، وعليه ينبغي أن يضع الباحث نصب عينيه أن دراسة مشكلات ما ينبغي الرجوع إلى الإطار النظري لها في مصادر ومراجع من سبق أن أجانب وعرب في هذا الخصوص على مستوى الدراسات الأصلية كي تعينه في تفسير حقائق بحثه في المشكلة المدروسة إما أن يقتصر التحليل على البيانات والمعطيات المستمدة أو التي توصل إليها فقط ففي ذلك خطورة وتشويه لحقائق البحث الأصيل فعند دراسة مشكلة ما في جغرافية الصناعة ينبغي الرجوع إلى الدراسات والأبحاث التخصصية للمنظمات الدولية والإدارة الصناعية قبل السعي وراء كتب جغرافية الصناعة التي لا تعدوا أن تكون تجميعا لفئات ما سقط من أفواه متخصصين في حقل الاختصاص في الاقتصاد

والهندسة والإدارة الصناعية في المقام الأول، وباعتقادنا أن الباحث هنا ينبغي أن يلم بالنظرية الاقتصادية وبأساليب التحليل الجزئي والكلى قبل الاضطلاع بمهمة البحث في الجغرافيا الاقتصادية التطبيقية وخلافه سوف يكون عاجزا عن إنجاز بحث أصيل أو مبتكر ذا قيمة تطبيقية يوما ما .

فمصادر الاختصاص الرئيسي وهنا مصادر الاقتصاد الصناعي تعد المدخلات الرئيسة للبحث الجغرافي التطبيقي وتظل نتائج بحثه وتحليلاته التي تعكس العلاقات المكانية المتداخلة والمترابطة مخرجاته الرئيسة .

6: الأصالة في اختيار مشكلة البحث :

تعد الأصالة في اختيار مشكلة البحث من المعايير المحددة للبحث المبتكر، وكيف لأنها تعكس قدرة الباحث العلمية والذاتية في انتقاء مشكلة بحثه على أنه يجدر بنا أن نذكر أن الأهمية الخاصة للمشكلة والإضافة والجدة المتوقعة من خلالها والقدرة على التصدي لها تشكل المؤشرات الرئيسة التي يحسن بالباحث إدراكها قبل الشروع بمعالجة مشكلة بحثه .

7: الأهمية النظرية والتطبيقية :

يعد البحث التطبيقي أحد فروع البحث الكامل طبقا لأساسيات البحث العلمي[13] وعليه فلابد من أن يكون ذا إضافة جادة وجديدة في الحقلين النظري والتطبيقي أو أي منهما انفرادا .وعلى الباحث أن يؤشر هذه الأهمية في مقدمة بحثه وبوضوح تام كي تعين الباحثين أو صناع القرار بسواء والبحث الذي يعجز أن يحقق أهمية ما في هذا الخصوص لا يستحق أن يرقى إلى مستوى الأصالة أو الابتكار.

ثانيا: معايير الابتكار في ظل القياس الرقمي :

تقويم موضوعي موجز للاستمارات المعمول بها في مجال التقويم (الترقية والتعضيد)

1) أن الاستمارة المعمول بها حاليا تضم في الجامعات العراقية مثلا أحد عشر سؤالا وخلاصة تقويم سؤلا منها لا قيمة لهما عمليا إذا ما قرت اللجنة العلمية بأن البحث غير مستل.

2) أما الأسئلة المتبقية فهي ضعيفة أمام المتخصص العلمي المنهجي فهي تستفسر عن

الفكرة وليس المشكلة في حين أن البحث العلمي يفترض وجود مشكلة بالإضافة إلى تساؤل عن طريقة المعالجة في حين أن المفردات العلمية بلغة البحث عن النتائج والوسائل وإلخ. وتقوى الاستفسارات في سياق الجديدة أو المبتكرة لتسأل ما الحدود الفاصلة وليس بلغة الإنشاء البلاغي بين الجديد والمبتكر مثلا وغير المبتكر ؟.

3) تفترض الاستمارات الحالية أن أجمالي البحوث تطبيقية ونتساءل بإسهاب عن المردود الاقتصادي والعلمي في حين أن هذه التساؤلات قيمتها محدودة في الواقع العلمي.

4) وجاءت خلاصة التقويم لتطرح ست مستويات التقويم بين أصيل وقيم وبانحدار شديد نحو غير صالح للترقية بمستويين مفيد وغير قيم (غير مفيد) أن التأمل الدقيق في هذه الخلاصة يكشف أن تعميم الاستمارات الحالية قد أبتعد عن أبسط قواعد الاستبيان لسبب محدد هو هل أن التساؤلات المطروحة قد حدد أوزان كمية لها حتى يمكن الحكم الرقمي أو المقيّس طبقا لحيثيات الخلاصة؟ فإذا كانت الإجابة بالنفي وهو كذلك. فالخلاصة المطروحة في الاستمارات الحالية غير موضوعية ولا علمية في الوقت ذاته .

دوافع اقتراح مشروع الاستمارة الجديدة :

تعد الاستمارة المطروحة من قبلنا ثمرة خبرة تراكمية طويلة بتواضع شديد في مجال البحث العلمي ومناهجه ورسائله وآليات تقويمه. وهى تعتمد الأسلوب العلمي الكمي المقيس في الحكم طبقا لثوابت البحث العلمي ومرتكزاته. رافضه الإنشاء البلاغي أو ما في حكمه ليتسنى إرساء نظام وآلية عمل جديدة في مجال التقويم تكبح كل مظاهر الاجتهاد غير الدقيق أو العفوية أو في حكمها .

وهى تقوم على فكرة القياس الرقمي إذ تضمنت عشرين سؤالا بخمس مستويات تقويمية أفردت خمس درجات لأعلاها امتياز ودرجة واحدة لأدناها (ضعيف) فإذا تراوحت الدرجة النهائية (الكلية) بين (90 - 100) منح البحث مرتبة الأصالة. وأن كانت بين مستويات (80 -89) منح درجة قيم وبين (70 - 79) درجة مفيد وأقل من [69] غير مفيد .

على إنه يحسن بنا الإشارة إلى أن التساؤلات المطروحة تعكس المعايير المحددة

للبحث المبتكر بدأ من الإدراك الفلسفي لجوهر العلم والالتزام بأساسيات نظم المعلومات والمنهجية والوسائل والمصادر الأصلية والأهمية النظرية والتطبيقية وانتخاب مشكلة البحث وغيرها .

ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن البحث الأصيل ينبغي أن ينال العناية الأكبر في التقويم فأفردنا تساؤلات خمس محدده تعكس ما احتواه أو قدره الباحث على احتواء المعايير المحددة لهذا المستوى من البحوث لاحظ مخطط الاستمارة المقترحة التالي :

مقترح نموذج (1)

استمارة تقويم البحوث العلمية المقدمة للترقية أو التعضيد

مرتكزات التقويم	درجات و مستويات التقويم				
	ضعيف	مقبول	جيد جدا	جيد	امتياز
1) ما مدى دقة عنوان البحث وما هي درجة مطابقته لحيثيات التحليل؟					
2) هل تمكن الباحث من تحديد مشكلة البحث ؟					
3) هل أن لاختيار مشكلة البحث دوافع محددة ومدونه ؟					
4) هل تمكن الباحث من تحديد عناصر مشكلة البحث ؟					
5) ما هي درجة وضوح الفروض العلمية المطروحة بمقدمة البحث؟					
6) هل وفق الباحث في توضيح حدود البحث ؟					
7) هل ألتزم الباحث بمنهجية علمية محدده ومدونة ؟					
8) ما هي درجة سلامة وسائل البحث المعتمدة ؟					
9) ما هي درجة وثوق مصادر البحث ومراجعه ؟					
10) ما تقويمكم للهوامش ؟					
11) هل ألتزم الباحث الدقة العلمية في الاقتباس؟					
12) كيف تقومون إجراءات الدراسة الميدانية أو وسائل القياس الكمي المعتمدة وتحليل الوثائق والنصوص أو إجراءات التجربة أو غيرها ؟					
13)ما هي درجة دقة الباحث في تنظيم قائمة مصادره ومراجعه ؟					
14)هل استطاع الباحث تغطية حيثيات مشكلة البحث المطروحة؟					
15) ما تقويمكم للتحليل العلمي والمنطقي لسياقات مشكلة البحث؟					
16) هل يتسم الباحث باستقلالية واضحة في أسلوب الكتابة؟					
17) هل إن نتائج البحث ما يوصف بالأصالة والجدية ؟					
18)هل يكشف عرض النتائج عن قدرة في التنظيم والتبويب والتفريغ ؟					
19)هل حدد الباحث الأهمية النظرية أو التطبيقية للبحث بمقدمته ؟					
20) ما هو تقويمكم لجهة قبول النشر أو النشر ؟ وإذا كان منشورا سابقا تدون المعلومات لطفا ؟					

الدرجة النهائية	أصيل 100 – 90	قيم 89 – 80	مفيد 79 – 70	غير مفيد 69

ملاحظة: إذا كانت نتيجة التقويم (أصيل) يرجى تدوين عناصر الأصالة طبقا للنموذج رقم (2) .

مقترح نموذج رقم (2)

" الثوابت العملية في البحث الأصيل "

1) في انتخاب مشكلة البحث من خلال أهميتها التخصصية أو التطبيقية :

2) في المصادر والمراجع المعتمدة (يشار إلى أهمها) .

3) في منهجية ووسائل البحث (تحدد وتؤشر بشكل موجز) .

4) في أسلوب المعالجة والتحليل: (يوضح بإيجاز) .

5) في الاستنتاجات والمقترحات: (تذكر أهمها) .

((تـــأيـــيـــد))

" يملا مسبقا من اللجنة العلمية في القسم العلمي " .

نؤيد نحن أعضاء اللجنة العلمية بان البحث الموسوم: ..... المقدم للترقية العلمية في الاختصاص الدقيق لصاحب الترقية ..... في الاختصاص العام لصاحب الترقية ..... وإنه غير مسئل من رسالة الماجستير الموسومة ..... أو الدكتوراه الموسومة ..... لصاحب الترقية أو رسائل الماجستير أو الدكتوراه التي أشرف عليها الباحث .

(توقيع اللجنة العلمية)

عضو	عضو	عضو	عضو	رئيس اللجنة العلمية
-------	-------	-------	-------	----------

اسم المقوم للبحث: .....المرتبـــة العلمية: ..... التخصص الدقيق : .....

التخصـــص العام :..... الـعـنـــوان : ..... الـتـاريـخ: / /

وقبل أن نختم هذه النقطة من البحث نود أن نشير إلى أن نموذج الإقرار بنهاية الاســتمارة المقترحة الذي ينبغى ملؤه من قبل اللجنة العلمية أمر ضروري من الناحية الواقعــية لأن تحديــد مسؤولية الاستلال أو التخصص العام أو الدقيق وما إلى ذلك ليست مسؤولية المقوم العلمي بقدر ما هي مسؤولية اللجنة العلمية بالقسم العلمي .

الاستنتاجات

حاصل ما تقدم يعكس لنا الحقائق التالية :

1) يوصف البحث العلمي بسمة الابتكار والأصالة في حالة تحليه بالسمات التالية:

أ - كونه يمثل انعكاسا للإدراك الفلسفي لجوهر العلم باعتباره يستند على الملاحظة وتكرار الملاحظة والتنبؤ (التنبؤ بالضبط) .

ب- تعبير حيثيات البحث وتحليلاته عن فهم دقيق بأساسيات نظم المعلومات ووسائلها .

ج - استخدام المصادر الأساسية .

د - الالتزام بمنهجية علمية محدده ومعتمدة بالبحث .

هـ - مستندا على إطار نظري واضح للمشكلة التي يتصدى لها الباحث .

و - يعبر عن اختيار دقيق ومبرر علميا للمشكلة موضوع البحث .

ح - منتهيا إلى استنتاجات واضحة وخيارات محددة تعين صناع القرار عند التطبيق المباشر أو الدراسات اللاحقة .

2) تعكس الاستمارة المقترحة بأسلوب القياس الرقمي لمعايير الأصالة العلمية في البحث بطريقة نعتقد أنها سهلة وميسورة ودقيقة إلى حد كبير وهى بالتأكيد أفضل من النماذج المتاحة حاليا التي تتخذ من البلاغة الإنشائية أو الحكم العام وسيلة في التقويم .

3) تعين استمارة التقويم المقترحة لا في تشخيص مستويات البحث فحسب بل يمكن اعتمادها كدليل عملي عند إخراج البحوث الجغرافية التطبيقية لصيغتها النهائية مما يسهم بتطوير حركة البحث العلمي بعامة والبحث الجغرافي التطبيقي بخاصة .

الهوامش والمصادر

(✦✦) للوقوف على تفاصيل البحوث الجغرافية التطبيقية في المدارس الجغرافية ينظر:

- د. محمد إسماعيل الشيخ: الاتجاه التطبيقي في المدرسة الجغرافية الفرنسية المعاصرة من أبحاث المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 16، المجل 4، خريف 1984.
- أ.د. محمد عبد الرحمن الشرنوبى: الجغرافيا بين العلم التطبيقي والوظيفة الاجتماعية النشرة الجغرافية، الكويت، العدد 31، يوليو 1989.
- أ .د. محمد على الفرا : اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، النشرة الجغرافية، جامعة الكويت، رقم 49، يناير 1983 .
- أ. د .طه محمد جاد: نظريات في الفكر الجغرافي الحديث، النشرة الجغرافية رقم19، جامعة الكويت، يوليو 1980 .
- د. محمد سطيحه: الجغرافيا التطبيقية: تطورها ومناهجها وأهدافها، المجلة الجغرافية العربية، السنة الأولى، العدد الأول 1968، ص 28 – 50.
- أ. د .على محمد المياح وشاكر خصباك: الفكر الجغرافي وطرق البحث فيه، جامعة بغداد 1983 .

(1) للتفاصيل عن استخدامات الأرض ينظر :

- Stamp: L .D " Land of Britain :its use and missuse , " London 1968.

(2) ينظر للاستزادة :

- أ.د. محمد على الفرا: علم الجغرافيا دراسة تحليلية نقدية في المفاهيم والمدارس والاتجاهات الحديثة في البحث الجغرافي، النشرة الجغرافية التي تصدر عن قسم الجغرافيا، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، العدد22 أكتوبر 1980، ص 8 – 20 .

(3) Kemeny, J. E: "A philosopher looks at seince," D. van Nostrand company New York 1959 .pp: 175 - 176 .

(4) د. محمد على الفرا: المصدر السابق، ص 8 .

(5) نفس المصدر، ص 9 .

(6) Pounds, N .H "The political geography" To shaco ltd Tokyo, Japan 1963, P249 .

(7) Knoor, K "The Concept of Economic polential for war", World politics vol .x 1969 , P49.

(8) Perry, B, J: "Basic pattern of Economic Development in Northern Gins burge", Atlas of Economic Development, chicago 1961, p.110 - 119 .

(9) للتفاصيل عن مؤشرات قياس التبعية التجارية ينظر :

- أ. د محمد أزهر السماك: الجغرافيا السياسية الحديثة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل 1993، ص 189 - 192 .

(10) ينظر :

- أ.د محمد أزهر سعيد السماك: (وآخران): الأصول في البحث العلمي الطبعة الثالثة جامعة صلاح الدين، 1989.

(11) أ. د. محمد على الفرا: المصدر السابق، ص 11 .

(12) نفس المصدر: ص 14 .

(13) أ. د محمد أزهر سعيد السماك (وآخران): المصدر السابق، ص117 - 118ت

المياه العربية بين مخاطر الطبيعة والأطماع الأجنبية

الموارد المائية في القرن الأفريقي العربي وموريتانيا
دراسة جغرافية تطبيقية

❐ د. جمعة رجب طنطيش
❖ أستاذ مشارك - كلية التربية
❖ قسم الجغرافيا (جامعة الفاتح)

مقدمـــــة

نود أن نتكلم في هذه المقدمة باختصار في موضوعين: الأول منهما: الأبعاد الجغرافية لمنطقة الدراسة وأهميتها، والثاني: أهمية المياه بها .

أما عن الموضوع الأول فإننا نعلم أن هناك مناطق عربية ساخنة استحوذت على اهتمام الباحثين العرب من الجغرافيين وغيرهم، وفى مقدمتها المشرق العربي، حيث تتعرض أقطاره لهجمة صهيونية واستعمارية تركية لا تستهدف الأرض والمياه العربيتين فحسب بل تستهدف الأمة العربية في وجودها ومستقبلها، وقد كان للباحث شرف الحديث عنها منذ سنة 1982 (طنطيش 1982، 1989، 1989، 1995، 1998).

رغم ذلك فإنني أثرت اليوم أن يكون حديثي مركزا على منطقتين عربيتين متباعدتين أهملها أولئك الجغرافيون الذين كتبوا عن الوطن العربي، مبعدين لهما تعسفا عن جسم الأمة العربية، واقصد هنا الأقطار العربية في القرن الأفريقي (الصومال وجيبوتي وإرتريا) وموريتانيا، وتكتسب هاتان المنطقتان أهمية كبيرة كجزء لا يتجزأ من الوطن العربي لعدة أسباب نذكر منها :

1) إنهما مثلث البوابات الرئيسية التي عبر منها العرب والمسلمون إلى القارة الإفريقية جنوب الصحراء، ومازالوا يطلون من خلالهما على تلك القارة السمراء .

2) تشكل هاتان المنطقتان جزءا من الدرع العربي الواقي للوطن العربي من الخلف، ونقصد هنا الجنوب (على أساس أن واجهته الشمالية البحرية هي الأمام) والتي حاول ويحاول أعداء الأمة العربية طعنها من خلالها. هذا رغم ما يتمثل في ذلك الدرع من ثغرات قد تكون مؤقتة، فعلى سبيل المثال فإن إرتريا، القطر العربي الإسلامي – التي ما أن استقلت بعد نضال مرير، حتى سقطت فريسة في

أحضان الصهيونية عدوة الأمة العربية الأولى، ومن ثم أصبحت اليوم قاعدة صهيونية تهدد الأمن القومي العربي .

3) تشرف هاتان المنطقتان على واجهتين بحريتين لهما أهميتهما الدولية من الناحية الاستراتيجية على المستوى الإقليمي والعالمي، إذ تسيطر الأولى على المدخل الشمالي الغربي للمحيط الهندي، وعلى باب المندب والبحر الأحمر، حيث تمر أهم طرق النفط في العالم، والطرق إلى جنوب وشرق آسيا وشرق أفريقيا، بينما تشرف الثانية على المحيط الأطلسي ذو الأهمية القصوى للعالم الرأسمالي الغربي .

4) تشكل هاتان المنطقتان، وخاصة الأولى (القرن الأفريقي) بعدا أمينا مائيا عربيا، ذلك أنهما تشرفان أو تتصلان بحدود تلك المناطق التي تغذى الوطن العربي بالمياه، والتي يمكن أن تشكل نقطة ضعف في التركيب الجيوبوليتيكى للوطن العربي، فهي تمثل مكمن خطر يهدد أمنه في المدى القريب والبعيد، بل ويمكن القول أن وجود التعاون والتضامن بين الأقطار العربية في القرن الأفريقي وتلك الواقعة شمال الصحراء خاصة في حوض النيل، يحقق نتيجة إيجابية في أي صراع على موارد المياه في الهضبة الحبشية ذلك أن تلك الهضبة تمثل إقليما داخليا وسط الوطن العربي يمكن حصاره وعزله عند الضرورة .

5) تعتبر هاتان المنطقتان غنيتان بثرواتها المدارية الرطبة والجافة وغنية بقطيعهما من الحيوانات، وبثرواتهما المعدنية التي يمكن أن تلعب دورا هاما مكملا في تحقيق الاكتفاء الذاتي العربي .

وهكذا تكتسب منطقة الدراسة أهمية لا تقل عن أي جزء أخر من الوطن العربي مما جعلها موضع اهتمامنا .

أما في الموضوع الثاني من هذه المقدمة، فأننا نبلور مشكلة البحث في هاتين المنطقتين موضوع البحث إذ تحتلان أهمية لا يستهان بها في الهيكل العام للمياه العربية، ذلك أنهما يمتلكان من المياه المتجددة ما يزيد على 20 مليار متر مكعب أو ما يعادل نحو 8% من مجموع المياه المتجددة في الوطن العربي (طنطيش 1998)

وهى نسبة تتناسب مع نسبة مساهمتها في مجموع سكان الوطن العربي، ورغم ذلك فإننا نعتقد بأن هذا الجزء من الوطن العربي يعانى من مشكلة مائية قد تختلف درجة تفاقمها من قطر إلى أخر ومن فصل إلى أخر، وتختلف في أسبابها، فقد تكون طبيعة وقد يكون الإنسان.

إن التعرف على إبعاد هذه المشكلة يدعونا لدراسة الموارد المائية في منطقتي الدراسة وفى كل قطر على حده، محاولين تقييم تلك الموارد المائية ورسم صورة مستقبلية لها، ومن خلال هذه الدراسة سنتمكن في النهاية من وضع إجابات محددة لتلك التساؤلات التي نطرحها: هل هناك مشكلة مائية حقيقية؟ وفى أي الأقطار تتركز؟، وما هي أطراف هذه المشكلة إن وجدت؟ وما هي أنجح الحلول المناسبة لها؟.

وهكذا ولنحقق هدفنا من هذا البحث قسمناه في ثلاث مباحث أولها تمهيدي تعرضنا فيه بصورة مختصرة لموارد المياه العربية عامة والسمات المشتركة بينها وخصصنا المبحث الأول لدراسة الوضع المائي في القرن الأفريقي العربي بينما خصصنا المبحث الثاني لدراسة موارد المياه في موريتانيا.

هذا ونود أن نشير أخيرا إلى أننا بعون الله سنقدم في الحلقة القادمة (الثالثة) دراسة للموارد المائية في المغرب العربي وحوض النيل، لعلنا نساهم ولو بلبنة صغيرة في موضوع تقييم الموارد المائية العربية، هادفين من دراستنا إبراز الخطر المحدق بأمتنا العربية من خلال المساس بأمنها المائي القومي .

راجين من الله التوفيق

مبحث تمهيدي

الموارد المائية العربية: دراسة عامة

لكي نصل إلى فهم أعمق للظروف المائية في منطقة الدراسة (القرن الأفريقي العربي وموريتانيا) وأبعاد المشكلة المائية بها، فإننا نرى أنه من الضروري إلقاء الضوء باختصار شديد على موارد المياه العربية عامة، وإبراز القواسم المشتركة بينها (لمزيد من التفصيل أنظر طنطيش جمعة 1998).

يمكن تقسيم مصادر المياه في الوطن العربي في أربعة أقسام: الأمطار والمياه الجارية والمياه الجوفية ومصادر مياه أخرى .

أولا: الأمطـــار :

تعتبر مصدرا أساسيا للمياه في الوطن العربي ذلك أن 78.8% من الأراضي المزروعة في الوطن العربي يعتمد عليها (نبيل خليفة، ص 43) ويقدر أن مجموع كمياتها الساقطة على الوطن العربي بنحو 1650 مليار متر مكعب تساهم أيضا في تغذية خزانات المياه الجوفية في بعض المناطق وكذلك الأنهار العربية ويضيع جزء كبير منها بالبخر. (اكساد 1988 وتقدير الباحث) .

ويعيب هذا المصدر قلة المساحة التي تستفيد بها في الوطن العربي فنحو 90% منه هي مناطق صحراوية تنخفض كمية الأمطار الساقطة عن 100 مم، كما يقلل من أهميتها ارتفاع معدلات البحر في معظم أجزائه علاوة على تذبذبها مما يجعل الاعتماد عليها في الري والرعى مخاطرة قد لا يحمد عقباها، مما يجعل من الضروري الاعتماد على مصادر أخرى للمياه .

ثانيا: المياه الجارية :

يخترق أجزاء الوطن العربي عديد من الأنهار الدائمة والأودية الموسمية تنقسم بدورها إلى قسمين: انهار وأودية قومية وأخرى دولية يبلغ مجموع تصريفها السنوي نحو 298 مليار متر مكعب، يبرز بين تلك الأنهار: نهر النيل (109 مليار

متر مكعب) ودجلة (48.7 م م3) والفرات (29 م م3) والسنغال (18.5 مليار م 3 يبلغ نصيب موريتانيا منه نحو 5 مليار م3) وشيلى وجوبا (6.5 م م3) وجميعها أنهار دولية، وانهار الأردن (0.8 م م3) والأنهار اللبنانية (3 م م3) وخور بركة وخور الجاشى نحو (2 م م3) وغيرها وهى أنهار قومية .وبين هذه الأنهار تبرز أنهار القرن الأفريقي العربي وموريتانيا التي تساهم بنحو 8.5% من جملة المياه العربية، وهى نسبة تقارب نسبة مساهمة المنطقة في سكان الوطن العربي.وتعانى هذه الأنهار من عديد من المشاكل نذكر منها :

1) تمثل مياه هذه الأنهار 84% من جملة المياه المتاحة في الوطن العربي، وأن نحو 95% من التصريف المائي لهذه الأنهار يفد إلى الوطن العربي من خارجه، وتمثل هضبتي الحبشة والأناضول المنابع العليا لمعظم المياه العربية ممثلة في أنهار النيل وشبيلى وجوبا، ودجلة والفرات. مما يجعل المياه العربية تحت سيطرة أجنبية مباشرة.

2) تعانى هذه الأنهار من فقدان كميات كبيرة بالبخر نتيجة لاعتراض المستنقعات والسدود النباتية لمجاريها. وساهمت السدود المقامة على مجاريها في زيادتها أيضا، مما يجعل صافي الإيراد السنوي لهذه الأنهار لا يتجاوز 220 - 230 مليار متر مكعب .

3) يتأثر استغلال تلك الأنهار بالمشاكل السياسية والاجتماعية التي تقوم في أحواضها سواء على المستوى القومي كتلك النزاعات القبلية في الصومال والسودان والخلافات السورية العراقية، وبين إرتريا والسودان، أو على المستوى الإقليمي والدولي كالصراع على المياه مع تركيا والحبشة والكيان الصهيوني. ويلاحظ أن التصريف المائي لهذه الأنهار قد تأثر بالمشروعات المائية التي أقيمت على مجاريها العليا خارج الوطن العربي .

4) تعانى أحواض بعض الأنهار العربية في مجاريها الدنيا من تداخل مياه البحر، والتي قد تتوغل لمسافات بعيدة في السنوات الجافة أو الأمطار مثلما يحدث في شط العرب ونهر السنغال .

(الربيعي داود، ص 205 - 207) ومما لاشك فيه أن تناقضات السياسات المائية العربية تساهم بدور كبير في هدر كميات كبيرة من مياه هذه الأنهار وتلويثها، ففي مصر مثلا يضيع عند أفواه الترع والقنوات نحو 35% من المياه المستغلة بها (النوتجى على ص 27) .

ثالثا: المياه الجوفية :

يقدر أن الوطن العربي يملك مخزونا هائلا من المياه الجوفية تقدر بنحو 14000 مليار متر مكعب موزعة على أجزائه المختلفة، ولكنه لسوء الحظ أنها في غالبيتها المطلقة مياه أحفورية غير متجددة، ولا تمثل المتجددة منها سوى 40 مليار متر مكعب فقط (0.3% من جملة المخزون الجوفي) وتتركز الأخيرة في الأجزاء التي تتمتع بكميات مناسبة من الأمطار أو بالمياه المتسربة من الأودية والأنهار مثلما هو في المغرب والجزائر ومصر وسوريا والصومال، بينما تتركز المياه غير المتجددة في الصحراء الكبرى في مصر وليبيا وتونس والجزائر، وفي السعودية.

وتتعرض هذه المياه خاصة في المناطق الساحلية للاستنزاف، بينما بدأ في استغلال الصحراوية منها في مشروعات مائية ضخمة كنقلها نحو الشمال في الجماهيرية وإقامة مشروعات كبرى زراعية في السعودية والجماهيرية تستهلك كميات كبيرة منها وتتوزع المياه الجوفية في الوطن العربي في تكوينات جيولوجية متعددة نذكر منها :

أ) المياه الجوفية المختزنة في الحجر الرملي والحجر الرملي النوبي الذي يغطى مساحات واسعة من الوطن العربي، وتتميز هذه التكوينات بمساميتها وسمك طبقاتها ونفاديتها العالية مما يجعل إمكانياتها الإنتاجية كبيرة مثلما هو في مصر وليبيا والسعودية (طنطيش جمعه 1998، اكساد 1988 ص 120) وغالبا ما تكون هذه المياه غير متجددة .

ب) المياه الجوفية فى الصخور الجيرية والدولوميت والحجر الجيرى الدولوميتى وتتجمع المياه هنا في كهوف كارستية مثلما هو في سواحل الشام والجبل

الأخضر في ليبيا وفي تونس والجزائر والمغرب وبعض أجزاء من القرن الأفريقي العربي والسودان وتتميز طبقاتها بسمكها ونفاذيتها وإنتاجيتها الكبيرة .

ج) الطبقات المائية في الصخور البركانية، حيث تتجمع المياه في طبقات بازلتية في المناطق السهلية وفي الشقوق التي تكثر بهذه التكوينات خاصة في المناطق التي تعرضت لاضطرابات أرضية على طول الأخدود الأفريقي العظيم في القرن الأفريقي واليمن وفلسطين وجبل العرب في سوريا وغيرها .

د) المياه الجوفية في الصخور الرسوبية الحديثة التكوين، في أودية الأنهار ودلتاواتها وفي الأحواض التكتونية التي طمرت بطبقات رسوبية من الطمي والصلصال والحصى والرمال وغيرها، مشكلة خزانات مائية جوفية ذات أهمية كبيرة في بعض المناطق وذلك لقلة عمقها وإمكانية الوصول إليها بواسطة الآبار التقليدية التي يعتمد الفلاحون والرعاة على السواء وتتغذى هذه الطبقات بواسطة مياه الفيضانات في فصل الأمطار بينما قد تتعرض مياهها للنضوب في فصل الجفاف، مما يعرض الزراعة والرعى لمخاطر شديدة، هذا بالإضافة إلى طبقات مائية في تكوينات أخرى أقل أهمية وتعتبر ثانوية .

ونتيجة لسوء توزيع المياه الجوفية العربية، ووجود معظمها في مناطق قليلة السكان فقد بذلت جهود متفاوتة من اجل نقلها، أبرز تلك الجهود العربية يتمثل في النهر الصناعي العظيم الذي ينقل المياه من أحواضها الكبرى في تازربو وجبل الحساونة بجنوب البلاد إلى شمالها حيث تتركز المدن ويقوم النشاط الاقتصادي .

رابعا: مصادر أخرى للمياه :

وتتمثل في الوطن العربي في عدة مصادر منها استخدام مياه الصرف الزراعي مثلما هو في مصر حيث تستهدف إعاده استخدام نحو 7.5 مليار متر مكعب في الزراعة، وكذلك تحلية ماء البحر (إزالة ملوحته) التي تنتج نحو 3 مليار متر مكعب وتتركز منشآتها في منطقة الخليج العربي وليبيا علاوة على استخدام مياه الصرف الصحي والمياه المالحة في الزراعة .

المبحث الأول

الموارد المائية في القرن الأفريقي العربي

يحتل القرن الأفريقي ثلاث أقطار عربية هي الصومال(638000 كم2) وإرتريا (117600 كم2) وجيبوتي (23000 كم2) بمساحة إجمالية تبلغ نحو 77:000كم2، قد تصل إلى أكثر من 850000 كم2 إذا ما أضفنا إليها مساحة إقليم أوجادن الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من الصومال أرضا وشعبا وتبلغ مساحته نحو 72000 كم2، ويقع اليوم تحت الاحتلال الأثيوبي .

يمتد هذا الإقليم على طول السواحل الجنوبية الغربية للبحر الأحمر لمسافة 1100كم2 وعلي خليج عدن لمسافة 1200كم2 وعلي المحيط الهندي لمسافة 2200كم2 (Encyclo pedie Geogr. 712 .479 .254 P.) فهي تحتل بذلك موقعا استراتيجيا هاما على طريق الملاحة العالمي عبر قناة السويس، ولهذا فإنه ليس غريبا أن تقع هذه المنطقة ضمن مناطق الصراع الاستعماري لبسط النفوذ، فتقاسمتها كل من إيطاليا (1836) وبريطانيا (1883) وفرنسا (1884) وأثيوبيا منذ 1952 بعد تكون الاتحاد الفدرالي. الأثيوبي رغم معارضة سكانها .

يقطن هذه المنطقة نحو 13 مليون نسمة موزعين كما يلى :

9 م في الصومال و 3.5 م في إرتريا و 0.5 م في جيبوتي، نضيف إليهم سكان إقليم أوجادن من الصوماليين، وترتفع بين السكان معدلات النمو، فتشير بعض الدراسات إلى أن هذا المعدل قد بلغ في الفترة بين 61 - 1967 نحو 4.1% (الحافظ ص 66) إلا أنه أنخفض في السنوات الأخيرة إلى نحو 2% أو أقل من ذلك خاصة في الصومال (Demographic Year book 1995 PP126 - 131 .UN) ويعود ذلك إلى ما تعرضت له البلاد من أزمات سياسية وصراع قبلي على السلطة، أو نتيجة لحرب الاستقلال التي خاضتها إرتريا ضد المحتلين الإثيوبيين الذين مارسوا حرب أباده ضدهم .

ويتركز هؤلاء السكان في المناطق الساحلية وأودية الأنهار كشبيلى وجوبا مثلما هو في مدن مقديشو وبربرة وجيبوتي وأدلوك وعصب ومساوا وبرديرا

وجوهر، كما أنه قد يظهر تركزات هامة للسكان على الهضاب والمرتفعات الداخلية كما هو الحال في أسمره التي تقع على ارتفاع 7700 قدم (Stanley of Stamp P204) وهرجبسة. (انظر الشكل 1) .

شكل (1) الأنهار العربية الدولية والقومية

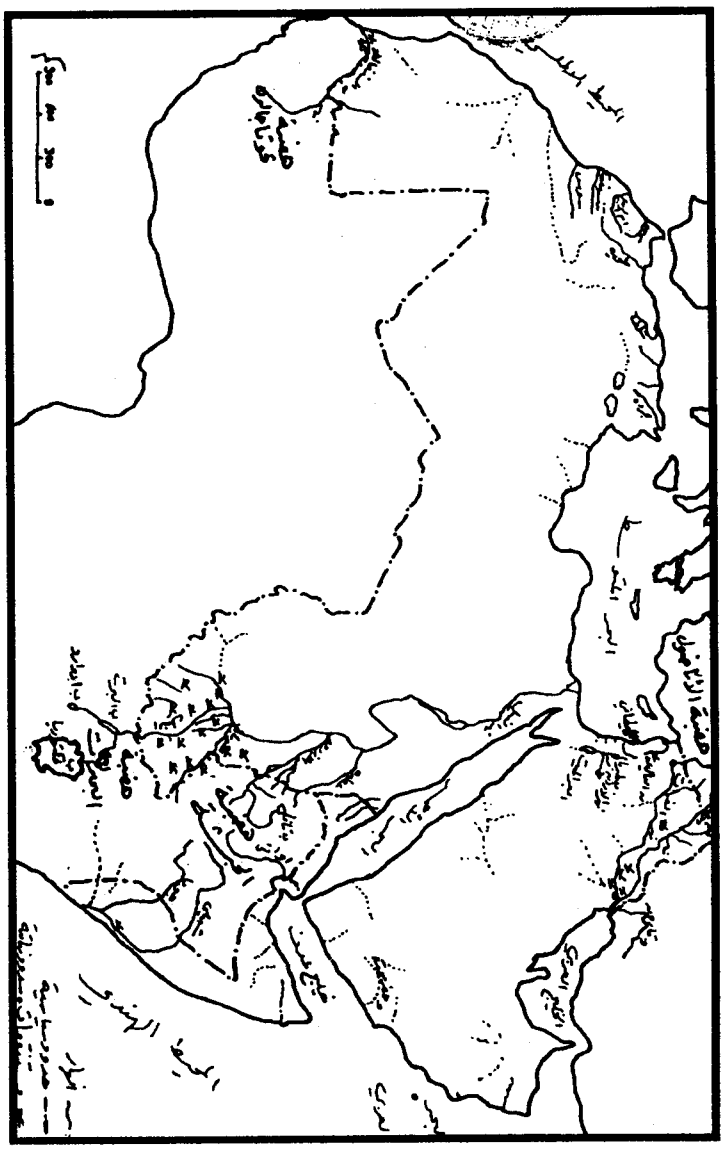

الأنهار.

حدود سياسية

مرتفعات وسلاسل نباتية.

الجغرافيا الطبيعية للإقليم :

يتميز سطح هذا الجزء من الوطن العربي بتعقيده، نتيجة لما تعرض له من حركات تكتونية وثورانات بركانية وما نجم عنها من مظاهر جيومو رفولوجية، وبصورة عامة فإنه يمكن تقسيم سطح المنطقة في أقاليم رئيسية من أبرزها السهل الساحلي الضيق الذي يمتد على طول الساحل في كل من الأقطار الثلاثة وتغطيه في أجزاء واسعة منه كثبان رملية وصخور رسوبية أخرى، هذا ويبرز في الأجزاء الداخلية في الإقليم مقدمات الهضبة الحبشية على شكل هضاب وسلاسل جبلية قد تزيد في ارتفاعها على 7000 قدم كما هو في هضبة الدناكل في إرتريا وإقليم أوجادن في الصومال كما قد تظهر بالمنطقة بعض الأحواض التكتونية والسلاسل الجبلية المشرفة على الساحل كما فى شمال الصومال وتزيد في ارتفاعها على 3000 قدم .

يسود هذه المنطقة في معظم أجزائها مناخ صحراوي وشبه صحراوي ذلك أنها تقع في منطقة ظل المطر للهضبة الإثيوبية، وهذا هو الحال في إرتريا وجيبوتي أو لأنها تقع في نطاق هبوب رياح موازية للساحل مثلما هو الحال في الصومال، وهكذا تنخفض معدلات التساقط، فتتراوح بين 100 - 150 مم سنويا في معظم أجزاء المنطقة، تصل في الصومال شمال خط عرض 5o ش إلى 250 مم وإلى 400 مم في جنوبه (هرجيسة 375 مم، مقديشو 400مم) (جودة، ص 290) ولو أنها قد تزداد على المرتفعات الصومالية في الشمال إلى 500 مم وبينما تبلغ في كميتها إلى نحو 500 مم في منطقة تيجر عند الحدود الإرترية الإثيوبية ينخفض إلى 75 مم عن البحر الأحمر، وإلى 60 مم في بربره على ساحل خليج عدن (Verlet .P. 200) وتقل القيمة الفعلية للأمطار هنا نتيجة لارتفاع معدلات الحرارة التي تتراوح بين 25 - 35o م وقد تزيد عن ذلك في بعض المناطق المنخفضة و في معظم السنة مما ينجم عنها ارتفاع معدلات البحر.

وعليه فإن الغطاء النباتي السائد هنا هو الحشائش، خاصة منها الجافة، وبعض الأشجار الصحراوية، ومن ثم فإن الحرفة الرئيسية للسكان هي رعى الإبل

والأغنام والماعز وجمع الصمغ واللبان والعسل وشمعه، وقد تربى الأبقار في أودية الأنهار وحيث تغزر الأمطار. وهكذا ونتيجة للظروف الطبيعية، لا يظهر بهذا الإقليم العربي أي سيلان مائي سطحي مستديم ذو أهمية باستثناء بعض الأودية الموسمية، وتخص هنا خوري بركة والجاش اللذان ينبعان من إرتريا ويصبان في السهول السودانية، هذا بينما تمثل الأنهار والأودية الوافدة إليها أهم مظاهر السيلان السطحي بها، ونخص بالذكر هنا نهري شبيلى وجوبا في الصومال وأودية موسمية تصل إلى جيبوتي وإرتريا من الهضبة الحبشية قد يكون من أبرزها نهر اواش الذي ينتهي إلى بحيرة أبى على الحدود الغربية لجيبوتي، ويبلغ معدل تصريفه السنوي 2.5 مليار متر مكعب.

مصادر المياه في المنطقة :

سوف نقصر حديثنا هنا على مصدرين للمياه هما المياه الجوفية والمياه السطحية .

أولا: المياه الجوفية (انظر الشكل رقم 2، 3) :

تتمتع هذه المنطقة بعديد من الأحواض المائية التي تختزن في طبقات جيولوجية مختلفة وعلى أعماق متفاوتة، ساهمت العديد من الأقطار العربية والأجنبية في تمويل مشروعات البحث عنها وتقييمها منذ الخمسينيات و لم تستكمل تلك الدراسة بعد .

1 – المياه الجوفية في الصومال :

توجد المياه الجوفية هنا مختزنة في عدة تكوينات جيولوجية أهمها تلك الصخور البركانية التي تعود إلى عصري البلستوسين والبلايوسين (تكوين عدن) وفي طبقات من الحجر الرملي الكونجوميراثى الميوسينى الآوليجوسينى (تكوين حافون). وكذلك في الطفوح البازلتية الأوليجوسينية وفي الحجر الجيري الدولومينى الأيوسينى حيث تكثر ظاهرة الكارست، علاوة على تلك الطبقات المائية التي

تتركز في التكوينات الرملية والفيضية الحديثة التكوين، ويمكن تقسيم الصومال في عدة أحواض مائية أهمها (UN. No 19. 247 - 245 PP) :

أ - الإقليم الشمالي الجبلي عند أقدام الحافة الجبلية الحبشية والمرتفعات المحلية، حيث توجد طبقات مائية غير محصورة تمتاز بجودتها، رغم ما يعيبها، كوجودها على أعماق بعيدة وإمكانياتها قليلة إلا حيث تتوفر لها تغذية من مناطق جريان المياه السطحية .

ب- إقليم اوجادن وحوض دارور Dorror، ويخترق هذه المنطقة الروافد العليا والوسطى لنهر شبيلى وأودية أخرى، مما يوفر للمياه الجوفية هنا تغذية مستمرة، ولهذا يتميز هذا الإقليم بكميات وفيرة من المياه الجوفية المتجددة في طبقات غير محصورة تتركز في صخور رملية وفيضية، وقد يعيبها وجودها أحيانا في تكوينات قليلة المسامية والنفاذية مما يجعل إنتاجية الآبار شبه الارتوازية منخفضة .

ج- حوض بايدوه Baidoa ويقع إلى الجنوب من الحوض السابق، ويتمتع بقدر كبير من التغذية في طبقاته المائية الجوفية السطحية (الفرياتية) والتي يصل سمكها إلى نحو 3 متر، وحيث تحفر الآبار التقليدية القليلة العمق إلا أن منسوب مياهها ومقدار تصريفها يرتبط بمواسم الأمطار وبمقدار الضخ منها. لهذا قد تتعرض هذه الطبقات لتداخل المياه المالحة في حالة زيادة الضخ منها. كما أن هذا الحوض غنى بطبقات مائية ارتوازية عميقة يمكن استغلالها .

د - المياه الجوفية في الصخور الرسوبية الفيضية في أحواض الأودية والأنهار، وتتميز بتجددها، مثلما هو الحال في حوضي شبيلى وجوبا حيث تم دراسة بعضها ولم تستغل حتى الآن الاستغلال الجيد. وبصورة عامة فإن مياهها غالبا ما تكون غير عميقة (أقل من 100م) وذات نوعية جيدة، خاصة تلك الموجودة في التكوينات الرملية الساحلية، وقرب نهري شبيلى وجوبا وعند بايدوه .

شكل (2)

مجموعات الصخور الحاملة للمياه فى المنطقة العربية (خورى وآخرين 1986)

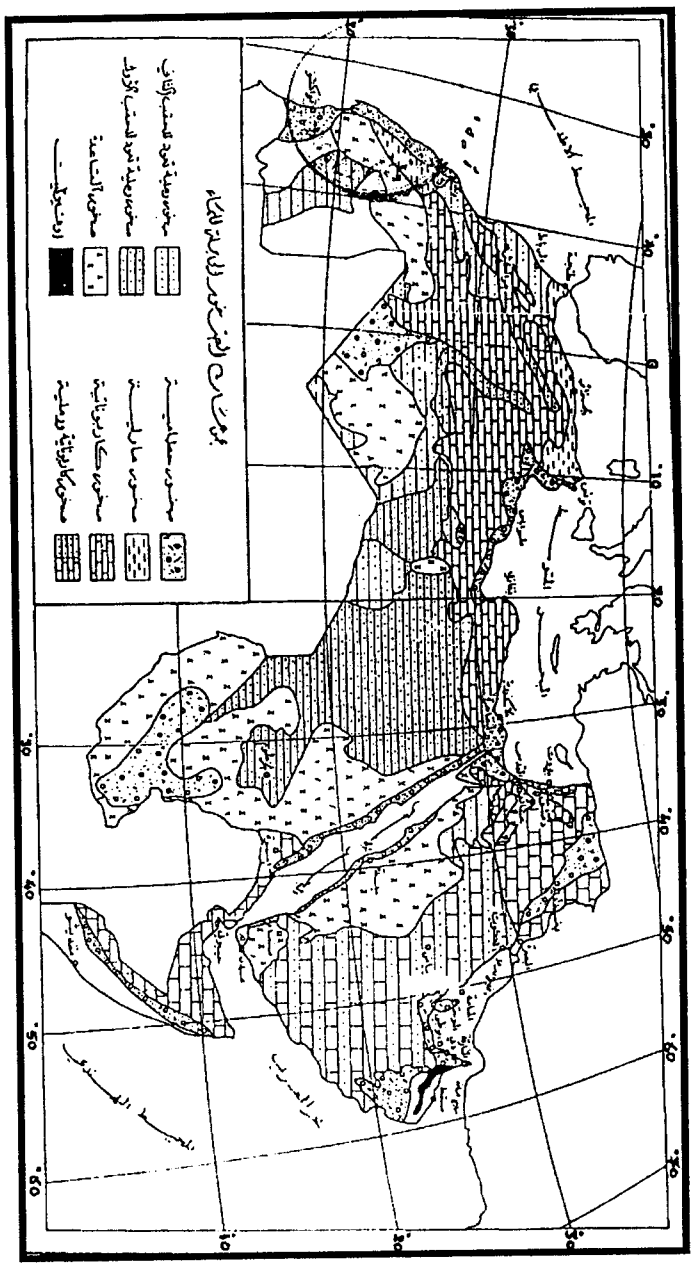

شكل رقم (3)

الأقسام السياسية للقرن الأفريقى العربى

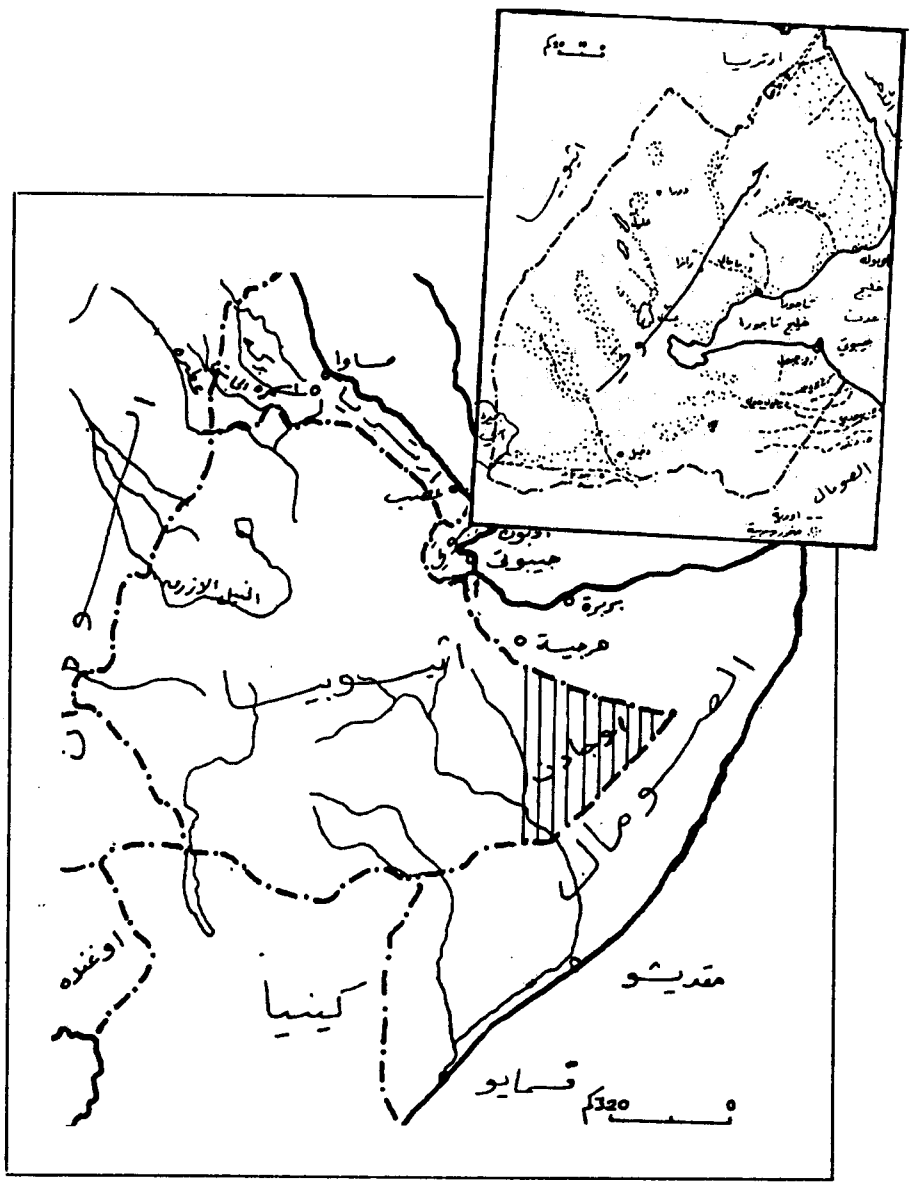

وبصورة عامة يقدر أن مجموع كميات المياه الجوفية المتجددة في أراضى الصومال بنحو 3.3 مليار متر مكعب (طنطيش 1998) تمثل مصدرا هاما للمياه في أنحاء واسعة من الصومال، فهي علاوة على أنها مصدرا لمياه الشرب في المناطق الحضرية وللصناعة أيضا التي تستخدم كميات كبيرة من المياه خاصة في صناعة السكر (بمعدل 300 م3 لكل طن من السكر المنتج) وحيث يقدر متوسط استهلاك الفرد في هذا القطاع 40م3 سنويا (مقابل 2م3 في جيبوتي المجاورة) (شوقي اسعد ص 21). علاوة على ذلك فإن المياه الجوفية تعتبر المصدر الأساسي للمياه اللازمة لسقى الحيوانات المرباه في الصومال والتي تعتبر عماد الاقتصاد الصومالي والمكونة من 6 مليون جمل، 5 م من الأبقار، 13 م من الأغنام و 12 م من الماعز (FAO. Production Yearbook 1994. P 189 - 192) تعتمد في غالبيتها على الآبار التقليدية، كما تستخدم المياه الجوفية في الزراعة بكميات كبيرة بعيدا عن مصادر المياه السطحية.

وتقدر الأجهزة المختصة بالأمم المتحدة أن 60% من مياه الآبار في المناطق الحضرية و 20% من مياه آبار الريف هي ذات مياه مناسبة وبكميات كافية (UN . No 19 . P. 248) وهذا يعنى أن الغالبية الكبرى من مياه الآبار في المناطق الريفية قد تكون ملوثة، سواء بفعل ارتفاع معدلات ملوحتها أو نتيجة لتلوثها بيئيا، ولا تصلح كثيرا للاستخدام البشرى .

ويعترض استخدام المياه الجوفية في الصومال، خاصة منها تلك المستخدمة في سقى الحيوانات، أنها تؤخذ من أبار ضحلة تتأثر بحالات الجفاف التي قد تسود في بعض السنوات مثلما حدث في موسم 1970 / 1971، وفي موسم 84 / 1985 عندما لم يجد 70 - 80 % من القطيع الصومالي ماء كافيا للشرب مما أدى إلى هلاك $\frac{1}{3}$ ذلك القطيع رغم ما بذلته الحكومة آنذاك من جهود ومساعدات دولية لتفادى تلك الكارثة بتوفير خزانات المياه في الأجزاء الشمالية منها (Lewis. P 895).

2 – المياه الجوفية في جيبوتي :

بدأت إدارة موارد المياه بوزارة الزراعة برنامجا لتطوير موارد المياه الجوفية

وتنظيم استغلالها منذ سنة 1979، وأكدت الدارسات أن هناك نوعين من الطبقات المائية في أحواضها :

أ - طبقة مائية توجد في الصخور البركانية حيث تكثر الشقوق والفواصل التي تتسرب عبرها المياه مشكلة خزانات مناسبة لها، خاصة إذا كانت تلك الشقوق مليئة بالتكوينات الرملية والجيرية .

ويعتبر حوض تاجوره Tagourah البازلتي أكبر الخزانات المائية التي تمد العاصمة بالمياه .

ب- في الطبقات الجيولوجية غير الصلبة وشبه الصلبة في المنخفضات التكونية الداخلية التصريف غالبا، التي ردمت بالرواسب الفيضية التي قد تتميز ببعض المسامية. وترتبط كميات المياه هنا بسمك تلك الرواسب وقدمها، فأكثرها قدما أكثرها مياها، وتوجد أهم طبقاتها في منطقة تاجوره حيث تنتهي أودية داريو Dareyyo وماجإلى Magali، وفي منطقة سوبليلى Soublali حيث تنتهي أودية ديدجان دير Didjan Der وويحا Oueha (UN. No19. PP73 - 74). وبصورة عامة فإن حجم هذه المياه ومقدار تجددها يرتبط بسمك الطبقات الحاملة للمياه من ناحية وفيضانات الأودية من ناحية أخرى. وهى عموما بين المقبولة والممتازة للشرب والأغراض الأخرى، وتلعب دورا هاما في توفير مياه الشرب في المدن (جيبوتي أكثر من 30 ألف م3 يوميا ومدن دخيل Dikhil وأدبول Obock وتاجوره بين 400 - 500 م3 يوميا لكل منها) وفي سقى الحيوانات (190.000 رأس من الأبقار، 62000 من الإبل 1.5 رأس من الأغنام ومثلها من الماعز). وبينما توفر المياه في المدن من أبار عميقة تسقى الحيوانات من أبار ضحلة.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن المناطق الساحلية حيث تتركز المدن وترتفع معدلات الضخ (خاصة حول جيبوتي) تتعرض مياهها الجوفية لتداخل مياه البحر، ومازالت هذه الظاهرة قيد الدراسة .

3 – المياه الجوفية في إرتريا :

في هذا الجزء من القرن الأفريقي والذي أعادت أثيوبيا سيطرتها عليه نهائيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا المحتلة له، لم تستقر الأوضاع السياسية به إلا بعد حصوله على الاستقلال سنة 1990 ونتيجة لذلك لم يحظ الإقليم باهتمام كبير في مجال الدراسات المائية مثلما نالته المياه السطحية في أثيوبيا منذ مطلع القرن ومن ثم فإن المعلومات عن مصادر المياه الجوفية بها ضئيلة .

وبصورة عامة فإن المياه الجوفية هنا لا تختلف عن تلك الموجودة في جيبوتي المكملة لها جنوبا، فهي تختزن في أنواع مختلفة من التكوينات يمكن تبينها في الخريطة الهيدروجيولوجية (أنظر شكل رقم 4) والتي يظهر فيها أن أكثر الطبقات المائية الجوفية انتشارا هي تلك الموجودة في الصخور البلورية والمتحولة التي تعرضت للتشقق والفواصل بفعل تكون الأخدود الأفريقي العظيم، وتتجمع هنا المياه التي قد تتعرض للتجدد ولو بنسبة قليلة بفعل الجريان السطحي غير المنتظم في أودية مارب / الجاش وخور بركة وغيرها، وتنخفض إنتاجية أبارها إلى $\frac{1}{2}$ لتر / ثانية.

وتعتبر خزانات المياه الجوفية المتركزة في الحجر الرملي والتكوينات الرسوبية الفيضية ذات أهمية أيضا في الأجزاء الساحلية في شمال البلاد وجنوبها ورغم ما يعيبها من قلة تجددها إلا أن مسامية الصخور ونفاذيتها وقلة عمقها يجعل إمكانية استغلالها بطرق تقليدية أمرا سهلا .

أما الصخور الجيرية المؤلفة "التكوين عفار" وحيث تكثر الكهوف الكارستية والتي تنتشر في الأجزاء الوسطى والجنوبية من البلاد فتمثل خزانات هامة للمياه، حيث يمتد سطح الطبقة المائية على عمق 80 متر، وتصل إنتاجية البئر إلى 2 لتر / ثانية.

إلى جانب ذلك تظهر بعض الطبقات المائية في الصخور الرسوبية الفيضية وفي دلتاوات الأودية وفي المنخفضات التكتونية وعلى أعماق قليلة تصل إلى 15 مترا وبتصريف قد يصل إلى 10 لتر في الثانية، وتتميز هذه المياه بصلاحيتها للشرب والرى (UN. No19. P92) .

شكل رقم (4)

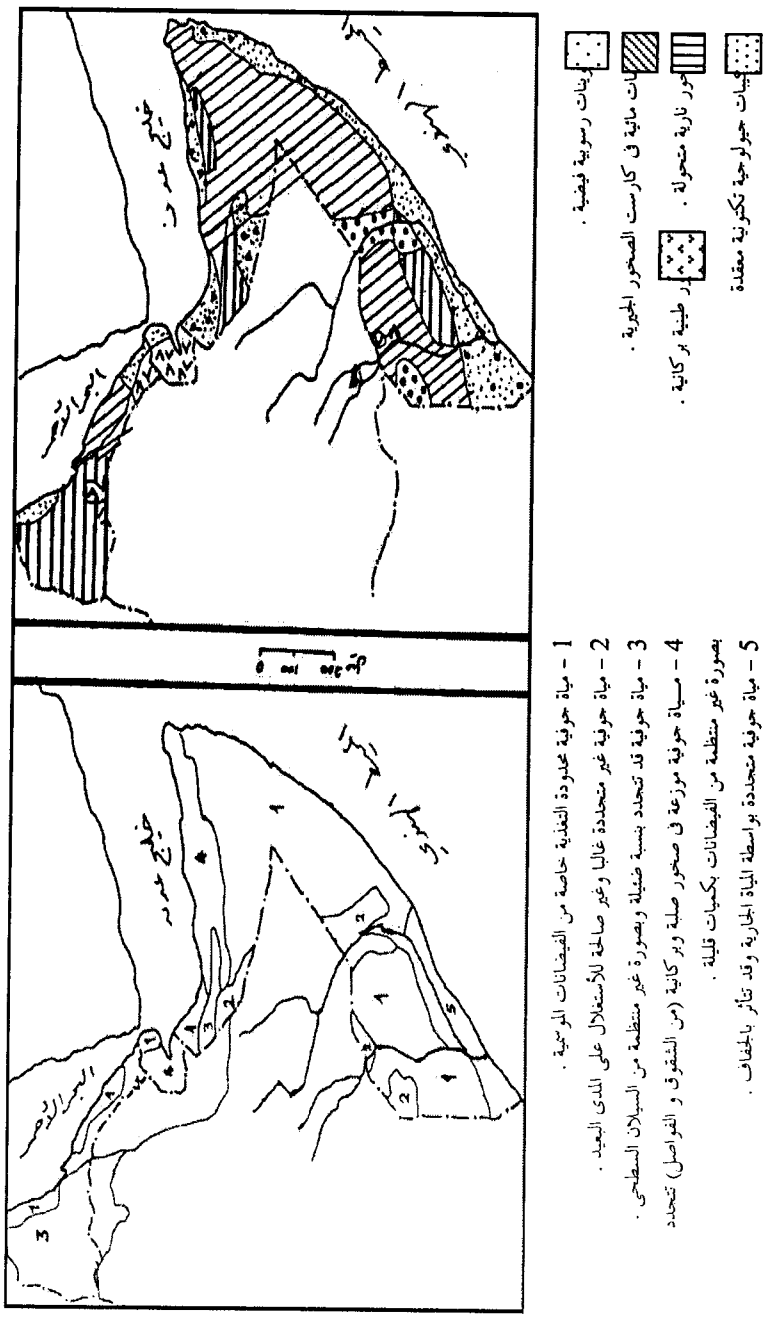
أ . التكوينات الجيولوجية الحاملة للمياه فى القرن الأفريقى العربى
ب . تصنيف المياه الجوفية فى القرن الأفريقى العربى (حسب تحددها)
خليج عدن
البحر الأحمر
المحيط الهندي
1 – مياة جوفية محدودة التغذية خاصة من الفيضانات الموسمية .
2 – مياة جوفية غير متجددة غالبا وغير صالحة للاستغلال على المدى البعيد .
3 – مياة جوفية قد تتجدد بنسبة ضئيلة وبصورة غير منتظمة من السيلان السطحى .
4 – مياة جوفية موزعة فى صخور صلبة وبركانية (من الشقوق و الفواصل) تتجدد بصورة غير منتظمة من الفيضانات بكميات قليلة .
5 – مياة جوفية متجددة بواسطة المياة الجارية وقد تتأثر بالجفاف .
رسوبية نفضية .
ماية فى كارست الصخور الجيرية .
ور نارية متحولة . ر طينية بركانية .
يات جيولوجية تكوينية معقدة

وبصورة عامة تتميز المياه الجوفية في هذا الجزء من الوطن العربي بأقطاره الثلاثة بعدة خصائص وعيوب مشتركة :

أ - انخفاض كميات المياه الجوفية المتجددة في الأحواض المائية عامة، ويقدرها البعض بنحو 4.5 مليار م3 يتركز نحو 33 مليار منها في الصومال .

ب- تستخدم المياه الجوفية للزراعة والرعى وأحيانا للشرب باستخراجها من آبار ضحلة تتأثر بسقوط الأمطار والجريان السطحي مما يعرضها للنضوج في المواسم الجافة ويترتب على ذلك مخاطر كبيرة .

ج- ترتكز المياه الجوفية في المنطقة الساحلية على طبقة من المياه المالحة مما يعرضها للتداخل معها وتلويثها إذا بولغ في عمليات استخراجها .

د- مازالت المياه الجوفية في الأقطار الثلاثة بحاجة إلى دراسات معمقة لتقييمها وهذا لن يتم إلا بمساعدات عربية وأجنبية وقيام سلطات مركزية تضع البرامج وتشرف على تنفيذها .

ثانيا: المياه السطحية :

قلنا إنه نتيجة لسوء توزيع الأمطار وانخفاض معدلات تساقطها بصورة عامة، ونتيجة لموقع بلدان القرن الأفريقي بالنسبة لهضبة الحبشة، ولمظاهر السطح بها، فإنه يظهر بها سيلان سطحي محلى منخفض التصريف عموما قد يكون من أبرز مظاهره في شمال إرتريا حيث تنبع وتجرى انهار مارب / جاش وبركة منحدرة نحو سهول السودان في اتجاه البحر الأحمر، وحيث يبلغ متوسط تصريفها نحو 2 مليار متر مكعب من المياه سنويا، هذا بينما يمثل الأودية القومية الأخرى أهمية أقل بكثير، ومن أبرزها: وإيما Weima وساداى Sadai وهمبولى Habouli وعتار Atar ودارور Darror في الشمال الصومالي وتصب في خليج عدن والمحيط الهندي، وعندابا Aindaba وعلول Alol ودلريو Daryyo وماجإلى Magali في جيبوتي، ومنها ما ينتهي إلى السهول الساحلية وخليج عدن ومنها ما ينتهي في منخفضات

داخلية كمنخفض بحيرة عسال Assal. علاوة على أودية عديدة في إرتريا، لم تحظ جميعها بالدراسة رغم الحاجة الماسة إلى مياهها. وتتميز جميعها بموسمية جرياها وقلة تصريفها وكثرة رواسبها .

حوضي خور مارب/ الجاس وخور بركة :

يعتبر هذان النهران الموسميان من أهم الأنهار القومية في القرن الأفريقي العربي، ذلك أنهما ينبعان وينتهيان في أرض عربية. ويحتلان أهمية كبيرة كمصادر للمياه في كل من إرتريا والسودان، ففي أحواضهما تم تطوير أنظمة حديثة للري في كلا القطرين العربيين، مما أدى إلى ظهور زراعة متطورة عمادها القطن والذرة بأنواعها وبعض المحاصيل الحقلية الأخرى .

يمثل نهر مارب المجرى الأعلى لخور الجاش، وينبع من منطقة هضبية جنوب مدينة أسمره، وينحدر جهة الجنوب والجنوب الغربي ثم الشمال الغربي إلى أن ينتهي في دلتا مروحية فيضية شمال مدينة كسلا بالسودان. وتبلغ مساحة حوضه نحو 23700 كم3 ومتوسط تصريفه السنوي 0.6 مليار متر مكعب (UN. 19 N o. 86 P) .

أما خور بركة فينبع من المرتفعات نفسها التي ينبع منها نهر مارب ولكن إلى الشمال من مدينة اسمرة عند كارن. وينحدر في اتجاه الشمال الغربي مخترقا الحدود السودانية لينتهي في السهول الساحلية عند البحر الأحمر عند مدينة طوكر وقد يبلغ بمياهه البحر الأحمر في بعض السنوات. وتبلغ مساحة خور بركة نحو 41000كم2. ويصل تصريفه السنوي إلى 1.3 مليار متر مكعب، مما يجعله في المرتبة الثالثة بين الأنهار العربية في القرن الأفريقي (U. N .O p .at) .

ويعتبر هذان النهران بالإضافة إلى بعض روافد نهر عطبرة الذي ينتهي إلى نهر النيل من الأنهار القومية التي تمثل البوتقة التي يمكن أن يجرى فيها التفاعل والتعاون بين الأقطار العربية في هذه المنطقة الحيوية .

الهضبة الحبشية مصدر أساسي للمياه في المنطقة :

تعتبر الأنهار والأودية الوافدة من الهضبة الحبشية هي الأكثر وفرة في مياهها، ومن ثم الأكثر أهمية كمصدر للمياه في المنطقة رغم أنها تعتبر ضحلة وقليلة المياه إذا قورنت بتلك الأنهار الحبشية التي تنتهي إلى حوض النيل بالسودان .

ويبرز هنا دور الهضبة الحبشية في الإمداد بالمياه لتلك المنطقة العربية في شرقها وجنوبها الشرقي مثلما هو في غربها وشمالها الغربي، ويقدر أن نحو 6.5% من مجموع المياه الساقطة على الهضبة تنصرف في هذا الاتجاه نحو المحيط الهندي وخليج عدن والبحر الأحمر، يجرى معظمها نحو المحيط الهندي في نهري جوبا وشبيلى (6.5 مليار م3) ولا يتعدى نصيب البحر الأحمر منها اكثر من 0.2 مليار متر مكعب. هذا علاوة على أهمية الهضبة في تغذية خزانات المياه الجوفية في المنطقة العربية من القرن الأفريقي من خلال تلك الأودية المنحدرة فيها، ومن أبرزها نهر اواش Awash الذي تنصرف مياهه إلى بحيرة آبى Abbe التي تخترقها الحدود الأثيوبية الجيبوتية، ويبلغ معدل تصريفه نحو 2.5 مليار متر مكعب سنويا. نضيف إلى ما سبق أهمية أقليم اوجادن كمصدر للمياه السطحية والجوفية (في مساحة قدرها 72000كم2).

نهري جوبا وشبيلى :

ينبع نهر جوبا من مرتفعات منديبو في جنوب شرق الهضبة الحبشية بعدة روافد منها جسترو Wabi Gestro (ويبي تعنى نهر) وجينول /داريا Genale - Darya وداوا Dawa. وتبلغ مساحة حوضه 168000كم2. ويصل متوسط تصريفه السنوي نحو 4 مليار متر مكعب (U. N. Op .at. p .86)، تلتقي تلك الروافد قرب الحدود الأثيوبية الصومالية في إقليم اوجادن، مشكلة نهرا واحدا يتجه بصورة عامة نحو الجنوب ليصب في المحيط الهندي عند مدينة قسمايو، ويبلغ طوله في الصومال نحو 875 كم ومساحة حوضه الإجمالية 275000كم2.

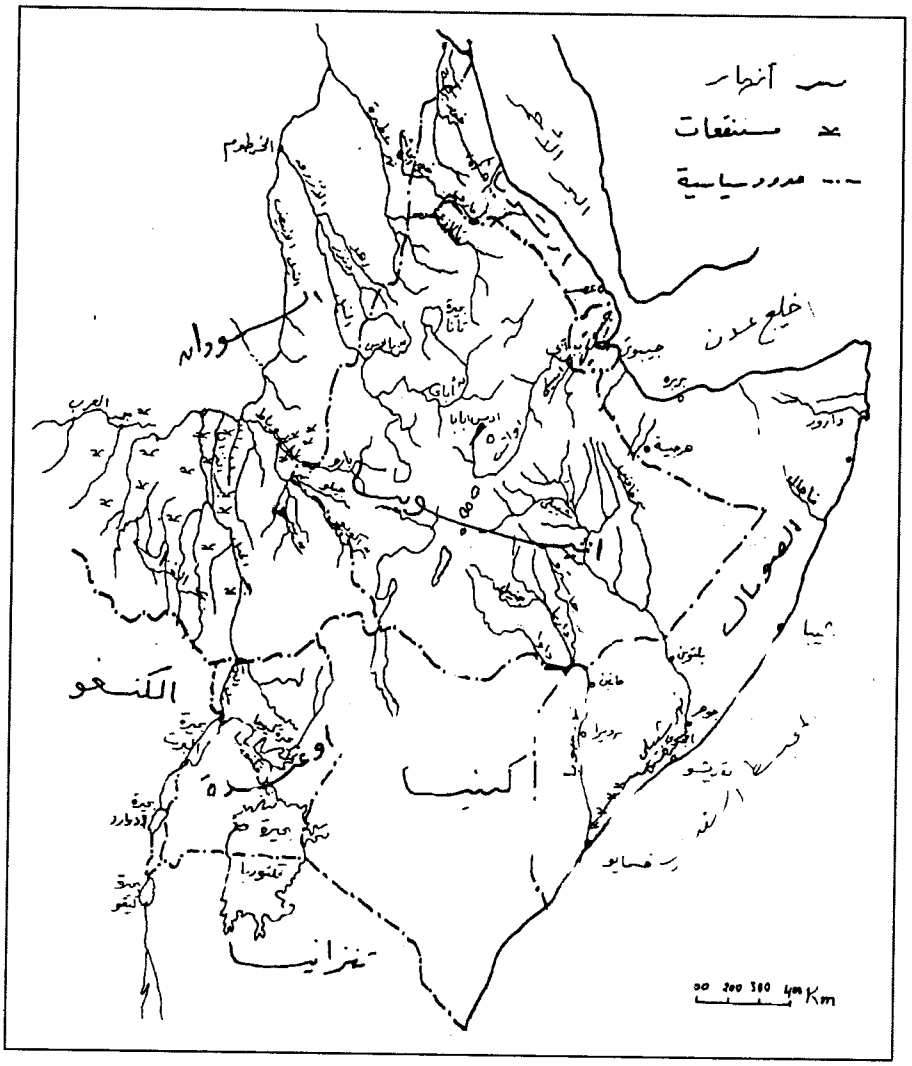

شكل رقم (5)

منابع الأنهار العربية فى هضبتى الحبشة والبحيرات

أما نهر شبيلى فينبع ليس بعيدا عن منابع نهر جوبا إلى الشمال الشرقي منه بعدة روافد منها شبيلى Shebeli، وشانين Shanan وجاليت Gallette وفاتان Fatan، وتقطع هذه الروافد الأجزاء الشرقية من الهضبة الحبشية في اتجاه الجنوب الشرقي، إلا أنه يضطر للانحراف في مجراه نحو الجنوب الغربي على بعد 20 كم من الساحل نتيجة لاعتراض نطاق من الكثبان الرملية لمجراه، ويخترق السهل الساحلي موازيا للساحل لمسافة تزيد عن 400 كم، حيث يختفي مجراه تحت غطاء رملي لمسافة تزيد على 30 كم ثم يعود للظهور مرة أخرى، وتعترضه هنا المستنقعات التي قد تعرقل وصول مياهه إلى نهر جوبا الذي يلتقي معه مشكلا مصبا خليجيا واحدا، ويعتبر نهر شبيلى أطول أنهار شرق أفريقيا، إذ يبلغ طوله 2488كم ومساحة حوضه 300000كم (Encyclopedie geo. p. 712). ويبلغ معدل تصريفه السنوي نحو 2.5 مليار متر مكعب .

ويلاحظ على هذين النهرين ما يلي :

1- أنهما لا يستقبلان أي روافد هامة في الأراضي الصومالية ومن ثم فإن جل مياههما وافدة من الحبشة .

2- التدفق الهام للنهرين يتم في المجارى العليا لهما، أي في المناطق الحبشية ويقل متوسطه كلما اتجهنا جنوبا في الأراضي الصومالية .

3- على الرغم من أن المجرى الأعلى لنهر شبيلى أكثر اتساعا من نهر جوبا وأكثر منه اتساعا في مساحة حوضه، إلا أن نهر جوبا أكثر تدفقا (يعادل مرتين كتدفق نهر شبيلى) ويعود ذلك إلى غزارة الأمطار الساقطة على حوضه، مقارنة بتلك الساقطة على حوض شبيلى، وكذلك إلى التركيبات الصخرية لمناطق منابعه. إذ يسود هنا صخور صماء بينما يجرى نهر شبيلى في مناطق ذات صخور رسوبية تسمح بتسرب المياه (UN. PP. 274 - 275 .No) .

4- نتيجة لتذبذب الأمطار على منابع النهرين، وفقدان جزء من مياهها بالبخر والفيضان والتسرب في مجاريها العليا، علاوة على الاستخدام البشرى لمياههما

وتخزين جزء منها بواسطة سدود أقيمت على مجريها، لهذا كله فإن معدلات التدفق تكون منخفضة في مجاريها السفلي إلا في بعض السنوات الغزيرة الأمطار ن مثلما حدث في موسم 97 / 1998 ونجم عنها فيضان نهري جوبا وشبيلى وطغيان مياهها على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية في المجرى الأوسط والأدنى لهما وعند التقائهما، مما ترتب عليه موت عدة مئات من السكان وتشريد عشرات الآلاف منهم، وغرق آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية وتلف المحاصيل وموت الحيوانات مما حذا بالأمم المتحدة أعلان تلك المنطقة منكوبة تستحق المساعدة .

المواسم الغزيرة الأمطار التي قد ينجم عنها فيضانات مدمرة على طول مجراهما مثلما حدث في موسم الأمطار 97 / 1998 ونجم عنها الفيضانات خاصة في نهر شبيلى، كميات كبيرة من الرواسب أكثرها من السلفات نتيجة لتحلل الجبس الحديدي، والغرين في المواسم المطيرة التي تعقب فترات جفاف .

وبصورة عامة فإن متوسط التصريف السنوي للنهرين يصل إلى 6.5% مليار متر مكعب (4 مليار لنهر جوبا و 2.5 مليار لنهر شبيلى) (P. 87 .UN.No10) .

5- لأجراء عمليات القياس لكمية التدفق في النهرين أقيم العديد من المنشآت والمحطات الهيدرومترية (ثمان محطات) بنى أقدمها سنة 1925 في موقع جوهر gIOHER على نهر شبيلى وأخرتيان أقيمتها سنة 1951 في لف جانين Lugh Ganane على نهر جوبا وبلتوين Beldwen على نهر شبيلى، ثم أقيمت محطات أخرى سنة 1963 .

6- للاستفادة من هذين النهرين ولاستغلال مياههما وتطويرهما فقد وضع نهر جوبا تحت أشراف (وزارة التخطيط القومي وتطوير وادي جوبا) ووضع نهر شبيلى تحت أشراف (وزارة الزراعة: أداره الري واستعمال الأراضي) وقامت هذه الهيئات ببناء العديد من السدود البركانية بلغ عددها سبع على نهر شبيلى وآخران على نهر جوبا، تهدف إلى تنظيم جريان النهرين ودارئ خطر

الفيضانات، ورفع مستوى المياه في النهر إلى درجة تسمح باستغلالها في الري، أو لتخزين المياه للمواسم الجافة، كما يستفاد بها في إحدى السدين المقامين على نهر جوبا لتوليد الكهرباء، وأقيمت قناة خاصة للتخلص من مياه الفيضان الزائدة في وادي شبيلى تمتد لمسافة طويلة (أكثر من 1000 كم) .

7- من المشروعات التي بدء في تنفيذها في الصومال منذ سنة 1980 سد جوهر على نهر شبيلى، وكان من المقرر أن يتم إنجازه خلال ست سنوات بتكلفة قدرت بنحو 220 مليون دولار إلا أن الظروف السياسية التي سادت البلاد قد أخرت إتمامه. كذلك الحال بالنسبة لمشروع باريدرا على نهر جوبا، والذي يهدف إلى تخزين 4 مليار متر مكعب، ويعتبر من أهم المشروعات للتنمية الزراعية في الصومال (العلم والتكنولوجيا ص 39)، ويقدر أن جملة المياه الممكن توفيرها من خلال المشروعات على نهري شبيلى وجوبا نحو 8.2 مليار متر مكعب رغم أن ما يمكن توفيره فعليا هو 6.8 مليار متر مكعب .

على الرغم من هذه المشروعات فان مواجهة التزائد السكاني لم تتم بعد، ومن ثم فإن مستوى المعيشة يزداد تدهورا، وينخفض نصيب الفرد من الطاقة الحرارية إلى 1356 كيل وكالورى يوميا، أي أقل بكثير من الحد الأدنى المقترحة للأقطار العربية (الفرا، 1986، ص 13) والتي تتراوح بين 2200 - 3000 كيل وكالورى، ويعود ذلك إلى عدة عوامل من بينها عدم استخدام الموارد المائية استغلالا جيدا خاصة في مجال الزراعة، فعلى سبيل المثال يقدر أن المساحة الصالحة للزراعة الواقعة بين نهري جوبا و شبيلى في الصومال تصل إلى 8.2 مليون هكتار، لم يستغل أكبر المشروعات الزراعية سوى 0.7 م هـ أفجوى / مورد يل Afgoi Mondile – على نهر شبيلى وبدئ في تنفيذه في الستينات بمساعدات أجنبية، وتوقف العمل به منذ سنة 1970، ثم استأنف العمل به منذ سنة 1985 بواسطة شركة ليبية صومالية قامت بزراعة مساحات كبيرة منه أشجار الموز والموالح لغرض التصدير إلا أنه تعثر مرة أخرى نتيجة للحرب الأهلية التي اندلعت منذ مطلع التسعينات وحتى الآن و لم يبق منه سوى تلك المزارع الأهلية الخاصة حيث تزرع الذرة الرفيعة والأرز والسمسم في جزء كبير منها على المطر .

خلاصة المبحث الأول :

يتضح من هذه الدراسة المختصرة لهذه المنطقة العربية، أن المشكلة المائية بها تتأثر بعوامل بشرية أكثر من تأثرها بعوامل طبيعية، ذلك أن العوامل الطبيعية حددت معالم المشكلة وحدودها، إلا أن الإنسان لم يستطع أن يتعامل معها بالأسلوب المناسب. فعلى سبيل المثال ليس بمقدور الإنسان أن يغير من موقع المنطقة أو من نمط ونظام الأمطار الساقطة عليها، ولكنه بإمكانه أن ينظم حياته بصورة تتناسب مع هذه الظواهر الطبيعية ومن ثم فإن حلول تلك المشكلة وتحقيق سياسة مائية متوازنة وابقاء مخاطر الجفاف والفيضانات، والتخطيط لاستغلال المياه الجوفية والسطحية. وتنفيذ مشروعات زراعية وحيوانية ناجمة، وتوفير فرص عمل للمواطنين وتحسين متوسطات دخولهم ومعيشتهم، كل ذلك يكمن في التدخل العلمي في العناصر الطبيعية والبشرية المؤثرة على هذه المشكلة .

1- هل هناك مشكلة نقص في المياه بالمنطقة ؟ للإجابة على ذلك لابد من تكثيف الدراسات الهيدرولوجية والهيدروجيولوجية في جميع أجزاء المنطقة للتعرف بصورة اكثر تفصيلا على الإمكانيات المائية الجوفية والسطحية بها ووضع البرامج المناسبة لتطويرها واستخدامها .

2- للقيام بهذه الدراسات لابد من توفير الاستقرار السياسي في المنطقة وهذا لن يتأتى إلا من خلال :

أ - على المستوى الداخلي: وقف النـــزاعات القبلية والصراع على السلطة في أقطار هذه المنطقة خاصة في الصومال والتي مازالت قائمة ومنذ 1990، وحدثت بين قبائل عفار وعيسى في جيبوتي .

ب- على المستوى القومي: فإن وقوع إرتريا ضمن المعسكر العادي حليفة للصهيونية جعلها في تناقض حاد مع السودان المجاورة والتي تشترك معها في أحواض مائية من الضروري والحيوي التعاون بينها لاستغلالها (خور الجاش وخور بركة) .

ج- على المستوى الإقليمي: فقد كان للصراعات والحروب التي نشبت في المنطقة انعكاساتها على المشكلة المائية بهذه الأقطار، فاحتلال إثيوبيا لأقليم اوجادن الصومالي سنة 1974 نجم عنه حرمان الصومال من جزء من أرضها ومائها، علاوة على قتل وتشريد اكثر من مليون صومالي كانوا يعيشون بالإقليم، كما أن هجرتهم إلى مناطق جديدة في الصومال أدي إلى زيادة ضغطهم على الموارد المائية بتلك المناطق .

كما أن خوض إرتريا حربا تحريرية ضد إثيوبيا طوال أكثر من عقد ونصف من الزمن كان له نفس النتائج أيضا .

وهكذا فإن الاستقرار على جميع المستويات يعنى قيام سلطات مركزية تضع البرامج المناسبة وتعمل على تنفيذها في جميع الأقاليم، ويجعلها قادرة على إقامه التعاون مع الأقطار الأخرى .

3- إن تقييم الموارد المائية في المنطقة يتطلب استثمارات مالية كبيرة، لا تتوفر داخل هذه المنطقة التي ينخفض بها متوسط الدخل للفرد إلى أقل من 300 دولار، ومن ثم فإنه من الضروري دعم العالم العربي خاصة الأقطار النفطية لأقطار هذه المنطقة، سواء بمدها بالقروض الطويلة الأجل أو بإقامة مشروعات مشتركة في مجالات المياه والزراعة والثروة الحيوانية وغيرها. كما أن مساهمة الأقطار الأخرى خاصة العالم الإسلامي في هذا المجال يصبح ضروريا أيضا وبالشكل السابق (إمداد بالقروض، الخبرات، مشروعات مشتركة .....إلخ) .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المساعدات الأجنبية التي كانت ومازالت تقدم لهذه الأقطار في صورة هبات تشكل الموارد الغذائية أكثر من نصف مجموعها أدت إلى نتيجة عكسية، فقد كان من نتائجها تدهور بعض القطاعات الإنتاجية كالزراعة وتربية الحيوان وأصبح الاعتماد على الواردات كبيرا، ومن الجدير بالذكر هنا أيضا أن هذه المساعدات لا تهدف أبدا إلى تحقيق نواح إنسانية بقدر ما تهدف تحقيق أغراض سياسية، فكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (سابقا) وفرنسا

وإيطاليا والكيان الصهيوني وغيرها تحاول استحالة هذه الأقطار العربية في تلك المنطقة الاستراتيجية لجعلها قواعد لها ولتخدم سياساتها في المنطقة والقارة الأفريقية .

ولا ننسى هنا أن نشير إلى أهمية ذلك الدور الذي تقوم به بعض أجهزة الأمم المتحدة في هذا المجال .

4- إن المشكلة الأساسية التي تتمثل هنا هي سوء التوزيع الجغرافي للموارد المائية خاصة الجارية منها، وسيطرة إثيوبيا على منابعها، مما يجعلها منطقة ضعف جيوبوليتيكى يحاول العدو الصهيوني وحلفاؤه استغلالها للضغط على الوطن العربي، وذلك بتشجيع إثيوبيا على أقامه مشروعات مائية يكون من نتائجها حرمان الوطن العربي من أحد مقومات حياته. والتصدر لهذه المخططات لا يمكن أن يتم عبر جبهة عربية مفككة، بل لابد من مواجهة التحدي بجبهة قومية متماسكة تضمن ولو بالقوة حقوق الأمة العربية في هذه المياه .

ومن ناحية أخرى فإنه يصبح من الضروري القيام بمشروعات مائية تستهدف نقل المياه من مناطق الوفرة إلى مناطق الندرة .

المبحث الثاني

موارد المياه في موريتانيا

تقع جمهورية موريتانيا الإسلامية في أقصى جنوب غرب الوطن العربي، وخضعت للاستعمار الفرنسي حتى سنة 1960 عندما حصلت على استقلالها وانضمت إلى الجماعة العربية.

تبلغ مساحة موريتانيا نحو 1.24 مليون كم2، وذات واجهة بحرية أطلسية يزيد امتدادها على 500 كم بين الرأس الأبيض حيث يصب نهر السنغال جنوبا، وحتى حدودها مع الجمهورية الصحراوية شمالا، ويتميز هذا الساحل غالبا باستقامته وبمرور تيار كناريا البارد الذي يؤثر نسبيا على مناخها. وتشترك في حدودها الشرقية والجنوبية مع كل من الجزائر ومالي والسنغال .

ومن الناحية التضاريسية فإن موريتانيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: سهل ساحلي منخفض ضيق، وهضبة متسعة ذات ارتفاعات قليلة (500-1000 م). تشغل معظم البلاد، تتخللها بعض السلاسل الأكثر ارتفاعا، وتشكل الهضبة في جزئها الشرقي والشمالي سهلا تحتيا يمثل جزءا من الصحراء الكبرى، أما القسم الثالث فهو السهول الفيضية الغنية والخصبة التي تمتد على الضفة اليمنى لنهر السنغال.

أما عن مناخ البلاد والذي يتأثر بمجموعة من العوامل الطبيعية ومن بينها مرور تيار كناريا البارد، وموقعها ضمن نطاق هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة، نتيجة لذلك سادت الصحراء أنحاء البلاد، مما يعني ارتفاع معدلات المدى الحراري والبخر والنتح وقلة الأمطار في معظم أجزائها، ولو أن هذا المناخ يصبح أقل مطر أو أكثر قحولة شمال خط o17 شمالا حيث تنخفض معدلات تساقط الأمطار عن 200مم ويسودها عدم الانتظام، وتزداد هذه الكمية لتصل إلى 600 مم في الجنوب مثلما هو في سليباى، وهنا يمتد موسم الأمطار بين مايو وأكتوبر .

ويبلغ عدد سكان موريتانيا نحو 2 مليون نسمة يمثل البدو الرحل وشبه الرحل المشتغلون بالرعي في الأجزاء الشمالية والشرقية نحو 70% من مجموع السكان، بينما

يستقر نحو 30% منهم في مراكز عمرانية يتركز معظمها في الجنوب والغرب، وحيث توجد بعض المنشآت التعدينية من أهمها نواكشوط (60000 نسمة) وبورت أتين (20000 نسمة) وكايدى (15000 نسمة) واتار (15000 نسمة) علاوة على مراكز أخرى كفدريك (نورجورو سابقا) وأكجوج Akgougt (فوريبو سابقا) ومراكز عمرانية أصغر توجد في حوض السنغال وبعض الأودية الموسمية مثل جوجول (أحد روافد نهر السنغال) وأخرى لا تتمكن من الوصول إلى مياه الأطلسي، ويقدر أن نحو 20% من سكان البلاد يتمركزون على الضفة اليمنى لنهر السنغال (انظر. Encyclopedie geogiaphue. P .. robent .1196 .P).

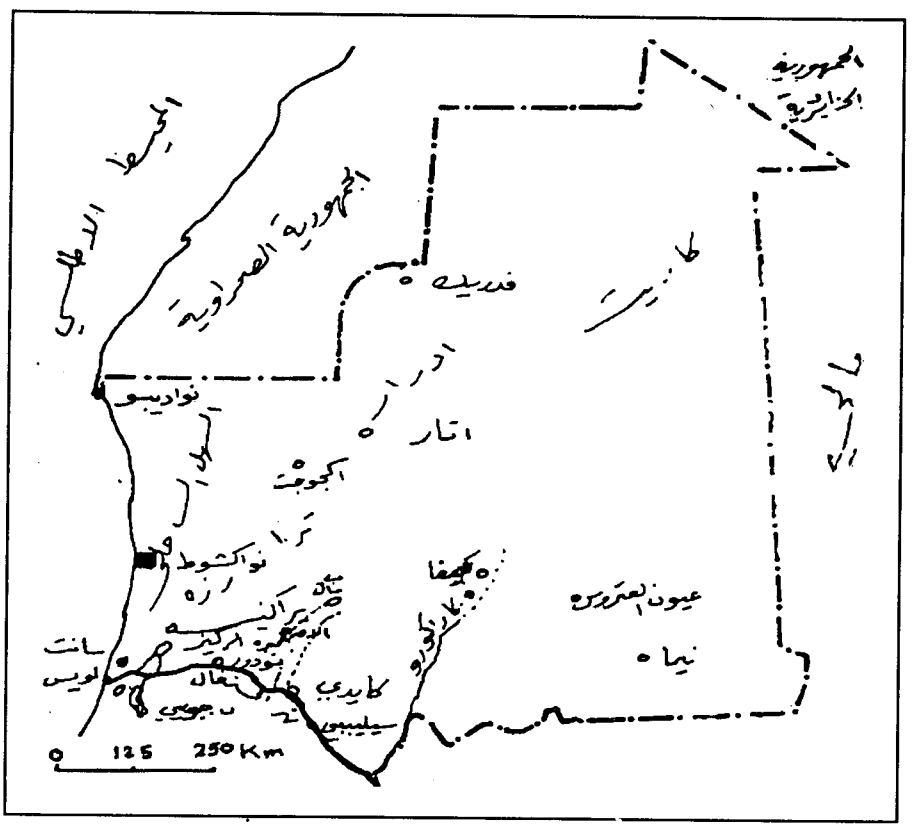

شكل رقم (6) الجمهورية الموريتانية الإسلامية

الأوضاع المائية في موريتانيا :

بدئ في تقصى الأوضاع المائية في البلاد منذ مطلع الخمسينيات من هذا القرن عندما أقيم في جهات مختلفة منها محطات هيدرولوجية لقياس عديد من الظواهر المائية السطحية والجوفية جهزت أغلبها بسلم هيدرولوجى لقياس ارتفاعات المياه، وآلة تسجيل ليمينغراف تمكن من معرفة الخصائص الهيدرولوجية المناخية والميتورولوجية تركزت الغالبية الكبيرة منها في حوض نهر السنغال وروافده كالقرقول والغرفة والنيوردى، وتوزعت محطات أخري في مناطق مختلفة في الأجزاء القاحلة من البلاد. (سيدي المختار عبد الله، ص 117) .

وتعتبر محطة بوقى في منطقة البراكنة على نهر السنغال بين محطتي ماكال وكاديول عند مصب النهر أقدم هذه المحطات التي أقيمت للتعرف على كامل خصائص السيلان بنهر السنغال (1953) ومحطة إدرار في جبال أدرار سنة 1955 ومحطة وادي كاتشى في ألاق (1958) ومحطة بحيرة مال في مال (1958) ومحطات أخرى عديدة على أودية القرقول (1958) والغرفة (1963) وجاجبين (1963) والنيورى في هار (1964) ومحطة في وادي كاركورو وغيرها .

ورغم هذا العدد الكبير من المحطات إلا أنها اتصفت بعدة عيوب منها تشتتها في أنحاء البلاد (رغم تركزها الواضح في جنوب البلاد حيث تسود الزراعة والرعى في منطقتي الراكنة والقرقول) وكذلك بعدم انتظام تسجيلها، بل وتوقفها عن العمل بعد فترة قصيرة من إنشائها. قد لا يتعدى سنتين، نتيجة لتطرف مواقعها ونقص الكوادر الفنية اللازمة لتشغيلها .

هذا وقد أعيد تجهيز بعض هذه المحطات ضمن برنامج الأمم المتحدة للرصد الزراعي والهيدرولوجى في منطقة الساحل الأفريقي بل وأقيمت بعض المحطات الجديدة لهذا الغرض. ورغم كل هذه الجهود فالموارد المائية في البلاد لازالت بحاجة إلى دراسات أكثر عمقا وتفصيلا (سيدي المختار، عبد الله، ص 118 - 124) .

مصادر المياه في موريتانيا :

سنتحدث هنا عن مصدرين أساسين هما: المياه الجوفية والسطحية :

أما عن المياه الجوفية: والتي بدأ البحث عنها منذ فترة طويلة تزيد على أربعين عاما، وما زال البحث قائما، فقد أستدل على وجود عدة أحواض مائية ولكنها ليست بأهمية تلك الأحواض الأخرى التي أكتشف في الصحراء الكبرى شرق موريتانيا وفي كل من الجزائر وتونس وليبيا ومصر، فهي هنا قليلة المياه عامة (Veslet , 1974 .pp 199 - 200)، وأهم الأحواض هنا الحوض الساحلي الذي يتكون من عدة طبقات مائية ترتكز فوق بعضها، توجد في صخور رملية ورسوبية أخرى، غالبا ما تتعرض في مساحات كبيرة منها لتداخل مياه البحر مما يؤدى إلى ارتفاع درجة ملوحتها، وعليه فإن نواكشوط العاصمة لا تعتمد في مياهها على هذه الطبقات بل تضخ إليها المياه من أبار حفرت في منطقة اديني Idini على بعد 70 كم شرقها .

كما توجد طبقات مائية أخرى في صخور الحجر الرملي التي تعود في تكوينها إلى الزمن القديم (الباليوزدى) وفي الحجر الجيري لالتواء تندوف ويمتد في الأجزاء الشمالية من البلاد، وهى طبقات مائية أحفورية لا يعتقد بإمكانية تغذيتها. كما يحتوى حوض تاودونيت على عدة طبقات مائية أيضا. هذا علاوة على ما تحتويه الصخور المتحولة والبلورية من شقوق وفواصل .

شكلت خزانات مياه جوفية لها أهميتها في قوس الموريتانيد وحافة الرقيات. كما توجد تكوينات أخرى حاملة للمياه أيضا تعود إلى عصور جيولوجية مختلفة وتحمل تسميات محلية (UN. 18. P. 266) .

وعلى الرغم من أن بعض هذه الأحواض يتميز بوفرة مياهه إلا أن غالبيتها يقع ضمن مناطق جافة وتصبح تغذيتها ضئيلة جدا ومن ثم فإن التعامل معها لا يختلف - كما سبق أن أشرنا - عن التعامل مع الخامات المعدنية القابلة للنفاذ، ويقدر أن المياه المتجددة منها لا تتجاوز في قيمتها 1500 م م3 سنويا (عبد العزيز محمد ص 55) .

تتركز في الحوض الساحلي الجنوبي والأحواض الجنوبية التي تتغذى بواسطة المياه السطحية من نهر السنغال وروافده .

ولما كان النشاط الاقتصادي، خاصة الرعوي منه السائد في البلاد والذي يعتمد على الموارد المائية المطرية في كثير من الأماكن وعلى المياه الجوفية السطحية التي تتأثر بتذبذب الأمطار كثيرا ما يتعرض للأزمات الحادة الناجمة عن نقص المياه لشرب الحيوانات مما يؤدى إلى هلاك أعداد كبيرة منها في بعض السنوات، وهذا يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالمياه الجوفية واستغلالها من ناحية والاتجاه لاستغلال مصادر أخرى من ناحية ثانية، ونخص هنا نهر السنغال وروافده .

شكـــل (7)

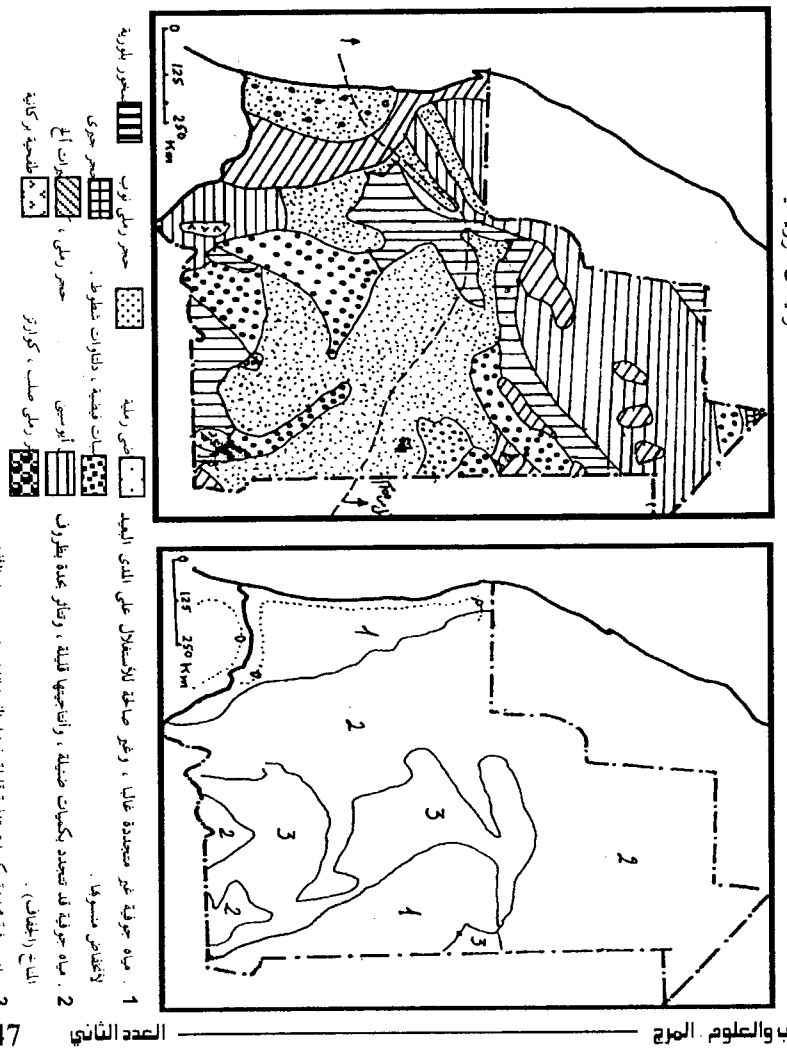

نهر السنغال مصدر مائي حيوي في غرب أفريقيا :

1 – جغرافية نهر السنغال :

من أطول الأنهار في غرب القارة الأفريقية وأهمها، إذ يبلغ طوله نحو 1633 كم. وتبلغ مساحة حوضه 337000كم2، ينبع من مرتفعات فوناجالون في غينيا على ارتفاع 800 م وينحدر نحو الشمال ثم الشمال الغربي ليصب في المحيط الأطلسي حيث أقيمت مدينة سانت لويس، مخترقا أراضى كل من مالي والسنغال وموريتانيا، ومشكلا الحدود بين الأخيرتين في جزئية الأوسط والأدنى حتى مصبه .

ومن أهم روافد نهر السنغال في مجراه الأعلى نهري بافنج وفاليمى وفي مجراه الأوسط نهر كاراكورو (حورحول) وهو من أهم روافد نهر السنغال في موريتانيا ويبلغ طوله نحو 460 كم. كما يتغذى بالمياه من بحيرات صغيرة تقع قرب مجراها لأسفل أهمها بحيرتي جوبي والركيزة (Guies , R'K13) .

ويتميز نهر السنغال في مجراه الأعلى بوجود المساقط المائية ومن أهمها جوينا التي يصل ارتفاعها إلى 18 مترا. وشلالات فيلو، بينما يخترق مجراه الأدنى عند مصبه الدلتاوى منطقة رملية تمتد لمسافة 39 كم بعد مدينة سان لويس .

ويلاحظ على التصريف المائي للنهر تذبذبه تبعا لتذبذب الأمطار الساقطة على حوضه، فمتوسط تصريفه الأقصى يصل إلى 4900 م3 ث بينما يصل تصريفه الأدنى إلى 800 م3 ث مثلما حدث في سنة 1975. وهذا يعنى أن متوسط التدفق السنوي للنهر يصل إلى 24 مليار متر مكعب تنخفض إلى 13 مليار م3 في السنوات الجافة (UN , 18 ,P312) وتعتبر الفترة بين شهري أغسطس وأكتوبر الأكثر أمطارا ومن ثم الأكثر تدفقا في نهر السنغال.

ومن الهام الإشارة هنا، إلى تذبذب الأمطار ليست وحدها المسئولة عن خفض التدفق في النهر بل تساهم المستنقعات التي قد تعترض مجرى النهر في أجزائه الوسطى والدنيا في ضياع كميات كبيرة من مياهه أيضا، ففي بحيرة الركيزة والتي تحتوى على 750 م م3 من المياه في مساحة يتراوح عمقها بين 4 – 5 م يضيع نحو 70% من مياهها بالبخر، مما يقلل مقدار تغذيتها له.

ومن الجدير بالذكر أنه في السنوات الجافة ،ونتيجة لفقدان التوازن بين مياه البحر المالحة والمياه الجوفية العذبة في حوض النهر، فإن المياه المالحة تتوغل في حوض النهر لمسافة قد تصل 450 كم من مصبه (وبقدرها البعض بنحو 250 كم فقط) .

ومن ناحية أخرى يمثل حوض نهر السنغال منطقة حيوية للأقطار التي يمر بها خاصة مالي وموريتانيا والسنغال، حيث يتركز بهذا الحوض $\frac{1}{5}$ سكان كل بلد منها تقريبا. كما انه يمثل منطقة زراعية هامة تشمل نحو مليون ونصف هكتار منها 400 ألف هكتار مروية في الأقطار الثلاثة. وتتركز في هذا الحوض الثروة الحيوانية في الأقطار الثلاثة: 2.7 مليون رأس من الأبقار و 4.8 رأس من الأغنام والماعز أو ما يعادل 25، 20 % من جملتها على الترتيب (UN , No20 , pp 276 - 277) وتكون أهمية هذا الحوض أكثر تأثيرا وجدبا في السنوات الجافة .

وتتركز في حوض النهر العديد من الثروات المعدنية التي تشكل أهمية كبيرة في موارد البلاد الثلاثة أهمها: الفوسفات في موريتانيا (في منطقتي سيفي وبوفال) وفي منطقة ماتام في السنغال والحديد في وادي فاليمى في السنغال وفي إقليم كاى - كينيابا في مالى والنحاس في منطقة سيليبابى في موريتانيا .

أما عن صلاحية النهر للملاحة، فإن ذلك يرتبط بمواسم الفيضان وارتفاع منسوب المياه في النهر، عندئذ يصبح النهر صالحا للملاحة للسفن الصغيرة والقوارب النهرية حتى مدينة كاى في مالي وعلى مسافة 950 كم من مصبه، بينما لا يصلح إلا لملاحة القوارب الصغيرة في المواسم الأخرى .

2 – المشروعات المشتركة في حوض نهر السنغال :

تعود أقدم الاتفاقيات بين أقطار الحوض الأربعة (غينيا ومالي والسنغال وموريتانيا) إلى سنة 1963 (يوليو) عندما وقعت هذه الأقطار على اتفاق بهدف تطوير حوض نهر السنغال، وأنشئت لجنة لهذا الغرض تحمل اسم (لجنة تطوير نهر السنغال) Committee for Development of the Senegal Rives وقد حل محلها سنة 1968 لجنة بديلة بتسمية جديدة " Organization des Etats

Reversions du Fleure Senega وتهدف هذه اللجنة إلى إيجاد الظروف المناسبة للتعاون والتكامل السياسي والاقتصادي بين الأقطار الأربعة المشتركة في حوض النهر وكان من أول ما اتفق عليه بين هذه الأقطار إعلان أن نهر السنغال نهر دولي وطريق حر أمام الأقطار الأربعة أولا ثم ينظر إلى استعمال السفن الدولية له فيما بعد. وهكذا كان هذا الإعلان دافعا إلى تحقيق برنامج يهدف إلى تنظيم جريان الماء في النهر لجعله صالحا للملاحة على مدار السنة بين مصبه ومدينة كاى في مالي أي لمسافة 900 كم.

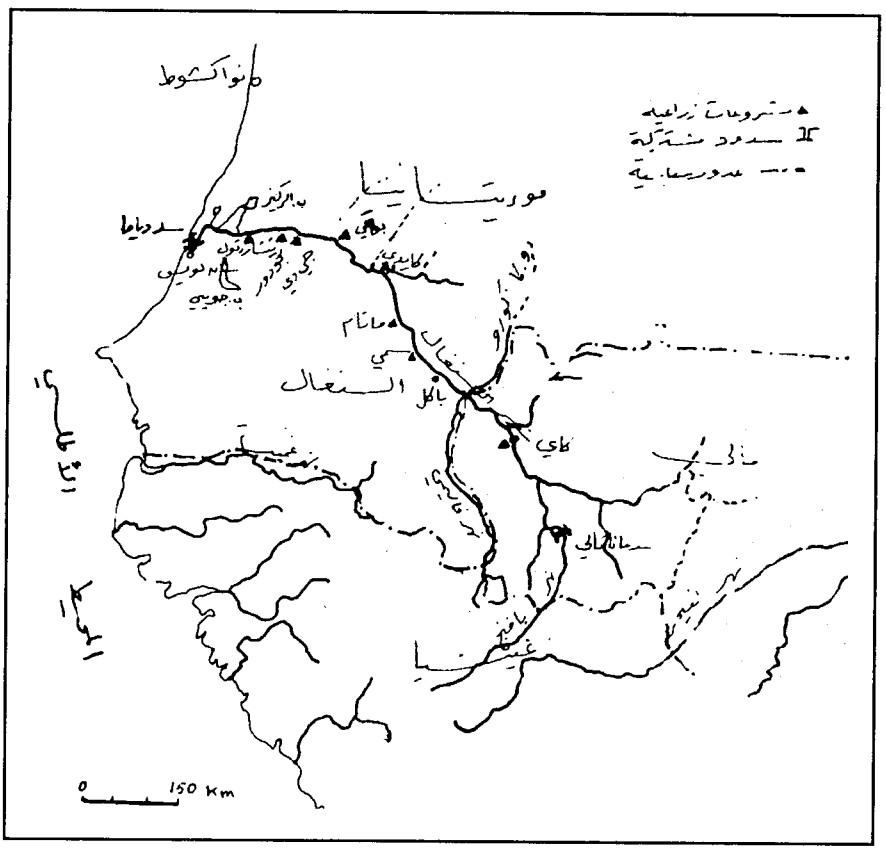

شكل رقم (8) حوض نهر السنغال

وفي سنة 1972 وقعت اتفاقية جديدة بين كل من موريتانيا والسنغال ومالي أدت إلي تكوين منظمة "OMVS The senegal River Basin Development Authority" ونصت هذه الاتفاقية وتلك التي سبقتها على تساوى حقوق وواجبات كل طرف من الأطراف الموقعة اتجاه هذا الحوض، فيتساوى نصيب كل طرف منهم في المياه، واستغلالها في النواحي التي يمكن أن تحددها الهيئة المشرفة، على أن تحافظ كل دولة منها على مياه النهر من التلوث وعلى أن لا تجرى أي منها تغيير بيئي نباتي أو حيواني في حوض النهر .

ولتحقيق التنمية والتكامل والتعاون بين الأقطار الثلاثة تم الاتفاق على أقامه مشروعات مشتركة تهدف تحقيق المصلحة لجميع الأقطار على السواء، من بين أهم تلك المشروعات، أقامه سدين على مجرى النهر وروافده :

1- سد ماناتالى Manatali على نهر بافنح في مالي على بعد 1100 كم من مصب النهر وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

أ - تنظيم جريان النهر ودرء خطر الفيضانات وتجنب مخاطر مواسم الجفاف.

ب- تخزين نحو 11000 مليون متر مكعب من المياه لرى 8000 هـ في مالـــى، و91000 هـ في موريتانيا و275000 هـ في السنغال (UN. No 20. PP 250 - 254) .

ج - إنتاج 800 جيجاوات ساعة من الكهرباء .

د - توفير كميات المياه اللازمة لجعل النهر صالحا للملاحة حتى مدينة كاى من ناحية

هـ- التصدي لجبهة المياه المالحة التي تطغى على حوض النهر لمسافة قد تصل إلى مساحة 250 كم في أيام الجفاف، ومن ثم فإن توفير المياه والحفاظ على تصريف النهر بقدر 300 م3 ث عند مدينة باكل Bakel يحقق هذا الغرض.

2 - سد دياما: وقد أقيم على مجرى النهر على بعد 23 كم من مصبه ويهدف إلى:

أ – يساهم مع السد السابق في منع تداخل مياه البحر في حوض النهر في المواسم الجافة وتشكل مياه السد حاجزا قويا لمجابهة تلك المياه المالحة وحماية الأراضي الزراعية منها .

ب– مساعدة السد السابق في توفير المياه اللازمة لجعل النهر صالحا للملاحة .

ج– ري 114000 هـ على ارتفاع 1.5 – 2.5 متر في كل من السنغال وموريتانيا وتوفير المياه اللازمة في المنخفضات والمناطق الساحلية .

د – توفير مياه الشرب لمدينة سان لويس .

هـ– إيجاد معبر يرى بين سان لويس ونواكشوط عبر الطريق المعبد المبنية على جسم السد .

هذا بالإضافة إلى سدود أخرى كسد ريتشاردتول الذي يساهم في توفير المياه اللازمة للشرب بمدينة داكار ولزراعة قصب السكر والأرز في السنغال، وأخرى على روافد نهر السنغال بلغ مجموع إنتاجها من الطاقة الكهربائية نحو 4744 جيجاوات ساعة. ونفذت مشروعات أخرى أصغر حجما بمساعدة بعض الهيئات المختصة في الأمم المتحدة والمنظمات العربية والعالمية وبعض الشركات الاستثمارية العربية والأجنبية خاص الأوربية .

ورغم الفوائد الجمة التي حققت من تلك المشروعات إلا أن بناء السدود خاصة لم يحقق كل الأهداف التي خطوا لها، فالنهر لم يصلح للملاحة مثلما كان متوقعا له، والأراضي الزراعية في الحوض الأدنى للنهر لم تستفد بمياه النهر مثلما خطط لها، والطاقة الكهربائية المولدة ليست كبيرة، يضاف إلى ذلك حجم الاستثمارات في هذه المشروعات في زيادة الفاقد من الماء بالبخر وكبر حجم الاستثمارات في هذه المشروعات، وضخامة ما يترتب عليها من فوائد أثقلت ميزانيات الدول الثلاثة واقتصادياتها مما دفع بالهيئات الدائنة إلي التدخل لمساعدة الأقطار الثلاثة على الخروج من هذا المأزق الفني والمالي .

وهنا نتساءل من هو المسئول عن قصور تلك المشروعات التي أقيمت على نهر السنغال ؟

إن الإجابة على هذا التساؤل سوف تبرز لنا مجموعتين من العوامل: **طبيعية** تتمثل في انخفاض إيرادات النهر المائية نتيجة لتذبذب الأمطار الساقطة على حوضه وانخفاض معدلاتها من ناحية وما يعانيه الحوض من ارتفاع معدلات البخر في مجراه ومن السدود المقامة عليه وكذلك من المستنقعات التي ينتشر على جانبيه في بعض أجزائه. **وبشرية** تتمثل في سوء استخدام الإنسان لمياهه في الزراعة فقد استبدلت النباتات التقليدية التي كانت مترعة في حوض النهر كالذرة والشعير والتي كانت تمثل الغذاء الأساسي للسكان، وتتميز بتحملها للجفاف استبدلت بالأرز وقصب السكر في المشروعات الزراعية، وهى مستهلك كبير للمياه. هذا علاوة على بعض المشاكل الفنية .

هل تعانى موريتانيا من أزمة مائية :

من خلال ما سبق نستطيع القول بأن جملة المياه المتجددة المتاحة في موريتانيا تزيد على 6500 م م3 منها نحو 5000 م م3 هو متوسط نصيب موريتانيا من مياه نهر السنغال. وهذا يعنى أن متوسط نصيب الفرد من المياه المتجددة بها يصل إلى 3250 م3 سنويا. وهو متوسط لا يأس به قد يفوق متوسط نصيب الفرد في عديد من الأقطار العربية ومن ثم يمكن القول بأن المشكلة المائية القائمة في البلاد لا تتمثل في نقص المياه بصورة عامة بقدر ما تتمثل في سوء استغلالها من ناحية أخري. فعلى سبيل المثال، فينما يتركز نحو 20% من سكان البلاد على ضفة نهر السنغال فإن نحو 76.55 من موارد المياه بها تقع في هذه المنطقة، وهذا يعنى أن قلة من السكان يستفيد بأكبر قدر من المياه، بينما ينتشر باقي السكان إلى أجزاء البلاد الأخرى معتمدين في مياههم على الموارد الجوفية .

ولما كان المجموعة الأولى من السكان المستقرة على ضفة نهر السنغال يعمل بالزراعة، وهنا تقع المشروعات الزراعية التي نفذتها الدولة ضمن مخططات التنمية

المشتركة في حوض النهر، فإن هذا يعنى أن الزراعة هي المستهلك الأساسي للمياه في البلاد، وعليه فإن تنظيم وترشيد استغلال الموارد المائية بها سوف يرتبط بالتدخل في استهلاك هذا القطاع. وهنا تبرز مشكلة أخرى تعانى منها هذه الموارد وهو توجه الدولة (ودول الحوار) إلى استبدال زراعة الذرة والشعير المحصولين الغذائيين التقليديين في البلاد بزراعة الأرز وقصب السكر، فما زاد إلى حد كبير استهلاك المياه في هذا القطاع، فمن المعروف أن استهلاك المحصولين الخيرين يفوق كثير استهلاك المحاصيل التقليدية، وإذا أخذنا في الاعتبار أن زراعة قصب السكر هو من اجل صناعة السكر، فإن هذا يعنى مضاعفة استهلاك المياه أيضا .

أما عن القطاعات الأخرى المستهلكة للمياه، فهي تتمثل في الاستهلاك الحضري والصناعي والرعوي، ولما كان مستوى التحضر في البلاد منخفض لا يتمثل إلا في عدة مراكز عمرانية صغيرة أكبرها العاصمة نواكشوط فإن متوسط استهلاك المياه للفرد لا يتجاوز 100 لتر يوميا، وكذلك الحال بالنسبة للقطاع الصناعي الذي مازال متخلف، ولا يتجاوز استهلاك الفرد سنويا لهذا الغرض 13 م 3 (شوقي أسعد ص 21) ، علاوة على انخفاض استهلاك المناجم والمحاجر منها .

وهكذا يبدو واضحا أن البلاد لا تعانى من مشكلة نقص المياه كما سبق أن أشرنا خاصة على المدى القريب، ولكنه يمكن أن تبدو أكثر وضوحا في المستقبل .

ويمكن أن نوجز أهم مظاهر المشكلة المائية في موريتانيا فيما يلي :

1) سوء توزيع هذه الموارد من الناحية الطبيعية، مما قد يستدعى نقل المياه لمسافات بعيدة مثلما هو تغذية نواكشوط بالمياه من 18 بئرا حفرت في منطقة ادينى على بعد 70 كم شرق العاصمة (منذ مياه أحفورية تجمعت في حجر رملي ورمال قارية) .

2) عدم وجود الأجهزة الفنية الكفؤه القادرة على تقييم موارد المياه رغم تعددها، والذي قد يسبب إشكالية أخرى، فهناك مكتب مراقبة المياه، وإدارة الدراسات الهيدروجيولوجية ومراقبة حفر الآبار، وإدارة المياه في المناطق الزراعية الرعوية

ومكتب حفر الآبار وصيانتها وخدمات توزيع المياه في المدن التي يزيد عدد سكانها على 2000 نسمة، بالإضافة إلى مكاتب هو إدارات خاصة عديدة متخصصة في مجال المياه. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن زيادة اهتمام الدولة بهذا القطاع الحيوي هو الذي دفع إلى تعدد الأجهزة والإدارات المشرفة عليه ولو أن ذلك قد يؤدى إلى تداخل مهام هذه الإدارات وعدم قيامها بمهامها على خير وجه .

3) عدم تقنين استخدام المياه في القطاع الزراعي وعدم اختيار النباتات المناسبة في الزراعة .

4) على الرغم من أن الاتفاقيات الدولية المنعقدة بين أقطار حوض نهر السنغال، تؤكد أن لكل دولة حقها في مياه النهر، ومن ثم فإن لموريتانيا حقوقها المتساوية في مياهه كدولتي السنغال ومالي، إلا أن التساؤل الذي يمكن أن يطرح: هل ستبقى هذه الاتفاقيات سارية المفعول في ظل التناقضات التي تقوم بين الحين والأخر بين أقطار الجوار في الحوض والتي قد تنذر أحيانا بقيام حروب بينها كتلك التي حدثت بين موريتانيا والسنغال خلال الثمانينات ونجم عنها هجرة واسعة للسكان بين الجانبين ومن ثم هل سيبقى التعاون في مجال استخدام المياه قائما ؟

5) عدم وجود دراسات كاملة عن الموارد المائية خاصة في المناطق الصحراوية، ذلك أن تنفيذ مثل هذه البرامج الضرورية يتطلب استثمارات كبيرة لا تتوفر محليا، فمعدلات التراكم الرأسمالي في اقتصاد متخلف منخفضة وحيث تنخفض معدلات الدخول (أقل من 500 دولار للفرد سنويا: انظر عمران ص 107) مما يجعل البلاد بحاجة إلى مساعدات خارجية، أثقلت كاهل البلاد بالديون كما سبق أن أشرنا .

خاتمة البحث

من خلال دراستنا السابقة لمنطقتي القرن الأفريقي وموريتانيا يتضح لنا القواسم الجغرافية المشتركة التالية :

1- هاتان المنطقتان العربيتان تتشابهان في بيئتهما، فهما تقعان ضمن المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، قد تصيب الأمطار أطرافهما الجنوبية، وتقل كلما اتجهنا شمالا، وهى من النوع الموسمي (تسقط صيفا) وتتصف بالتذبذب.

2- يتشابه الاقتصاد في المنطقتين فهو اقتصاد رعوي في معظم أجزاء المنطقتين، وتقوم الزراعة في أودية الأنهار وبطون الأودية وفي بعض الواحات،وتملك كلتا المنطقتان قطعيا هاما من الأغنام والماعز والإبل وقليلا من الأبقار، وكثيرا ما يتعرض هذا القطيع للهلاك نتيجة لتذبذب الأمطار ونقص المياه والرعى .

أما الزراعة فهي تقوم على أساس معيشي وبعضها تجارى يعتمد على زراعة الذرة والشعير وقصب السكر، ويزرع الموز في القرن الأفريقي .

3- قلة السكان في المنطقتين وانخفاض الكثافة بهما بصورة عامة، ولو أن القرن الأفريقي أقل مساحة وأكثر سكانا من موريتانيا وتتفشى الأمية بينهم .

4- ينخفض مستوى الدخل الفردي والقومي في المنطقتين مما يجعله عاجزتين عن القيام بتقييم شامل لمواردهما المائية، ومن ثم لابد لهما من الاعتماد على الخارج في تمويل مشروعاتهما .

5- يتمثل مصدر المياه الرئيسي في كلتا المنطقتين في أودية وأنهار تستمد مياهها من خارجهما، ففي المنطقة الأولى نهري جوبا وشبيلى وفي الثانية نهر السنغال، وبينما استطاعت موريتانيا عقد اتفاقيات تقاسم لمياه النهر وأقامة مشروعات مشتركة مع أقطار حوضه، لم يتم ذلك في حالة الصومال .

6- لا تتمثل المشكلة المائية في كلتا المنطقتين حتى الوقت الحاضر في نقص المياه

الشديد فيهما بصورة عامة، ولكنها تتمثل في سوء توزيعها، فهي تتركز في الأجزاء الجنوبية فيها حيث توجد الأنهار الدائمة بهما، ومن ناحية أخرى فإن البحث عن المياه الجوفية واستغلالها في الأجزاء الأخرى من البلاد لازال متخلفا، رغم الجهود التي بذلت من أجل تقييمها .

وعليه فإن التغلب على المشكلة المائية القائمة في كلتا المنطقتين وعلى المدى القريب وحتى الربع الأول من القرن القادم يتمثل في :

1- تكثيف برامج تقييم الموارد المائية في المنطقتين، خاصة تلك المتعلقة بموارد المياه الجوفية في المناطق الصحراوية الوسطى والشمالية فيهما ،ورصد الأحواض المائية التي تم التعرف عليها بطرق علمية للتعرف على خصائصها .

2 – حفر مجموعة أبار موزعة توزيعا جغرافيا منتظما لتأمين المياه اللازمة للرعاة في جميع أجزاء المنطقتين أو أقامه خزانات صناعية تنقل إليها المياه من المناطق القريبة

3 – الاستفادة بأقصى قدر ممكن من مياه الأودية الموسمية. وحجز مياهها عن طريق بناء سدود ترابية. تتجمع خلفها المياه التي يمكن استخدامها مباشرة في الزراعة والرعى، وفي تغذية المياه الجوفية .

4 – إقامة منظومات قطرية لنقل المياه من الأجزاء الجنوبية إلى الأجزاء الوسطى والشمالية في المنطقتين بأحجام تتناسب مع كمية المياه المتوفرة والطلب عليها ويكون الهدف منها توفير المياه للشرب في المدن والمراكز العمرانية الريفية والرعوية التي تعانى أحيانا من مخاطر الجفاف .

5 – ترشيد استغلال المياه في القطاع الزراعي، وذلك بزراعة نباتات قليلة الاستهلاك للمياه من ناحية والتوسع في الزراعة الجافة (البعلية) من ناحية أخرى. وهنا لابد من الإشارة إلى أن زراعة الذرة للغذاء، أو للتجارة واستبدالها بالقمح والأرز من الخارج قد يوفر كميات كبيرة من المياه والغذاء أيضا .

6- أن وضع برامج إنمائية مائية ناجمة يتطلب توفر الاستقرار على المستوى القطري. ووضع حد للصراعات الداخلية القائمة في غالبية أقطار هاتين المنطقتين وبصورة خاصة في الصومال مما سيوفر المناخ المناسب لتنفيذ تلك البرامج وتعم الفائدة جميع أنحاء البلاد .

7 – إن التخطيط للتنمية المائية يتطلب أيضا توحيد الأجهزة والإدارات المشرفة على هذا القطاع الهام في مختلف أنحاء البلاد وكذلك القوانين المنظمة لاستخدام هذا المورد، على أن تخضع جميعها لجهاز مركزي يضع المخططات والبرامج المائية ويشرف على تنفيذها .

8 – مثلما يمكن حل كثير من مشاكل المياه على المستوى القطري، فإن بعضها لن يتم إلا بتعاون الأقطار العربية في المنطقة على حلها، ويعتبر تعاون كل من إرتريا والسودان – على سبيل المثال – في مجال المياه ضروريا ذلك أن هناك أنهار مشتركة تنبع من إرتريا وتنتهي إلى السودان لابد من التخطيط المشترك لتنمية مواردها وتقاسم مياهها، ونخص هنا نهري خور بركة وخور الجاش وبعض روافد نهر عطبرة. وليس غريبا أن يعمل الصهاينة وأعداء الأمة العربية على عرقلة مثل هذا التعاون والتقارب بين هذين القطرين مما سيفشل تنفيذ مثل تلك المخططات التكاملية .

9 – على الرغم من احتلال إثيوبيا لبعض الأراضي العربية والتي يجب أن نعمل على استردادها – إلا أن عقد الاتفاقيات التي تنظم استغلال المياه المشتركة معها وصيانة منشأتها يعتبر حيويا، وهذا يستدعى دائما الوقوف جبهة واحدة قوية للتصدى لأي مخططات تستهدف حرمان الأمة العربية من حقوقها المائية في الأنهار المشتركة. سواء في القرن الأفريقي العربي أو في موريتانيا .

10– نتيجة لحاجة المشروعات المائية إلى استثمارات ضخمة تفتقر إليها الأقطار العربية في القرن الأفريقي وموريتانيا فإنه يصبح لزاما على الأقطار العربية والإسلامية خاصة النفطية الوقوف إلى جانب هذه الأقطار وشعوبها عن طريق تقديم المساعدات الفنية والمالية والقروض اللازمة لإقامة المشروعات المائية، والزراعية والرعوية، أو أقامه مشروعات مشتركة في هذا المجال يستهدف تحقيق التنمية والتكامل بين الأقطار العربية، كما أنه يجب الاستعانة ببرامج وخبرات الهيئات المختصة في الأمم المتحدة في هذا المجال. ولن يتحقق ذلك كله ألا بتوفير الاستقرار السياسي في تلك المناطق العربية .

الهـــوامـــش

أولا – المراجع العربية :

1) أسعد (م. شوقي) ورفائيل (د. نبيل). تنمية الموارد المائية في الوطن العربي وترشيد استخدامها، أكساد، إدارة الدراسات المائية، دمشق 1986.

2) الأعور (د. امحمد على) "مصادر المياه والأمن القومي العربي" مجلة البحوث الصناعية عدد 12، تاجوراء 1997 .

3) الأمم المتحدة. المجلس الاقتصادي والاجتماعي، لجنة التنمية المستدامة "التقدم العام المحرز منذ مؤتمر الأمم المتحدة المعنى بالبيئة والتنمية" تقرير إلى الأمين العام، نيويورك 1997 .

4) الأمم المتحدة " المجلس الاقتصادي والاجتماعي، لجنة التنمية المستدامة "مسائل وسياسات حرجة للتنمية المستدامة، الطاقة والنقل والمياه" نيويورك 1997.

5) لبندر، د.طعمه وأخرون "شحه المياه في نهر الفرات" ندوة نقابة الزراعيين الفنيين، بغداد 1975 .

6) الحافظ (د.زياد) " أزمة الغذاء في الوطن العربي " معهد النماء العربي، بيروت 1981 (الطبعة الثانية) .

7) الربيعي، داود جاسم وعبد الواحد، عبد الجليل، "نظام الأرواء والتصريف في قضاء أبى الخصيب" مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة – العراق، عدد 17، 1981 .

8) الشامي (د. صلاح الدين على) والصفار (د. فؤاد محمد) ، "جغرافية الوطن العربي" منشاة المعارف، الإسكندرية 1972 .

9) الفرا (د.محمد على) "مشكلة الغذاء في الوطن العربي والأزمة الاقتصادية العالمية" المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت 1986 .

10) النوبجى (د.على) "مشكلة المياه في مصر" دار صوت العرب الثقافية والأعلام، القاهرة 1993 .

11) اكساد، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، إدارة الدراسات المائية "تقييم الموارد المائية في الوطن العربي" باريس، دمشق 1988 .

12) اكساد "ندوة هيدرولوجية المياه السطحية في الوطن العربي"، دمشق 11 – 17 سبتمبر 1982 المجلد الثاني، دمشق، 1985 .

13) أيوبي (د. فضل) "حول أزمة المياه في الوطن العربي": الملتقى الجغرافي الأول، الزاوية، الجزء الأول، الزاوية 1994 .

14) جودة (د.جودة حسنين) "جغرافية أفريقيا الإقليمية" دار النهضة العربية، بيروت 1981 .

15) سيدي المختار عبد الله "شبكة المحطات الهيدرولوجية في جمهورية موريتانيا الإسلامية" أكساد 1985 .

16) طنطيس (د.جمعه رجب) "المشكلة المائية في فلسطين المحتلة: أهي حقيقة أم ادعاء" بحث مقدم إلى مؤتمر المهندسين الفلسطنين – بغداد، 1982، (منشورات المؤتمر) .

17) طنطيش (د.جمعه رجب) "المياه في فلسطين دراسة في الجغرافيا الاقتصادية والسياسية" الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس 1989.

18) طنطيش (د.جمعه رجب) "ملامح المشكلة المائية في فلسطين والأطماع الصهيونية في المياه العربية "مجلة العلوم الإنسانية، العدد الأول، زليتن، 1989 .

19) طنطيش (د.جمعه رجب) "المياه العربية بين مخاطر الطبيعة والأطماع الأجنبية" مجلة كلية الداب، جامعة الفاتح، العدد الأول 1998 (تحت الطبع) .

20) عمران (د.عبد الرحيم) "سكان العالم العربي، حاضره ومستقبله" الأمم المتحدة، نيويورك 1988 .

21) محمد (عبد العزيز محمد) "مشكلة المياه في الوطن العربي" شعبة التثقيف والأعلام، طرابلس 1995 .

22) معهد الإنماء العربي "العلم والتكنولوجيا" مجلة، عدد خاص عن الثروة المائية العربية، عدد 17، يوليو، بيروت 1989 .

23) نبيل (خليفة) "مياه الشرق الأوسط وحروب العقد القادم" مجلة الوحدة، عدد 76، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، يناير 1991 .

ثانيا- المراجع الأجنبية :

1 – I .M. LEWIS ...Somalio phaical and Social geography .Regional Survey of the " Wored. Eur. pub .Limited (s.d).

2 – Encyclopedie geographique .Stock .Paris , 1964 .

3 – Stanley H.Beaver and D.Stamp .A Regional geography part II: Africa – Longman Group Limited , London , 1964 .

4 – U .N .FAO Production Yearbook 1994 .New York , 1996.

5 - U .N .Demographic Statistics Production Yearbook. New York , 1995.

6 - U .N .Demographic Statistics Production Yearbook. New York , 1996.

7 - U .N .Natural Resources / Water Series No 10 ." Experiences in the development and management of International river and take basins " Dakar 5 – 14 May 1981 .New York 1983 .

8 - U .N .Natural Resources / Water Series No.18 .Ground Water in North and West Africa .. New York , 1988.

9 - U .N .Natural Resources / Water Series No.19 .Ground Water in Eastern , Central and. Southern Africa. New York , 1989.

10 - U .N .Natural Resources / Water Series No.20 .River and loke Basin Development. New York , 1990.

11- U. N. Natural Resources / Water Series No.9. New York , 19.

12 – Verlet Bruno .le Sahara .PUF .Paris ,1974 .

الأهمية الاقتصادية للمراعي الطبيعية

- **د. محمد عباس بيومي**
  - ❖ أستاذ مشارك بقسم الموارد الطبيعية
  - ❖ جامعة عمر المختار
- **د. عمر رمضان الساعدي**
  - ❖ أستاذ بقسم الموارد الطبيعية
  - ❖ جامعة عمر المختار
- **د. جمال الدين بلال عوض**
  - ❖ أستاذ مشارك بقسم الموارد الطبيعية
  - ❖ جامعة عمر المختار

1. مقدمـــــة

إن من المشاكل التي نواجهها اليوم في الوطن العربي هي إيجاد معادلة توفر الغذاء للإنسان وفي نفس الوقت تحمى البيئة والموارد الطبيعية من التدهور وتحفظ للأجيال القادمة حقها في هذه الموارد بضمان استغلالها الرشيد وتنميتها المستمرة، إلا أن المتتبع لنمط التنمية في الوطن العربي وخاصة في العقدين الآخرين يجد اختلالا في هذه المعادلة. فلقد أوضحت الإحصاءات الحديثة بأن المشكلة تزداد تعقيدا يوما بعد يوم نظرا لارتفاع معدلات الزيادة السكانية وتزايد القدرة الاستهلاكية للمنتجات الغذائية كما ونوعا، وفي الوقت الذي لم تواكب فيه معدلات الزيادة في الغذاء الطلب المتنامي للمواد الغذائية نتيجة لارتفاع معدلات الزيادة السكانية .

وتشير الإحصاءات بأن مساحة الوطن العربي تبلغ حوالي 1404 مليون هكتار وتقع أكثر من 90% من هذه المساحة ضمن المناطق الجافة وشبه الجافة وشديدة الجفاف [1]. كما تبين إحصاءات استخدامات الأراضي في الأقطار العربية بأن مساحة الأراضي القابلة للزراعة بالوطن العربي تقدر بحوالي 198 مليون هكتارا (أي ما يوزان 14% من المساحة الكلية) يستزرع منها حوالي 64 مليون هكتار (أي ما يوزان 4.6% من المساحة الكلية) [2].

مساحة المراعى الطبيعية قدرت في عام 1980 بحوالى 510 مليون هكتار (أي ما يوزان 36.3% من أجمالي مساحة الوطن العربي). وتناقصت لتصبح حوالي 373 مليون هكتار في عام 1993 (أي ما يوزان 26.6% من المساحة الكلية للوطن العربي). كما أن مساحة أراضى المراعى بالجماهيرية الليبية تشكل حوالي 8% من المساحة الكلية للجماهيرية (أي ما يوزان13.3 مليون هكتار). أما على المستوى العالمي فتقدر مساحة المراعى الطبيعية بحوالي 30% من مساحة سطح الأرض [3] .

2. الدور المتنامي للإنتاج الحيواني (عالميا وعربيا ومحليا) :

تمثل المنتجات الحيوانية أحد أهم العناصر الغذائية التي تؤثر على صحة الإنسان. وقد سعى الإنسان منذ آلاف السنين لتربية الحيوانات واستئناسها والاستفادة من منتجاتها المتنوعة. وقد اعتمد الإنسان على ما توفره الموارد الطبيعية من غطاء نباتي ومياه لتغذية حيواناته وفي أغلب الأحيان تستغل هذه الموارد بدون تكاليف محسوسة، إذ أنه في معظم المناطق، حيث توجد المساحات الشاسعة من الأراضي الرعوية لا تتعدى القيمة الحدية لهذه الأراضي مستوى الصفر. ولا تتوفر بدائل أخرى لاستخدامها مما يعني أيضا تدني تكلفة الفرصة البديلة وهذا يؤكد بأن الإنتاج الحيواني الذي يعتمد على الأراضي الرعوية يعد إحدى المنتجات الأقل تكلفة في القطاع الزراعي .

أشارت بعض الدراسات بأن حوالي ثلث تعداد الأبقار والأغنام في أستراليا تحصل على احتياجاتها العلفية من المراعي الطبيعية[4]. كما قدر هود صن (Hodgson)[5] بأن حوالي 54 % من الوحدات العلفية التي تستهلكها الماشية ،76% من الوحدات العلفية التي تستهلكها أبقار اللحم في الولايات المتحدة الأمريكية تأتي من المراعي الطبيعية، كما أن حوالي 1,118,205 ألف رأس من الماشية و 1,072,946ألف رأس من الأغنام و 384,416 ألف رأس من الماعز تتغذى على أراضي المراعي على مستوى العالم. بالإضافة إلى ذلك فإن 124 مليون رأس من الفصيلة الخيلية و125 رأس من الجاموس (Buffalo) ، 13 مليون رأس من الإبل تتغذى من نفس المصدر[3].

قد لا تلعب الأعداد الكبيرة من الحيوانات، والتي تتغذى على المراعي الطبيعية دورا اقتصاديا هاما في بعض الدول نتيجة لاختلاف المستوى الثقافي والعادات الاجتماعية فمثلا تتفوق قارة أفريقيا على الولايات المتحدة في أعداد الأبقار التي تتغذى على المراعي الطبيعية ولكن إنتاجها من اللحوم يمثل ثلث إنتاج اللحوم من الأبقار في الولايات المتحدة الأمريكية. كما أنه يوجد حوالي 176 مليون رأس من الأبقار في الهند ولكن هذا الكم الهائل من الثروة ليس له قيمة اقتصادية من ناحية إنتاج اللحوم (6.3) .إن وجود أعداد كبيرة من الحيوانات

الرعوية المتدنية الإنتاج أو غير المنتجة كان ومازال هو أحد الأسباب الرئيسية في تدهور مساحات شاسعة من المراعى الطبيعية، وبصفة خاصة في الأقطار العربية .

1.2 المراعى الطبيعية ودورها في توفير الاحتياجات الغذائية للثروة الحيوانية :

تعرف أراضى المراعى الطبيعية بأنها أراضى غير ملائمة من الناحية الاقتصادية لأي استثمار زراعي أخر مثل إنتاج المحاصيل الحقلية والبستانية، ويحد من إنتاجها عوامل مختلفة مثل المناخ والتضاريس والتربة، وتعتبر إنتاجية هذه الأراضي متدنية نسبة لتعرضها لفترات طويلة من الجفاف ومعاناتها من مشاكل ضحالة التربة وملوحيتها أو قلويتها .

وتعتبر المراعى الطبيعية من أهم الموارد الطبيعية المتجددة والمعطاءة في الوطن العربي وبالرغم من تدهور معظمها من الناحية الإنتاجية إلا أن لها دورا هاما في توفير الاحتياجات الغذائية اللازمة لأعداد هائلة من الحيوانات الرعوية المستأنسة والبرية بتكلفة قليلة نسبيا مقارنة بالمصادر العلفية الأخرى كما أنها تلعب دورا هاما في حماية البيئة والمحافظة على التربة من الانجراف المائي والهوائي وصيانة المساقط المائية وحفظ التوازن البيئي مما ينعكس على الحد من عوامل التصحر المتسارع. كما تعتبر المراعى الطبيعية أيضا متنزهات طبيعية ومصدرا هاما للنباتات الطبية وعسل النحل وحطب الوقود بالإضافة للأغذية غير التقليدية بالنسبة للإنسان .

وعموما فإن ما هو متفق عليه في الأقطار العربية يحصر المراعى الطبيعية في تلك الأراضي التي تقع بين خطى المطر 50 - 200 مليمتر في السنة في المناطق المعتدلة وأكثر من ذلك في المناطق المدارية وتحت المدارية بالإضافة إلى الأراضي التي لا تستغل زراعيا للأسباب التي وردت سابقا كما أن بعض مناطق الغابات ترعى ولو جزئيا بواسطة الحيوانات المستأنسة والبرية .بالرغم من الدور الهام الذي تعلبه المراعى الطبيعية في الوطن العربي بشكل عام وفي الجماهيرية الليبية بصفة خاصة من النواحي الاقتصادية والبيئية والاجتماعية إلا أن مساحتها تتناقص بمعدلات تنذر بالخطر، نتيجة للتوسع الزراعي والزحف الصحراوي بالإضافة إلى التدهور المستمر

في إنتاجيتها لأسباب تتعلق بالظروف البيئية (موجات الجفاف المتكرر، التذبذب في منسوب الأمطار ..إلخ) وللاستغلال غير الرشيد من قبل الإنسان، في أغلب الحالات، لهذا المورد الطبيعي المعطاء كما انه من المتوقع أن تتناقص مساهمة المراعى الطبيعية في تغطية الاحتياجات الغذائية للثروة الحيوانية بالوطن العربي. ويعتقد أن مجموعة من الأسباب قد ساهمت في هذا الانخفاض من أهمها البرامج والمشاريع التي نفذتها بعض الأقطار العربية والتي استهدفت تنمية الموارد العلفية غير الرعوية بمعدلات مرتفعة تفوق معدلات تنمية المراعى الطبيعية، وأننا نؤيد خطط التنمية في مجال إنتاج الأعلاف بل ونؤكد دائما على أهمية ذلك، ولكن ليس على حساب تنمية المراعى الطبيعية، لأن تنمية المراعى، كما هو معروف لها فوائد أخرى كثيرة مباشرة وغير مباشرة على الموارد الطبيعية الأخرى. لذا فأننا نرى أن تنمية جميع المصادر العلفية التقليدية منها وغير التقليدية بالإضافة للمراعى الطبيعية يعتبر حجر الزاوية بالنسبة لتنمية الثروة الحيوانية والمحافظة على البيئة وسيرا على الدرب الصحيح للمساهمة في تحقيق الأمن الغذائي العربي .

وقد قدرت جملة الاحتياجات الغذائية الكلية (الحافظة والإنتاجية) للثروة الحيوانية بالوطن العربي بحوالي 158.6 مليون طن من العناصر الغذائية المهضومة (TDN) و11.9 مليون طن من البروتين المهضوم. أما الكميات المتاحة محليا من الموارد العلفية وقيمتها الغذائية في الوطن العربي فقد قدرت بحوالي 111.2 مليون طن من العناصر الغذائية المهضومة و 8 مليون طن من البروتين المهضوم. ويتضح من ذلك بأنه هناك فجوة غذائية بين مصادر الأعلاف المتاحة و احتياجات الثروة الحيوانية بلغت 47.4 مليون طن من العناصر الغذائية المهضومة و 3.9 مليون طن من البروتين المهضوم في الوطن العربي مما ينعكس سلبا على الإنتاج الحيواني [2] .

وتساهم المراعى الطبيعية بحوالي 52.5 مليون طن، و2.7 مليون طنا على التوالي من العناصر الغذائية المهضومة والبروتين المهضوم. تليها الأعلاف الخشنة الجافة التي تساهم بنحو 42.9 مليون طن و1.7 مليون طن من البروتين المهضوم على التوالي ثم الأعلاف الخضراء المزروعة التي توفر نحو 13 مليون طن من العناصر

الغذائية المهضومة و1.9 مليون طن من البروتين المهضوم. وتساهم الأعلاف المركزة بنسبة لا تتعدى 5% من العناصر الغذائية المهضومة .

2.2 الوضع الحالي للمراعى الطبيعية في الجماهيرية العظمى:

يتضح من الجدول [1] أن الإنتاج العلفي السنوي من الأراضي الرعوية بالجماهيرية يبلغ حوالي 550 مليون وحدة علفية والإنتاج من المصادر العلفية الأخرى يبلغ 656 مليون وحدة علفية أي أن الإنتاج الكلى مـــن الأعلاف مـــن

جدول(1) الإنتاج السنوي من المصادر المختلفة من الأعلاف في الجماهيرية الليبية

المصـــدر	المساحة مليون هكتار	الإنتاجية السنوية الكلية بالألف وحدة علفية	٪ للإنتاج العلفي
المراعي الطبـــيعية	13.244	550305	46
بقايا الـــمحاصيل	605	89938	7.0
أعلاف خضـــراء	115	184500	15.0
أعلاف مـــركزة	-	381641	32
الـــمـــجموع		**1206384**	

المصدر : الشاوش وبن منصور (1991) .

المصادر المختلفة يبلغ حوالي 1206 مليون وحدة علفية في السنة في حين تبلغ الاحتياجات الغذائية السنوية للحيوانات حوالي 2950 مليون وحدة علفية (جدول 2) ويشير ذلك بأن هناك عجزا في الموازنة العلفية السنوية تقدر بحوالي 1744 مليون وحدة علفية، أي حوالي 59% من الاحتياجات العلفية السنوية. يتضح مما تقدم بأن هناك فجوة واسعة بين الاحتياجات الغذائية وما هو معروض من هذه الاحتياجات وفي تقديرنا أن معظم النقص في الاحتياجات الغذائية يتم تغطيته من المراعى الطبيعية مما يؤدى إلى زيادة استنزاف هذا المورد الطبيعي وينعكس ذلك أيضا على تدنى الإنتاج الحيواني بصورة عامة .

جدول (2) الاحتياجات الغذائية السنوية للحيوانات الرعوية بالجماهيرية (بالألف وحدة علفية) .

نوع الحيوان	العدد الكلي (رأس)	الاحتياجات السنوية للرأس الواحد(وحدة علفية / سنة)	الاحتياجات السنوية الكلية من الأعلاف (بالألف وحدة علفية)
أغنام	5.648.828	350	1977089
ماعز	1.543.055	250	385763
أبل	186481	2000	372962
أبقار	134.376	1600	215001
المجموع			**2950815**

المصدر : الشاوش وبن منصور (1991) .

ويوضح الشكل (1) العلاقة بين الحمولة الحيوانية وإنتاج الوحدة الحيوانية والإنتاج الحيواني للهكتار.

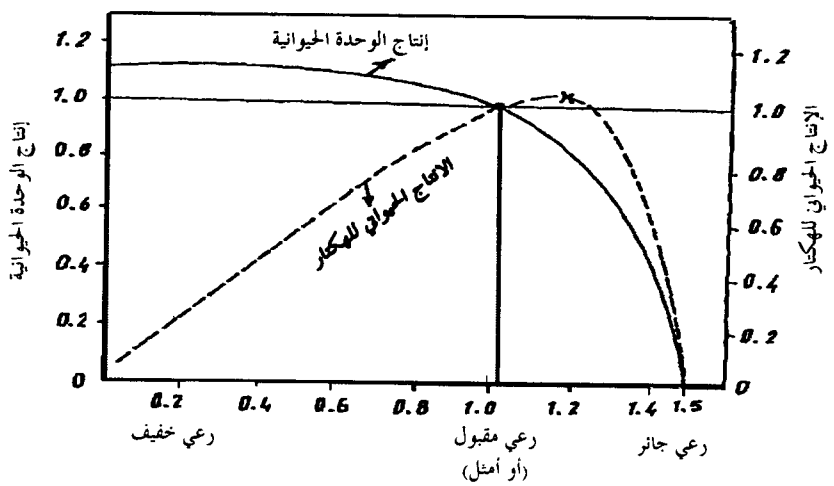

فعند النقطة(س) والتي تسمى نقطة المخاطرة (Peril point) تكون الحمولة الحيوانية والإنتاج الحيواني في الوضع الأمثل وأي زيادة ولو بسيطة في معدل الحمولة الحيوانية تحدث انخفاضا سريعا في إنتاج الوحدة الحيوانية.

أما كميات الإنتاج الحيواني للهكتار الواحد تزداد بصورة مباشرة عند زيادة معدل الحمولة الحيوانية إلى أن تصل إلى النقطة (ص) ثم أي زيادة أخرى في معدل الحمولة الحيوانية تعمل على الانخفاض السريع في الإنتاج الحيواني من الهكتار الواحد[7].

باستقراء ما يمكن أن يحدث للمراعى الطبيعية في الجماهيرية الليبية وفقا للبيانات الواردة في الجدولين (1) و (2) وإسقاط هذه البيانات على شكل (1) يتبين لنا أن الاستمرار في زيادة الحمولة الحيوانية على المراعى الطبيعية وبالمستوى الذي تؤكده الإحصاءات المتوفرة قد يؤدى إلى تدهور المراعى والإنتاج الحيواني إلى درجة يصعب معها إعادة مستوى الإنتاج الرعوي إلى وضعه المثل إلا بتكلفة مالية عالية وخلال فترة زمنية طويلة.

مما يؤكد أهمية الاستمرار في دعم برامج تنمية المراعى الطبيعية وتنمية مصادر الأعلاف المروية والمطرية والأعلاف الأخرى غير التقليدية لتخفيف الضغط على المراعى الطبيعية والمساهمة في الحد من استترافها .

3.2 جهود الجماهيرية العظمى لتطوير قطاع المراعى الطبيعية :

في إطار التأكيد المستمر للجهات المعنية بالجماهيرية على أهمية دور المراعى الطبيعية في تنمية قطاع الثروة الحيوانية وحماية البيئة. فقد تم إنشاء عدة مشروعات تنموية رعوية في المناطق الجغرافية الثلاث (الغربية والوسطى والشرقية) وتقدر جملة مساحات هذه المشروعات بحوالي 2.56 مليون هكتار تمثل حوالي 19.4% من المساحة الكلية للمراعى الطبيعية وتساهم في تغطية الاحتياجات الغذائية لجزء كبير من الثروة الحيوانية كالأغنام وبعض الأبقار والإبل وبعض سلالات الماعز .

كما تضاعف اهتمام الجهات المعنية بالجماهيرية لتطوير وتنمية قطاع إنتاج الإبل لكونه يشكل جزءا هاما من مصادر اللحوم الحمراء وقد ازدادت أعداد الإبل

من 70196 في عام 1975 إلى 155000 في عام 1992 (جدول 3) وقد قدر إنتاج قطاع الإبل في حدود 2250 طن من اللحوم الحمراء سنويا[8] وتعتمد الإبل على المراعى الطبيعية لتغطية احتياجاتها الغذائية وقد تم إنشاء عدة مشاريع لتنمية الإبل في مناطق رعوية مختلفة تلائم تربيته مثل "العسة" و"الهيشة الجديدة" و"الكفرة" و"الأويل" و"البطنان".

جدول (3) معدل الزيادة في أعداد الإبل من عام 1975 - 1992م

السنة	عدد الإبل
1975	70.196
1979	75.000
1983	109.160
1985	110.435
1989	130.000
1990	140.000
1991	150.000
1992	155.000

المصـــدر : الكـــتاب السنوي للإحصاءات الزراعية - مجلد رقم (13) - المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1993.

إن الاهتمام بإنشاء مثل هذه المشاريع التنموية يركز على الاستفادة المثلى من الأراضي الرعوية في المناطق المعنية والملائمة لتربية الإبل للمساهمة في سد الفجوة في الطلب المحلى على اللحوم الحمراء وخفض الواردات من هذه السلعة للمساهمة في تحقيق الأمن الغذائي المحلى الذي يعتبر من الأهداف الرئيسية لخطط التنمية بالجماهيرية .

التـــوصـــيات

1 - الاستمرار في حصر الموارد الطبيعية وتقييمها بالمناطق الجغرافية الثلاث بالجماهيرية لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنميتها وترشيد استغلالها .

2 - وضع البرامج التنموية على أساس التكامل بين الأراضي الهامشية والرعوية المتاخمة لتحقيق نظام الإنتاج الزراعي المختلط للمساهمة في سد الفجوة العلفية وتخفيف الضغط على أراضى المراعى .

3 - جمع وتقييم وإكثار المصادر الوراثية الرعوية والمستوردة الملائمة لظروف البيئة المحلية لزراعتها في مشروعات تنمية وتطوير المراعى .

4 - الاستمرار في تعديل الدورات الزراعية التي تشتمل على فترة تبوير الأرض وزراعتها بمحاصيل علفية بقولية لدعم خطة توفير الاحتياجات العلفية وتحسين خواص التربة مما ينعكس إيجابيا على إنتاجية المحاصيل الزراعية التالية في الدورة الزراعية .

5 - الاستمرار في البحث عن مصادر علفية غير تقليدية لتغذية الحيوانات الرعوية في الفترات الحرجة، مثل الاستفادة من مخلفات الصناعة والتصنيع الزراعي مثل اليوريا وتفل العنب والطماطم والفيتوره (مخلفات عصر ثمار الزيتون) وغيرها مما يساهم في سد الفجوة العلفية وتخفيف الحمولة الحيوانية على المراعى .

6 - زيادة التركيز على إنتاج الأعلاف المروية والبعلية من الأنواع والهجن عالية الإنتاج والملائمة للظروف البيئية المحلية .

7 - تطبيق أساليب حصاد ونشر مياه الأمطار لتواكب عمليات استزراع الأنواع الرعوية المبشرة لتنمية المراعى وحماية التربة من الانجراف .

8 - التركيز على برامج توعية وإرشاد المواطنين المعنيين، مربى الحيوانات الرعوية والرعاة بصفة خاصة، بكل الوسائل المتاحة من مرئية ومسموعة ونشرات إرشادية، بأهمية المحافظة على المراعى الطبيعية كمورد متجدد يسهم في دعم الاقتصاد الوطني وحماية البيئة .

9 - التأكيد على تطبيق القوانين التي تحد من استنزاف المراعى الطبيعية مثل قطع الأشجار والشجيرات والنباتات الرعوية الأخرى وإشعال الحرائق وتحويل مساحات من الأراضي الرعوية لأراضى زراعية بطرق غير مشروعة.

المراجع والمصادر

1) المنظمة العربية للتنمية الزراعية (1994). الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية – مجلد رقم (14) .

2) المنظمة العربية للتنمية الزراعية (1994) الاستفادة من المخلفات الزراعية في إنتاج الأعلاف الحيوانية في الوطن العربي .

3) Stoddart, L. A, A.D. Smith, and T. W. Box (1975) . Range Management. 3rd. ed . McGraw - Hill, New York.

4) Box, T. W. and R. A. Perry (1971). Rangeland management in Australia, Jour. Range Mgt . 24 : 167 - 171 .

5) Hodgson, H. J. (1972). Forage and grassland progress, quoted in Range Man's News 4 (5) : 4 Cited by Stoddart et al .Range Management . (1975) McGraw - Hill, New York.

6) Larson, F. D. (1967). Cultural conflicts with the cattle business in Zambia, Africa, Jour. Range Mgt. 19: 367 - 370.

7) Heady, H.F. (1975) Rangeland Managemenst McGraw - Hill , New York .

تأثير تدهور الغطاء النباتي الطبيعي في منطقة الجبل الأخضر على التنوع البيولوجي

- **د. عمر رمضان الساعدي**
  - ❖ أستاذ بقسم الموارد الطبيعية (جامعة عمر المختار)
- **د. السنوسي الزني**
  - ❖ أستاذ مشارك بقسم الموارد الطبيعية
  - ❖ (جامعة عمر المختار)
- **د. محمد عباس بيومي**
  - ❖ أستاذ بقسم الموارد الطبيعية (جامعة عمر المختار)

ملخص

إن الحالة الطبيعية - لأي نظام بيئي- تعنى التوازن الديناميكي المستقر لعناصر البيئة الذي نشأ نتيجة لعمليات تفاعل وتكيف بين هذه العناصر عبر مرحلة زمنية طويلة. وقد يحدث اختلال لهذا التوازن نتيجة استغلال عنصر أو أكثر من العناصر البيئية المكونة له بدرجة تفوق قدرته الكامنة على المساهمة في تحقيق هذا التوازن.

وتعتبر الغابات والمراعى في الجبل الأخضر أنظمة بيئية رئيسية من ناحية التنوع البيولوجي والكتلة الحية ولكن الاستنـــزاف المستمر لهذا المورد قلل من تنوعه وإنتاجيته بصورة كبيرة مما أدى في بعض المناطق إلي تزايد خطر الزحف الصحراوي بها.

إن تدهور الغطاء النباتي له انعكاسات سلبية مؤكدة على البيئة وعلى العائد المادي لمربى الحيوانات الرعوية وعلى الدخل القومي بصفة عامة.

ولقد أشارت هذه الورقة إلي المساهمة الجادة للجهات المعنية بالجماهيرية العظمى في الحد من التدهور المتسارع في الغطاء النباتي الطبيعي في الحد من التدهور المتسارع في الغطاء النباتي الطبيعي في الحد من التدهور المتسارع في الغطاء النباتي الطبيعي في منطقة الجبل الأخضر والمناطق الجغرافية الأخرى بالجماهيرية. *

(*) ألقيت هذه الورقة في اليوم العالمي للتنوع البيولوجي بتاريخ 1996/12/29 ، والذي أشرف على تنظيمه الجهاز الفني لحماية البيئة بمنطقة الجبل الأخضر.

مقدمـــــة

إن القرن العشرون هو قرن تطورت فيه مفاهيم علوم البيئة وترسخت أسسها على مستوى عالمي شملتها اتفاقيات وعلاقات دولية بين أمم الأرض. وباعتبار أن الأرض هي نظام بيئي مترابط، فقد حاولت الدول السيطرة على التدهور البيئي في كوكب الأرض، وأكبر دليل على الاهتمام المتزايد بأهمية البيئة هو انعقاد قمة الأرض الذي انعقد في البرازيل في عام 1995. ولكن لا تزال دول عديدة في حاجة إلى تغيير في أساليب إداراتها للأنظمة البيئية التي تتواجد ضمن حدودها السياسية والرفع من كفاءة وتطوير التعلم البيئي في مجالات متعددة زراعية وصناعية وسكانية وإدارة مواردها الطبيعية المتجددة كالغابات والمراعى والمياه وإدراج المحافظة على البيئة ضمن الأولويات الملحة في الخطط والبرامج التنموية بها .

إن الحالة الطبيعية لأى نظام بيئى تعنى التوازن الديناميكى المستقر لعناصر البيئة الذي نشأ نتيجة لعمليات تفاعل بين هذه العناصر عبر مرحلة زمنية طويلة. وقد يحدث اختلال لهذا التوازن نتيجة استغلال عنصر أو أكثر من العناصر البيئية المكونة له بدرجة تفوق قدرته الكامنة على المساهمة في تحقيق هذا التوازن .

وتلعب الغابات والمراعى دورا أساسيا في حماية البيئة والتنوع البيولوجي الذي ينعكس على استقرار الأنظمة البيئية وتطورها.

النوع البيولوجى أسبابه وخواصه :

من الملاحظ أن التنوع البيولوجي يختلف من مكان إلى أخر باختلاف الظروف البيئية لكل موقع وكذلك يرجع إلى الظواهر الجغرافية والأرضية كالجبال التي تؤدى إلى اختلاف نوعية وكمية في أنواع وإعداد الكائنات الحية في مواقع معينة.

وتشترك المجتمعات الطبيعية البيولوجية في صفة مميزة لها وهى أنها تحتوى

على عدد قليل نسبيا من الأنواع السائدة (Dominant species) التي تمثلها أعداد كثيرة من الأفراد أى كتلة حية كبيرة - وعددا كبيرا من الأنواع النادرة (Rare species) التي تمثل كل منها إعداد قليلة نسبيا في موقع معين والمجتمعات الطبيعية تحتوى على إعداد هائلة من الأنواع لدرجة أنه يكون من الصعب جدا التعرف على كل الأنواع وتسجيلها من نباتات وحيوانات وكائنات دقيقة والتي توجد في مساحة كبيرة نسبيا مثل هكتار من غابة أو مرعى ... إلخ، وبالطبع فإن معظم هذا التنوع الهائل يكون راجعا إلى الاختلافات في المحيط أو الوسط الفيزيائي التي ينتج عنها المخاليط) (Mixxtu res) أو تدرجات (Gradients) في التنوع. وبالطبع فإن الإنسان عادة يحدث ضغطا إختياريا قويا على التنوع وذلك بهدف زيادة الإنتاج لنوع سائد ومرغوب وذلك ينطبق على إدارة الزراعة، إدارة الغابات، إدارة المراعى، إدارة الأسماك، إدارة الأحياء البرية وغيرها. ولكن المنظمة البيئية تحاول أن تستمر في تنوعها إذا كانت الإدارة غير مكثفة[1] .

العلاقة بين التنوع البيولوجى والإستقرار (Stability) :

رغم أن التنوع والاستقرار مرتبطان ارتباطا مباشرا، إلا أنه ليس من الضرورى أن يكون الاستقرار ناتجا عن التنوع، فهذا قد يكون نتيجة لمؤثرات استقرار أخرى [1]. ومما لا شك فيه فإن التنوع البيولوجى في الأنظمة البيئية هو شيء مطلوب إلا أن هناك حدودا مثلى للتنوع بحيث لا يكون هناك تنوع أكثر من اللازم أو أقل من اللازم. كما أن التنافس والتطفل والافتراس والتعايش وتبادل المنفعة (Symbiosis) - وذلك حسب طبيعتها ودرجتها كلها عوامل تؤثر على التنوع البيولوجى والتوازن. وفى الأنظمة البيئية عادة يوجد شبه توازن بين أعداد الأنواع وسلوكها في الزمان والمكان .

الغطاء النباتي في الجبل الأخضر وتنوعه البيولوجي :

تعتبر الغابات والمراعى في الجبل الأخضر أنظمة بيئية رئيسية من ناحية

التنوع البيولوجي والكتلة الحية، فهي تشمل خليطا من النباتات التي تمثل مراحل التعاقب (Succession) المختلفة وحسب أوساط النمو المختلفة.

غابات الجبل الأخضر تعتبر هي التكوين الغابي (Forest formation) الوحيد المتبقي بين لبنان في شرق البحر الأبيض المتوسط وجبال الأطلس غربا في شمال أفريقيا .

ومن العوامل الهامة للتنوع البيولوجي للغطاء النباتي في منطقة الجبل الأخضر هي ارتفاع معدل سقوط الأمطار نسبيا مقارنة بالمناطق المجاورة والتضاريس وطبيعة التربة الناتجة من التفاعل المشترك بين المناخ والصخور الأصلية وتأثير الغطاء النباتي والكائنات الحية الأخرى وملائمة درجات الحرارة، كل هذه العوامل أدت وتؤدى إلى تنوع مميز في أنواع النباتات من أشجار وشجيرات وأعشاب وحشائش وحزازيات وأشنات وفطريات - وتنوع كبير في أنواع الحيوانات البرية من آكلات النباتات (Herbivores) وأكلات اللحوم (Carnivores) وطيور متنوعة وحشرات وغيرها وهذه الكائنات تستخدم موارد بيئتها في توازن بينها. ويمكن اعتبار منطقة الجبل الأخضر كجزيرة أو واحة منعزلة بيئيا بصورة طبيعية عن بقية المناطق البعيدة والغنية بالتنوع البيولوجي مما أدى إلى منع أو تقليل هجرة الأنواع وتبادل المورثات (Gene exchange) (2)، فيما عدا بعض أنواع الحيوانات البرية، ورغم ذلك يمكن اعتبار الغطاء الغابي للجبل الأخضر بأنه بقايا لغابات كانت أكثر انتشارا عبر صحراء شمال أفريقيا، والدليل على ذلك وجود بقايا أشجار متحجرة منتشرة في الصحراء وانطباعات أجزاء نباتات كالأوراق والمخاريط وغيرها على الصخور وكذلك وجود رسومات لحيوانات منقرضة رسمت على جدران الكهوف منذ القدم مما يدل على الغنى في التنوع البيولوجي الذي كان موجودا في أرجاء الصحراء الليبية والصحراء الكبرى التي كانت تستقبل معدلات أمطارا أعلى من الوقت الحاضر(3، 4، 5).

إن التنوع في تركيب الغطاء النباتي من الغابات والمراعى يؤدى عادة إلى

حالة من التوازن والاستقرار لهذا المورد الطبيعى المتجدد عندما نحسن استغلاله وصيانته ولكن الاستتراف المستمر لهذا المورد قلل من تنوعه وإنتاجيته بصورة كبيرة مما أدى في بعض المناطق إلى تزايد الزحف الصحراوي بها كما حدث للجبل الغربى ويحدث حاليا للجبل الأخضر .

وهناك العديد من العوامل التي أدت إلى تدهور الغطاء النباتي الطبيعي وتراجع التنوع البيولوجي في الجبل الأخضر منها ما هو نتاج العوامل الطبيعية مثل المناخ كقلة وتذبذب هطول الأمطار وموجات الحرارة المرتفعة التي تكون عادة مصحوبة برياح جنوبية جافة. ومنها عوامل نابعة من الأنشطة المختلفة للإنسان.

يسود منطقة الجبل الأخضر مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط كما يتميز بوجود بطاقات مناخية مختلفة حيث توجد المناطق شبه الرطبة حول شحات، البيضاء، مسه، الكوف وتليها المنطقة شبه الجافة التي تمتد إلى الساحل شمالا ودرنة شرقا وإلى مدينة بنغازى غربا. أما من الناحية الجنوبية فإنها أقل انتشارا، ثم تأتى المناطق الجافة التي تغطى مساحات شاسعة من المساحة الكلية لمنطقة الجبل الأخضر.

هذا ويبدأ موسم الهطول في شهر التمور (أكتوبر) وينتهي في شهر الماء (مايو) وتختلف كمية الهطول المطري السنوي اختلافا كبيرا من منطقة إلى أخرى حيث تصل إلى حوالي 600 مم / سنة في المناطق المرتفعة (شحات، البيضاء، مسه، الكوف) وتتدنى الكمية لتصل إلى حوالي 280 مم / سنة في درنة وأقل من 100 مم / سنة في مناطق جنوب الجبل الأخضر كما أن هناك تغيرات كبيرة في كمية الهطول من سنة إلى أخرى حيث إن معامل التغير في المنطقة يتراوح بين 25 / 50 فبينما نجد أن الهطول المطري قد ينخفض في شحات إلى أقل من 300 مم / سنة في بعض السنوات الجافة نجده في المنطقة شبه الجافة ينخفض إلى حوالى 150 مم / سنة وقد ينعدم في المناطق الجافة. وهذا بالطبع له انعكاسات على التنوع البيولوجى وخاصة على تنوع الغطاء النباتى وإنتاجيته والكائنات الحية الأخرى المرتبطة به من حيث تنوعها وإنتاجيتها .

أما أنشطة الإنسان وتأثيراته السلبية المختلفة على الغطاء النباتى الطبيعى فتتمثل أهمها فيما يلى :-

1 - الرعى الجائر والرعى المبكر لأراضى المراعى وبعض أراضى الغابات .

2 - قطع الأشجار والشجيرات في أراضى الغابات والمراعى من أجل حطب الوقود وغيره .

3 - تحويل بعض مناطق الغابات والمراعى إلى أراضى زراعية بالرغم من أن الإنتاجية الزراعية لأغلب هذه الأراضى غير اقتصادية خاصة أراضى المناطق الجافة والهامشية .

4 - الحرائق المتعمدة وغير المتعمدة .

وكان تدهور الغطاء النباتى هو النتيجة الحتمية لهذه الأنشطة ومن مظاهر هذا التدهور ما يلى :-

1- قلة الأنواع الرعوية الهامة وانعدامها في المناطق الرعوية الشديدة التدهور وإحلال نباتات أخرى أقل في قيمتها الرعوية للحيوانات المستأنسة والبرية على السواء وظهور نباتات غازية (Invaders) دخيلة على المنطقة نتيجة لشدة تردى حالة بعض المراعى وتكون هذه النباتات عادة قليلة أو منعدمة القيمة الرعوية وقد يكون بينها بعض النباتات السامة للحيوانات وفى الحالات القصوى للتدهور ينعدم وجود غطاء نباتى أصلا ويبدأ زحف الصحراء على هذه المناطق ومن الأمثلة على ذلك ما يلى :

اختفاء معظم الأنواع الرعوية الرئيسية في منطقة مراعى السفوح الجنوبية للجبل الأخضر والتى يصل معدل أمطارها حوالى 200 مم / سنة مثل الروثاش (Salaola vermiculat) والقبأ البصيلى (Poa bulbosa) والشوفان البرى (Avena barbata) والعزم (Stipa praviflora) وغيرها وحل محلها نباتات أخرى غازية مثل الرمث (Haloxylon articulatum) والصر (Noea mucronata) والعجـــرم

(Anabsis articulata) وبوشترته (Hordeum murinum L.) وفى مناطق المراعى المشاعة جنوب الجبل الأخضر مثل الخروبة فقد اختفت أيضا أنواع رعوية مستساغة مثل بعض أنواع النفل (Medicago spp.) والروثا (Salsola vermiculata) والشوفان البرى (Arena Barbata)والقطف الملحى (Atriplex halimus) وظهرت أنواع غازية مثل العجرم (Anabsis articulata) والسويـــدة (Suaeda mollis) والحرمل (Peganum harmala) (من النباتات السامة) .

2- أصبحت الأنواع السائدة (Dominant species) في منطقة الانتقال من غابات الماكى (Maquis formation) والسهوب (Steppe formation) هي الشبرق (Sarcopoterium spinosum) والفرعون (بصل العنصل) (Urginea martima) والدرياس (Thapsia garganica) .

3- تبدل المناخ الأصغر (Micro climate) فأصبح سطح التربة معرضا لأشعة الشمس بصورة أكبر مما أدى لرفع درجة حرارة التربة فزاد من جفافها وانعكس ذلك على أنواع وأعداد الكائنات الحيوانية التي تعيش في التربة وعلى انعدام التجديد الطبيعي للنباتات الرئيسية بالمنطقة وظهرت أنواع أخرى من النباتات الأكثر تحملا للجفاف والتي تكون في الغالب أقل في استساغتها والتي قد تكون نباتات غازية منعدمة القيمة الرعوية كما أسلفنا .

4- ومن التأثيرات الأخرى لهذا التدهور انخفاض في الإنتاجية الرعوية وهناك علاقة عكسية واضحة بين شدة التدهور والإنتاجية الرعوية فعلى سبيل المثال فقد قدرت الإنتاجية الرعوية لبعض المناطق في الجبل الأخضر ذات منسوب الأمطار حوالى 100 مم / سنة في الستينات بحوالى 100 وحدة علفية / هكتار / سنة ثم قدرت في عام 1977 (6) بحوالى 65 وحدة علفية / هكتار / سنة ثم في تقدير عام 1981 كانت حوالى 20 وحدة علفية / هكتار / سنة (7) .

5- انقراض أو ندرة وجود بعض الأنواع الشجرية والشجيرية في بعض مناطق الغابات مثل نبات العرعر (Juniperus phoenicea) الذي فقد قدرته على

التجديد الطبيعى. كما أن السرو (Cupressus sempervirens) والصنوبر الحلبى (Pinus halepensis) والبلوط (Quercus coccifera) وغيرها كلها أصبحت تعانى من عدم قدرتها على النمو والاسترساء وتجديد نفسها طبيعيا .

6- انجراف التربة وتدهور حالتها وتدنى خصوبتها وانعكاس ذلك على التنوع والإنتاجية .

7- انعكاسات سلبية على مستوى مخزون التربة من المياه الجوفية نتيجة لفقد معظم مياه الأمطار والسيول على هيئة جريان سطحى يصب في البحر أو نحو الجنوب في مناطق البلط التي تعتبر خارج المناطق الرعوية .

8- ندرة أو انعدام تواجد معظم الحيوانات البرية التي كانت توجد بمنطقة الجبل الأخضر نتيجة لأن معظم الغطاء النباتى الحالى قد تعرض لحالات متفاوتة من التدهور لدرجة لا تمكنه من تهيئة المأوى والغذاء المناسب لمعظم هذه الأنواع .

9- تبدل التركيب النوعي للغطاء النباتي في بعض المناطق الرعوية من نباتات عالية القيمة الرعوية إلى أنواع أخرى متدنية القيمة الرعوية أوجب تغيير نوع الحيوان الرعوي مثل الأبقار والأغنام مثلا إلى الإبل والماعز مما سينعكس على تدهور أكثر للغطاء النباتي الحالي .

10- تدهور الغطاء النباتي له انعكاسات سلبية على البيئة كما أسلفنا وعلى العائد المادي لمربى الحيوانات وعلى الدخل القومي بصفة عامة من قطاع الإنتاج الحيواني المتدني الذي يعتمد أساسا على المصادر الرعوية في تغطية حوالي 46 % من احتياجاته الغذائية .

وللمساهمة في الحد من التدهور المتسارع في الغطاء النباتي الطبيعي في منطقة الجبل الأخضر والجماهيرية العظمى بصفة عامة فقد تمت دراسة هذه المناطق بهدف تطوير وتنمية هذا المورد الطبيعي المتجدد من أجل حماية البيئة ودعم الاقتصاد القومي والمساهمة في تحقيق الأمن الغذائي بالجماهيرية، وقد تمثل هذا الاهتمام فيما يلي :-

1- إنشاء مشاريع تنمية وتطوير المراعى الطبيعية التي تغطى حاليا حوالي 19,5 % من المساحة الكلية للمراعى بالجماهيرية، منها حوالي8% بمنطقة الجبل الأخضر.

2- وضعت خطة لإنشاء المحميات والمنتزهات الطبيعية في المناطق الجغرافية الثلاث بالجماهيرية، وقد تم إنشاء بعضها بالفعل والباقى تحت التنفيذ، بهدف صيانة الموارد الطبيعية المتجددة والاستفادة منها في النواحي التعليمية والثقافية والترويحية، والحفاظ على التنوع البيولوجى والتوازن البيئى بهذه المناطق .

فقد تم إنشاء منتزه وادى الكوف في منطقة الجبل الأخضر قرب مدينة البيضاء عام 1978 كما أنشأت محمية طرابلس للأحياء البرية عام 1978م بغرض حماية الأحياء البرية المحلية وإدخال أحياء برية مستوردة ملائمة للظروف البيئية للمنطقة. وهناك محميات ومنتزهات قيد التنفيذ مثل محمية بئر عياد ومحمية الهيشة الجديدة ومنتزهات أبو غيلان وصرمان والقره بوللى.

3- بذلت مجهودات في مجال الغابات بمنطقة الجبل الأخضر، وبالجماهيرية بصفة عامة ووضعت مخططات للمحافظة عليها وتنميتها والتوسع في زراعة مساحات أخرى بنباتات الغابات والمراعى وحمايتها .

4- تم إنشاء قسم للغابات والمراعى بكلية الزراعة جامعة الفاتح عام 1978م وقسما للموارد الطبيعية بكلية الزراعة جامعة عمر المختار عام 1991 .

5- إنشاء المركز الفنى لحماية البيئة التابع للأمانة الشعبية العامة للإسكان والمرافق عام 1987 وتم فتح ثلاث فروع له، أحدها ببلدية الجبل الأخضر .

6- إنشاء معهد الغابات والمراعى بالحشان .

7- تأسست جمعيات مختلفة تهتم بحماية البيئة وتطويرها مثل جمعية حماية الأحياء البرية وجمعية المحافظة على البيئة .

8- عقد المؤتمرات والندوات المحلية والعربية والإقليمية والعالمية بالجماهيرية والتى تركزت محاورها على تنمية وتطوير المراعى والغابات وحماية البيئة .

9- عقد العديد من الدورات التدريبية والإرشادية في مجال تنمية وتطوير المراعى والغابات والمحافظة على البيئة .

10- تكثيف الجهود الفعالة لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والصحف والمجلات للتأكيد على أهمية المحافظة على البيئة وحمايتها من التدهور .

11- وضعت قوانين لحماية الغابات والمراعى والأحياء البرية .

التـــوصيـــات

1- التأكيد على دعم التعاون بين الأجهزة المختلفة التي تهتم بشؤون البيئة مثل المركز الفني لحماية البيئة والجامعات والمعاهد والأمانات ذات العلاقة ومراكز البحوث الليبية.

2- مواصلة التعاون العلمي والفني مع المنظمات والجامعات العربية الإقليمية والدولية التي تعمل في مجال حماية البيئة وتنميتها عن طريق الندوات والمؤتمرات وتبادل المعلومات الخاصة بنتائج البحوث والدراسات وعقد الدورات التدريبية لتأهيل العناصر الفنية .

3- إنشاء مصرف محلى للمصادر الوراثية المختلفة للنباتات الطبيعية ودراسة النباتات المستوردة الملائمة للظروف البيئية المحلية للاستفادة منها في برامج تنمية وتطوير المراعى والغابات .

4- التأكيد على ضرورة دعم الدور الفعال لوسائل الأعلام والإرشاد في توعية المواطنين بأهمية حماية البيئة لاستمرار مواردها الطبيعية المتجددة العطاء.

المـــراجـع

1 - Odum, E .P .1975 .Ecology , The link between the natural and social sciences .2nd ed .Holt , Rinehart and Winston, New York. 224 p .

2 - Giminghom , C .H. and K .Walton .1954 .Enviroment and the structure of scrub communities on the limestone plateau of northern Cyrenaica .J. Ecol .42 :505 - 520 .

3 - Dalloni , M .and T .N .Monod. 1984 .Mission Scientifique du fezzan (1944 - 1945) vi Geologie et Prehistoire institu De Recherches Sahariennes de L Uuuversity D .Alger .

4 - Quezel , P .1965 La vegetation du sahara du Tchad a la mauritanie . Gustav Fischer Verlag , stuttgart .

5 - Zunni , S .A .1977 .The forests of jebel el Akhdar , Libya M .S . thesis . Colorado State Univ , Ft .Collins , Co 127 p .

6 - Gintzburger , G .and .A .Bayoumi)1977 .(Survey of the present situation and production of the Libyan rangelands .FAO - ARC. Report 118 / 77 , Tripoli , Libya .

7- الزراعة في الجماهيرية - حقائق وأرقام. 1982. اللجنة الشعبية العامة للاستصلاح الزراعي وتعمير الأراضي و الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى .

ملامح من التقويم الداخلي لقصيدة النثر العربية

(مقارنة نقدية)

□ د. سرور عبد الرحمن عبد الله

❖ جامعة قاريونس

❖ كلية الآداب والعلوم - المرج

❖ قسم اللغة العربية (سابقا)

مقدمـــــة

ليست كل دراسة مطروحة من الممكن لها أن تقتحم جميع جوانب موضوعها اقتحاما لا تترك لغيرها الاجتهاد فيه، ولذا فإن هذه الدراسة المتواضعة هي قبل كل شيء مقاربة نقدية تسعى جاهدة إلي استقراء ما تراه مستحقا للتناول، وتطمح إلى الوقوف على ما هو موضع الإثارة والاهتمام عند المتلقين من حيز موضوعها .

قصيدة النثر هي أحد الأنماط الكتابية الأدبية الجديدة التي ظهرت في الأدب العربي المعاصر، برزت وهى تسعى نحو تحقيق الشعرية خارج أعراف الشعر الموروثة ولاسيما الأوزان والقوافي وتقعيداتهما فقد أرتكن إليهما الشعر التقليدي على الدوام وذلك بعد أن رأى أصحاب النمط تأكيد المنظرين وأصحاب الفكر النقدي – أغلبهم – ابتداء بالمطروحات اليونانية ومرورا بالجهود العربية القديمة ووصولا إلى الدراسات الحديثة – الغربية المتقدمة والعربية المتأخرة منها أيضا – على أن شعرية القصيدة غير مرهونة بالأوزان والقوافي وتعقيداتها حصرا بل إنهما جزء منها فحسب، كما أنها ليست النسق الإيقاعي الوحيد فيها بل ثمة أنساق إيقاعية أخرى تدخل إليها كالتوازى والتكرار – على سبيل المثال وليس الحصر .

ومن هنا لا تشترط قصيدة النثر إلغاء الإيقاع الشعري إلغاء ولكنها تنأى عن كل تقعيد يحول دون التعبير الشعري الحر لها ويضمر ما لها من معطيات، ولذا نجدها تبتعد عن التقعيد الخليلى، غير أنها في الوقت، غير أنها في الوقت نفسه لا تنفى ما يرد عفو الخاطر فيها غير مخل بإنثيال معطياتها، وهكذا فمن باب الوهم التصور أنه كلما طرح الوزن وأقصى عن النص الشعري كان هذا النص محققا للشعرية، فالشعرية في قصيدة النثر مرتبطة – بالدرجة الرئيسة – بمستويات خرق الأعراف اللغوية وقوانينها المستهلكة، ومحاولة خلق علاقات لغوية جديدة بهدف

الوصول إلى أفضل ما يمكن الوصول إليه من معطيات إيحائية تستثير الحساسية الشعرية المعاصرة .

ومن هنا كانت قصيدة النثر على مستوى البث والتلقى مرحلة أكثر مغايرة من حيث الركون إلى دائرة (الكتابي - القرائى) والانتماء إليها، موازنة ببقية الأنماط الشعرية الخارجة عن نظام الشعر العمودي المرتكن إلى (الإلقائي - السماعي) .

بدأت إرهاصات ظهور قصيدة النثر في الغرب، وتبلورت بشكل خاص في فرنسا على يد شعراء عدة، إلا أن (شارل بودلير) تصدرهم زمنيا في ذلك ليبنى لها منطلقها النظري .

ومن الأدب الفرنسي انتقلت إلى الأدب العربي المعاصر أى أنها لم تولد مباشرة من صميم الأدب العربى وليست امتدادا لنمط شعري عربي معين كما هو الحال مع القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة الجديدة. ولكن هذا لا يعنى أنها كانت بمنأى عن مهيئات أدبية وفرت لها الأرضية الصالحة ومهدت لها لتنبت ثم تنمو بحرية مثل ما في التراث العربي القديم من النثر الصوفي، أو ما ورد في الأدب العربي الحديث والمعاصر الذي يكمن في ظهور أنماط شعرية متعددة سبقت قصيدة النثر زمنيا في التعرض إلى أشد الأمور حساسية في نظرية الشعر العربي وأركانه المشكلة له، وهو مصادرة الوزن والقافية وتقعيداتها إلا ما وردتا عفو الخاطر، وهذه الأنماط هي (الشعر المنثور) و(النمط الشعري الذي كتبه حسين مردان - واقتراح تسميته بالنمط المردانى) و(الشعر الحر الآنكلوسكسونى)، ولقد اتخذت هذه المهيئات مساحة زمنية فسيحة ناهزت نصف قرن قبل ظهور قصيدة النثر ودخولها إلى الأدب العربي المعاصر.

دخلت قصيدة النثر - بصورة جادة - إلى الأدب العربي المعاصر من خلال شعراء تجمع مجلة (شعر) اللبنانية الذين كان البعض منهم من سوريا والبعض الأخر من لبنان، ونخص منهم (أودنيس) و(يوسف الخال) و(أنسى الحاج) و(شوقي أبى

شقرا) و(فؤاد رفقة) و(منير بشور) و(عصام محفوظ) .. وغيرهم، ولاسيما الأول – أودنيس – منهم حيث كان أول من حاول التنظير للنمط من خلال استخلاص مفاهيم واردة من كتاب سوزان برنار (قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا) وذلك في مقالة نشرها سنة في مجلة(شعر) ضمن عددها تحت عنوان (في قصيدة النثر). وبحق لعبت هذه المفاهيم دورا كبيرا في التأسيس لقصيدة النثر في البداية. غير أنه لم تكن للدائرة النظرية لقصيدة النثر أن تكتمل بجهود شعراء تجمع مجلة (شعر) وحدهم، وهكذا فإن الجهود الأخرى التي عقبت فيما بعد من العراق، هذا فضلا عن جهود أخرى متفرقة ظهرت فيما بعد في سوريا، قد أوصلت قصيدة النثر إلى آفاق جديدة من حيث البناء والمضامين بل ومن الممكن وصف هذه الجهود بأنها النصف الثاني من الدائرة التي رسم نصفها الأول شعراء تجمع (شعر). وذلك كجهود (سركون بولص) و(فاضل العزاوى) و(صلاح فائق) و(حميد المطبعي) و(عبد الرحمن طهمازى) و(مؤيد الراوي) و(موسى كريدى) و(نزار عباس) و(عبد الرحمن مجيد الربيعي) ... وغيرهم من العراق – أولئك الشعراء الذين استقطبوا بشكل خاص حول مجلة (الكلمة) العراقية التي كانت تحفز التوجه إلى هذا النمط الشعري –، أو كجهود (سليم بركات) التي من الممكن عندها أبرز تلك الجهود السورية المتأخرة وأغناها من حيث القيمة الفنية .

لعبت دوافع متعددة في ظهور قصيدة النثر – على وجه الخصوص – الدافع الفني والأيديولوجي والنفسي، وإلى جانب تلك الدوافع كانت ثمة مجموعتان من الحوافز لعبتا دورهما في ظهور النمط وهما، أولا: حوافز الواقع المحيط بالنمط التي شملت ظهور الحركات التجديدية في الشعر العربي المعاصر، وبضمنها الأنماط المجاورة له. وثانيا: معطيات التجمع اللبناني وخدمته للنمط من حيث إصدار مجلة (شعر)، وإصدار دواوين فيها، وإقامة ندوات متواصلة عرفت بخميس مجلة (شعر). ولقد كانت ثمة أهداف متعددة سعى إليها أصحاب النمط أهمها تحقيق إنجازات فنية أفضل، على مستوى التحديث من جانب، وعلى مستوى البحث عن حيز ارحب وأكثر حرية في التعبير من جانب أخر .

استطاعت قصيدة النثر الاتصاف بصورة شكلية أخرى غير الصور التي كانت موجودة في الشعر العربي، فعلى مستوى النظام الكتابي نجدها تتخذ - إلى جانب النظام السطرى - نظامين آخرين وهما النظام الفقري والنظام المركب من الفقري والسطرى، وعلى مستوى مقوماتها المرئية استطاعت أن تعرج على الفراغية والتقطيع والتجسيم والخطوطية والتهميش ولعبة الحروف بأنواع متعددة .. وغيرها، وما تستطيع أن توافر هذه المقومات من إمكانات تعبيرية واستغلال لجماليات التلقي. كما استطاعت أن تستغل نسقا التكرار والتوازى أكثر والاهتمام بقدر كبير من أنماطهما، فهما يشكلان معطيين إيقاعيين بعيدين عن مزاحمة التعبير الشعري، ولاسيما تجسيد الصور، كما أن ما يقدمه التوازي الدلالي يقوم عاملا رئيسا في التماسك الداخلي للنص الشعري وتواشجه ووحدته. كما سنح لقصيدة النثر أن تتسع - بسبب من غياب الأوزان والقوافي - في جانبين مهمين وهما الرؤية للعالم والصورة الفنية .

ومن نافلة القول أن نذكر أنه مثلما من الممكن أن ننعت القصيدة بـــ (العمودية أو العمود المطور أو التفعلية الجديدة) أو (الحرة) .. الخ، فمن الطبيعي نعتها بـــ (النثرية) ما دام المنعوت يستمد مقوماته من دائرة النعت.

من بين ما استطاعت قصيدة النثر أن تفيد بحق مما سنح لها من فضائل النثر - ولاسيما المثال القصصي - هي بروز السرد والوصف والحوار، ولاشك في أن شخوص مثل هذه الفضائل وحضورها في قصيدة النثر كان أبرز وأشد موازنة بالأنماط الأخرى - المتعددة - التي ظهرت في الأدب العربي المعاصر، غير أن قصيدة النثر هذه لم تأخذ هذه الفضائل مباشرة من دون تطويعها للمستويات الفنية التي تؤسسها للتعبير بوصفها قصيدة، بل سعت جاهدة نحو ذلك من خلال احتواء هذه الفضائل عبر آلية خاصة وبلورتها في نسق يلائم مع نسيج القصيدة وأجوائها .

لقد حاولنا - في هذه الدراسة - أن نقف عند هذه الفضائل وتقصى مستويات وجودها في قصيدة النثر العربية، وذلك بتناول كل فضيلة منها على حده

من حيث أنماطها إن توافرت فيها، فضلا عن آلية بنائها وما فيها من وظائف .

ومن نافلة القول أن نذكر أن بعضا من أصحاب النمط من أقترب من هذه الآلية وأتخذها في تقويم قصيدته مثل من ورد أسماؤهم في هذه الدراسة وثمة من ابتعد عنها واتخذ غيرها من الآليات في تقويماته .

ومن سقط المتاع أن نذكر أنه من الممكن أن نستنتج ضمنا اعتسار فهمنا لقصيدة النثر وما تدخل إليها من هذه الفضائل - ولاسيما النثرية - بوصفها نمطا شعريا يمتلك إمكانات احتوائية من دون السعي نحو تغيير تصورنا القبلي والقوانين المسبقة التي تتحكم في فهمنا للنص، حيث من الضرورة جعل النص وما في النص من جماليات مقياسا للشعرية .

وأخيرا أدعو من الباري عظيم الشان أن يكون قد وفقني في جهدي المتواضع هذا ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ .

المبحث الأول

أنماط السرد وآليته ووظائفه في قصيدة النثر

أولا: أنماط السرد وآليته :

أ – قصيدة النثر السردية

وهى نمط من القصيدة يسعى فيه إلى تقديم حدث أو حالة معينة أو أحداث حالات معينة برمتها من خلال السرد، إلا انه يتصف بالقصر في كل الأحوال احترازا من افتقاد القصيدة للتواشج الداخلي وتماسكاته .وهو يتصف باشتماله على نسق واحد أو اكثر متفاوتا في وحداته السردية فهناك النسق الذي يتصف بوحدة سردية واحدة، وثمة أنساق تتصف بأكثر من وحدة سردية .

وهذا النمط من السرد الحاضر في قصيدة النثر يعمد في الغالب إلى التمحور حول لحظات التوتر المشحونة بالتصاعد الدرامي – أن صح التعبير – من حدث أو حالة معينة أو أحداث أو حالات معينة ضمن حدث معين .

إن النسيج السردي في قصيدة النثر يقوم قبل كل شيء على مستويات من التناسق المنطقي بين وحدات السرد كلا عن انسجامه التام مع الحدث .

ومن نافلة القول أن نذكر أن أكثر من صاغ تجاربه خلال هذا النمط من السرد هما سركون بولص، وفاضل العزاوى .

يجدر بنا أن نبدأ في وقوفنا بأمثلة النمط القصيرة جدا ثم نعرج شيئا فشيئا على الأمثلة المتوسطة الطول، وذلك لما تتمتع به هذه الأمثلة – القصيرة – بآليات دقيقة ونواة مضيئة تقفان وراء شحناتها الإيحائية، وللسبب ذاته نجد الحضور الضئيل له، إذ لم يمارس الكتابة فيه إلا فاضل العزاوى، ولم يقدم هو إلا إنتاجا مبتسرا، ولعل قصيدة (الخطوبة) للشاعر مثال مضيء لنا، حيث يقول فيها :

" إذ يذهب الليل إلى بيئته

أرى رجلا عند الحديقة
يطلب يدي للحرب" [1]

إذ من الملاحظ في النسقين كليهما أنهما لا ينطويان على وحدة سردية واحدة بل الأول على واحدة والثاني على اثنتين .

إن الاكتمال السردي لنقل الوحدة الحديثة لا يمكنه أن يتم بدون تضايف منطقي بين النسقين - المتقدمين- لأن كل واحد منهما يشتمل على تجسيد جزء من الوحدة، كما أن النسق الثاني لم يكن لتكتمل أبعاده بدون تضايف منطقي لوحدتيه لأن كل وحدة منهما احتوت على نواة من نوى تجسيد الحدث .

وقد تتسع بنية سرد الحدث إلى انساق متعددة كما في قصيدة (في الساحة في النهار) لـــ (سركون بولص) :

1 " (متسولة صغيرة من غجر أثينا
2 يطلق سراحها شرطي نحيل يتكئ على كشك الصحف
3 حيث تحتمي كلبة وجراؤها الثلاثة
4 بعد أن تحسس بكلتا يديه
5 وتفحص متأنيا
6 كل طية من طيات ثوبها الكثيرة
7 بعينيه)" [2]

وتقوم هذه الأنساق على وحدات متعددة لكن ليس كل نسق منها متساويا في احتواء الوحدات للأخر. ينظر الجدول الآتي :

النسق	السطر	الوحدات السردية
1	1	0: /
2	2	2: أ(يطلق سراحها الشرطي)، ب(يتكئ على كشك الصحف)
3	3	1: ج(تحتمي كلبة وجراؤها الثلاثة)
4	7.6.5.4	2: د(تحسس بكلتا يديه)، هـ (تفحص متأنيا)

إلا أنه من الضروري أن نلاحظ أن الوحدات السردية هذه ليست رئيسة

كلها في تجسيد الحدث فالوحدة (ج)، تظل تزويقا في وظيفتها، فهي لا تجسد الحدث بقدر ما تعمد إلى إضفاء صبغة جمالية عليه .

كما نجد أن عملية التعاقب المنطقي والتسلسل الزمني تتوتر بين الوحدات كلا حيث إن وحدتي النسق الثاني السرديتين، مع الوحدة الثالثة من النسق الثالث قد تقدمتا على وحدتي النسق الرابع والتي يتوجب العكس في ذلك، ينظر الشكل رقم (1) .

شكل رقم (1)

انسياب الحدث

التعاقب الزمني العرضي	3	2	1
التعاقب اللامنطقي لوحدات القصيدة	2	1	2
التعاقب المنطقي للأنساق	4	3	2
التعاقب المنطقي للوحدات	1	2	2

وتكون القصيدة في تعاقبها المنطقي بالشكل التالي: السطر 1 ثم 4 5 6 7 ثم 2 3 أي الوحدة السردية الأولى ثم الرابعة ثم الثانية ثم الثالثة .

غير أن هذا لا يعني أن القصيدة واقعة في خلل فكما نلاحظ أن الأنساق تحتوي على الوحدات المختلطة وتعمل على توزيعها بالشكل الذي يبدو انسيابها طبيعيا ومنطقيا .

ويبدو أن الشاعر عمد إلى هذا التقديم والتأخير لأجل الابتداء باللحظة الأكثر توترا من الموقف ليزيد من انتباه المتلقي ويكسبه منذ البداية .

ويسعى (سليم بركات) في قصيدته (سنجاب) إلى سرد الوحدة الحديثة أكثر من مرة تأكيدا للمعنى، حيث يقول فيها :

1 " تتدحرج حبة البندق الأولى من الأعلى
2 تتدحرج الحبة الثانية، والثالثة، والرابعة
3 والخامسة، والسادسة من الأعلى

4 حبة حبة يتدحرج البندق تحت الشجرة البلهاء
5 الشجرة التي يجمع السنجاب ذاكرتها حبة حبة
6 ويدحرجها إلى وكره
7 ذاكرة من البندق تتدحرج كل عام حبة حبة
8 إلى وكر الأمير ذي الذيل المرح، والشجرة تنسى"[3]

فالقصيدة تتكون من قسمين رئيسين الأول: يسرد تدحرج حبات البندق ويؤكده والثاني يسرد عملية جمع السنجاب لحبات البندق المتدحرجة من الشجرة، ويؤكدها .

فإذا كان الشطر الأول من القسم الأول ينطوي على حركات سقوط حبات البندق الواحدة تلو الأخرى خالقا بذلك نوعا من التوتر والانفعال مع الحالة فان الشطر الثاني – من القسم ذاته – المنطوي على التأكيد يسعى نحو إفراغ تلك الحالة من التوتر .

وإذا كان الشطر الأول من القسم الثاني يحدد نهاية الحبات فإن الشطر الثاني يحدد هدف النهاية ونوعها .

ويلحظ في القصيدة بروز عدد كبير من الوحدات السردية صيغت لنقل حركات الحدث، فالأسطر الثلاثة الأولى تشمل على ست وحدات سردية والسطر الرابع أعادة مؤكدة لوحدات الحدث الواردة في الأسطر الثلاثة – الأولى –. ويشتمل السطر الخامس على وحدة سردية واحدة، وكذا السادس، وكل من السابع والثامن وحدة سردية.

إن الاعتناء بكل هذه الوحدات السردية المتضايفة في الأسطر الثمانية للقصيدة هو سعى ملح نحو تجسيد الفكرة وتقويمها، كما أن حضور الوحدة السابعة التي تحمل في مكانها الكثير من الشمولية جاءت عاملا مساعدا لذلك السعي ومقوما أخر له .

ويقول (سركون بولص) في قصيدة (زائر الصباح) :

"يقترب العصفور من المنقلة التي تركتها في الباحة
مليئة برماد أبيض بعد مطرة البارحة، متطلعا إلى جانبيه
مرة مرتين ثلاثا
على حافاتها يذرذر بمنقاره بعض الرماد
حتى يعثر على نتفة لحم محروقة غطاها الرماد بقيت من الوليمة
منسية تمت ويطير بها
إلى الشجرة المتهالكة على بقايا السياج، ليختفي بين أوراقها القليلة"[4]

فالقصيدة تشكلت عبر تجسيد ثلاث عمليات رئيسة :

العملية الأولى: اقتراب العصفور من المنقلة والتطلع إلى جانبيه مرة مرتين ثلاثا .

العملية الثانية: يذرذر العصفور بمنقاره بعض الرماد حتى يعثر على نتفة لحم محروقة

العملية الثالثة: طيرانها إلى الشجرة المتهالكة على بقايا السياج ليختفي بين أوراقها القليلة.

وفى تأمل لأنساق النص ووحداته السردية نجد – كما في الجدول الأتي – أن:

النسق	السطر	الوحدات السردية
1	1	1: (يقترب العصفور من المنقلة)
2	3 .2	1: (متطلعا إلي جانبيه مرة مرتين ثلاثا)
3	4	1: (يذرذر بمنقاره بعض الرماد)
4	5	1: (يعثر على نتفة لحم محروقة)
5	7.6	2: (يطير بها إلي الشجرة) (ليختفي بين أوراقها القليلة

ويلاحظ أن وحدات السرد في هذه القصيدة ملتزمة بالتعاقب المنطقي والتسلسل الزمني العرضي كما أنها مندمجة كلا .

وهكذا يكون السرد في هذا المثال عائدا إلى أصله النظري الأول الذي هو التعاقب المنطقي والتسلسل الزمني .

ب – قصيدة النثر المنطوية على السرد :

وهذا النمط يتسم بدخول السرد إليه من أجل معالجة حالة معينة أو موقف ضمن تجسيد تجربة شعورية معينة، ولعل سليم بركات والخال من أبرز من تميزت قصائدهم بهذا السعي. يقول (سليم بركات) في قصيدة (ديرام وديلانا) الطويلة التي تحفل بالمقطوعات السردية .

"كانا يركضان معا حول صارية المدينة ملتفعين

برسائل الشتاء مرحهما مرح النورس ولهاثهما لهاث

الغذاف .

كانت ديلانا تجهد أن تمسك ببرقة الغض، ويجهد

ديرام ان يمسك بغمامتها الغضة وحين تعبا جلسا معا

قرب صارية المدينة هى تنحسر انحسار موجة قليلا

وهو ينحسر انحسار موجة قليلا تاركين على حبال المطر

قميصهما الزبدى ووشاح مملكة لم تكتمل"[5].

ففي هذه المقطوعة برزت سبع وحدات سردية ضمن الأنساق الستة التي احتوتها، إذ يلاحظ حضور سبعة انساق احتوى كل واحد من ستة منها على وحدة سردية مستقلة به، وانفردت واحدة منها – الرابع ضمن الأنساق الحدثية – باحتوائها على وحدتين اثنتين.

لقد لجأ المنتج في هذا الجزء من تجسيد تجربته إلى هذا الجانب – السرد – لأنه رأى أنه من أكثر الجوانب – ضمن هذا السياق – استطاعة في معالجة الفكرة وإبرازها.

إلا أن السرد من الممكن أن يتشعب أكثر على مساحة قصيدة النثر كما في قصيدة (للعروق وحدها أن تنطق) لـــ(يوسف الخال) نقتطف منها هذا الجزء :

"الأشجار تهجر الصمت وتبكى الهها القديم .

الأوراق على الجسد العروق كساؤها الأوحد

وفى الحديقة ماء .

الهواء يتأرجح في فراغ. الضياء يتأرجح في فراغ .

الفضاء يتأرجح في فراغ .

وهو ذا الحارس مقبل بعصاه. على كتفه سيف

ولم يبق في الحديقة إلا العصافير، الطيور

الكبيرة حدقت إلى الفجر. لا ترى بعد

والحديقة بلا سياج

السهل يتسلق الجبل الجبل يرتفع إلى البحر

البحر غابة من الحمل والولادة"(6)

ففي هذه المقطوعة يلحظ بوضوح تتابع عملية ظهور السرد واختفائه فقد ظهر السرد واختفى لأربعة مرات متعاقبة وذلك من خلال تجرده من عنصر الزمن، وتحوله على أثر ذلك إلى مجرد وصف لا أكثر.

إن حضور السرد بهذا الشكل المتقطع لا يؤدى إلى غياب التواصل مع مشهد الحالة أو تفكيك فكرة القصيدة بقدر ما يؤدى إلي تمفصلات فنية تضفي الحيوية والتنويع على القصيدة .

ثانيا: وظائف السرد في قصيدة النثر :

1- الوظيفة الشعرية :

تظل للوظيفة الشعرية قيمتها الخاصة بها في إنشاء أي نص أدبي سردى ولاسيما عند استهداف النص بوصفه نصا والتركيز عليه لحسابه الخاص [7] ولعل تجاوز اللغة التحليلية خلال أحداث الانزياحات عليها وإيجاد صيغ وتركيبات جديدة غير مألوفة - ومعقولة في الوقت نفسه - لها تشكل أهم جوانب شعرية السرد. ويتلمس ذلك بشكل واضح عند سليم بركات أكثر من غيره بكثير ففي قصيدة (ديلانا وديرام) يقول (سليم بركات) :

كانت جالسة قرب نافذة تطل
على حلمها، جالسة قرب حلم النافذة المطلة على
حديقة الشتاء"[8]

فالشاعر لا يقدم عملية حلم المرأة تقديما مباشرا يترتب عليه السرعة والخلو من شعرية الموقف كأن يقول (كانت تحلم قرب النافذة ..)، بل إنه أستغل الموقف ليستعير من النافذة حيزا تأمليا للمرأة بحيث تتجسد فيها أحلامها. واستعار من الشتاء فضاء زمنيا ليبين وزن الحلم وأهميته بخصوصها، وليس الفضاء هنا قاصرا على ذلك الوضع الزماني - الخارجي - بل كذلك يجسد مرحلة من أسى المرأة ويقدم صورة معينة لمعاناتها .

ولعل الاختزال الحدثي جانب أكثر ثراء في شعرية السرد، فالشاعر السارد كثيرا ما نجده يلجأ إلى إقصاء مجموعة من الأحداث - يراها جانبيا - ويقتصر على حدث منفرد دال أو حالة منفردة دالة، تكثفت فيها الفكرة المقصودة. يقول (سركون بولص) في قصيدة (تلميذة من بيركلى) :

((كانت تأخذه إلي الجسر
الخشبي الصغير باتجاه برج الجامعة

وساعته المضاءة بين الأشجار، إلى كافتيريا الليل
ثم بعد الجولان، إلى غرفتها الخانقة: المنهدة
معلقة في النافذة، جوربان يخفقان لأتفه نسمة
تنزع الدبابيس من شعرها الذهبي لينسدل على ظهرها
وتسقط ملابسها على الأرض أو ترمى بها إلى الزوايا لتبقى
بكيلوتها الأسود كراية قرصان تشق بحر الهواء)) (9)

فالشاعر لا يقف عند تقديم التفاصيل أو العناصر السردية جلها بل يحاول تقديم الوحدات التي يراها ذات قيمة كافية في تجسيد الموقف أو الحالة، ولكن هذا لا يعنى حضور الشكل السردي مجردا بل نجده مقوما بعنصر الوصف مغذيا به. ولعل استحضار الغائب يعد تقويما أخر لشعرية النص السردي سواء أكان هذا الاستحضار من الماضي أو من الحلم أو أية أمنية يجد فيها الشاعر ذاته ويسعى نحو تحقيقها، يقول (فاضل العزاوى) في قصيدة (الصديق الأخير) :

((عائدا من الماضي
يلتقيني التاريخ فوق كتفيه رجال من جص
فنجلس معا على مقعد في حديقة
ونقرأ كتاب الحياة
على ضوء نجمة خابية
ثم نخرج معا نتسكع فى الشوارع
حتى الفجر)) (10)

فالشاعر يستحضر التاريخ الذي تجسد فيه الماضي ليصبح أنيسه الوحيد المتبقي له ،مع من يحمله معه في طياته من الرجال، حيث يقضى ليلته الطويلة معه في تأمل الحياة، ومن ثم يخرج معه ليتسكعا معا حتى الفجر. ألا أن ما يضفي قيمة جمالية على هذا الاستحضار هو أن المستحضر ليس كائنا حيا وإنما شيء – التاريخ – يجسمه، ويضفى عليه الروح، ومعطيا إياه صورة الإنسان .

2: الوظيفة الانفعالية

وتهدف هذه الوظيفة إلي التعبير بصفة مباشرة عن انفعالات المتكلم تجاه ما يتحدث عنه سواء أكان ذلك الانفعال صادقا أو خادعا[11]. يورد (سليم بركات) في قصيدة (ديلانا وديرام) ذلك ضمن تقديم موقفه وما فيه من انفعالات في معرض سرده لحوادث وقعت على الشخصيتين :

((ولكنني مستضعف بديرام، مستضعف بفتى " قادني – أنا الدليل – إلى صارية ضللت حولها المياه واخفت عن اليابسة أجراسها .وكم تعتريني حمى الفاكهة فاود لو لقطاف نذرت ملكي، لا لتراب يذبل بي، وأود لو نسيت ديرام فأعفيت قلبي من سطوة الحكاية فأنا حين أبقى لسرد أبقى طيعا كالكلام))

فالشاعر – يسرد حالات تجسد انفعالاته– بعد أن افتتح كلامه بأوصاف مثل (مستضعف بديرام، مستضعف بفتى ") – إذ نلحظ أنه يورد وحدات سردية مثل (قادني – أنا الدليل إلى صارية ظللت حولها المياه) و(تعتريني حمى الفاكهة، فأود لو لقطاف نذرت ملكي، لا لتراب يذبل بى) و(حين أبقى لسرد أبقى طيعا كالكلام ..) مجسدا من خلالها ضعف موقفه وشدة انفعالاته إزاء موضوع سرده وما يلعب فيه من دور المشاركة فهو – أي السارد – دليل للفتى ديرام ضمن الأحداث، وله آراؤه ومشاعره التى تحدد وجهات الاستدلال لذاته وتبينها .

المبحث الثاني
آلية الوصف ووظائفه في قصيدة النثر

أولا: آلية الوصف

عنصر أخر من النثر الفني يدخل قصيدة النثر يتسع ويتلاقح معها، هو (الوصف) الذي يسعى إلي الكشف عن مكونات الوجود وتجسيدها خارج نطاق الزمن .

ولابد من الإشارة إلي أن الوصف كان له حضوره الدائم في الشعر العربي منذ وقت مبكر بالرغم من الالتزام بالأوزان والقوافي وذلك لان هذا الجانب - الوصف - يتمتع بإمكانات وإن كانت نسبية في خرق العروض وتقعيداته والحضور في القصيدة إلا أن غياب المحددات العروضية ومجمل تقعيداتها أدى إلي تجاوز هذه النسبية وإفساح المجال له ليتدارك مدارك أخرى في القصيدة ويوسع من بنيتها، وكانت قصيدة النثر مضمارا لذلك .

والوصف في قصيدة النثر أتسع في محاور ثلاثة، وهما أولا: وصف شيء منفرد بصفة معينة، ثانيا: وصف شيء منفرد بصفات متعددة، وثالثا: وصف أشياء متعددة أو أشخاص بصفة واحدة فقط. فمن النمط الأول وصف شيء منفرد بصفة معينة نجد أن (يوسف الخال) يقول في قصيدته (الرسالة الخامسة) :

((أيتها الابنة الفاجرة على الشفاه
أيتها الأم الحنون، يا عاقر
أيتها الزوانى ولا من يزنى. أيتها الفواجر ولا
من يفجر
أيتها الأصنام القاعدة على بركات الله
وجهنا وجه إنسان، وقامتنا صفر.)) (12)

فالشاعر يخاطب مجموعة من الأشخاص والأشياء ويصف كل واحدة أو واحد منها بصفة معينة - باستثناء الأم حيث تتمتع بصفتين - .

وكما يلحظ انه من المحتم أن تنتهي هذه السلسة من الموصوفات بصفة بعد أن ابتدأت بموصوف معين، فقد ابتدأت السلسلة بالموصوف(هي)، وانتهت بالصفة (طيورا وأجنحة) .

وتتحدد دائرة آلية تلك الموصوفات وصفاتها اكثر عند (يوسف الخال) ففي قصيدته (الرسالة الخامسة) يقول :

((لكني أراك أيها الفارس طائرا
واراك أيها الطائر شجرة
واراك أيتها الشجرة وطنا
واراك أيها الوطن صخرة
وعلى الصخرة قرن مكسور))[13]

فالشاعر يصف – عبر رؤيته – الفارس بأنه طائر، ويصف الطائر شجرة، ويصف الشجرة وطنا ويصف الوطن صخرة، ويصف الصخرة بأن عليها قرنا مكسورا .

إن هذا التحديد وهذا التواصل يؤديان بتلك السلسلة المتمفصلة من الموصوفات والصفات إلى تواشج أكثر وتماسك أشد من الداخل.

أما النمط الثاني من الوصف وهو شيء معين بصفات متعددة فهو ينقسم بقسمين رئيسين وهما، الأول: وصف شيء أو شخص بصفات متعددة، مع عدم ذكره في كل مرة مكررة من عملية الوصف، وذلك كقول (صلاح فائق) فى قصيدة (رحيل) :

((من هو ؟
مهرب، لاقط سرطانات
مراقب طيور
لاجيء

صياد

عاشق مهجور

مجرم ينتظر سفينة ليهرب

شاعر أخرجه الشفق من غرفته ...))

فالشاعر يصف الشخصية بمجموعة من صفات راعى فيها مستويات الحاجة للكم اللفظي جوابا على السؤال من هو ؟ وتحديدا للـــ(هو) .

أما القسم الثاني من الوصف فهو وصف شيء أو شخص بصفات متعددة مع تكرار الموصوف في كل عملية من عمليات الوصف تلك، ففي قصيدة (الصحراء) يقول (فاضل العزاوى) :

((أيتها الأوطان المغدورة، الأوطان المسروقة من تاريخ الإنسان

الأوطان المتروكة للغربان، الأوطان المنحوتة في الأشجار

الأوطان المأكولة أيام الجوع

الأوطان المحتلة أيام الحرب))[14]

ففي هذه المقطوعة نجد ست عمليات من الوصف، وفى كل عملية من هذه العمليات يتكرر الموصوف (الأوطان) .

الأوطان 1. المغدورة .

الأوطان 2. المسروقة من تاريخ الإنسان .

الأوطان 3. المتروكة للغربان.

الأوطان 4. الأوطان المنحوتة في الأشجار .

الأوطان 5. المأكولة أيام الجوع .

الأوطان 6. المحتلة أيام الحرب .

وليس تكرار لفظة (الأوطان) مع كل وصف لها إلا محاولة لتأكيد أهميتها ومكانتها ومحوريتها ضمن الحيز الموجود فيه من القصيدة .

أما النمط الثالث من الوصف فينحصر في وصف أشياء متعددة أو أشخاص بصفة واحدة فقط .

ففي قصيدة (الفصيلة المعدنية) يقول (سليم بركات) :

((مستسلمة حيوانات الشاطئ للشاطئ
مستسلمة كفاك لكفى ،ومستسلمة انهاري
لنواعير الحقل وغرافات الأحجار
مستسلمة إبعادي للصرخات ..)) [15]

فالشاعر رصد في مقطوعته هذه صفة واحدة وهى (الاستسلام) من الأشياء التي أوردها (حيوانات الشاطئ، كفاك، أنهاري، إبعادي) .

إن تكرار الصفة بهذا الشكل والإلحاح عليها إنما هو محاولة لتأكيد حالة الاستسلام وإسقاطها على دائرة الصورة المجسدة .

ثانيا: وظائف الوصف في قصيدة النثر

1: الوظيفة الايصالية :

تركن هذه الوظيفة إلي عمليات التشبيه بصرف النظر عن نوعه، ففي تشبيه مرسل مفصل يقول (سركون بولص) في قصيدة (التوطئة) :

((من أجلها أنت هكذا
كالوحش في اسر بيدائه)) [16]

فالشاعر يشبه الوضع الذي فيه هو (أنت) بالوحش في أسر بيدائه، وهكذا يتم الشاعر أركان التشبيه بتمامهما - وبتشكيلها التقليدي - من أجل توضيح الفكرة التي تحاصره .

وهكذا تتضح صورة شخص (أنت) للمتلقين أكثر وتسهل الفكرة أكثر مما لو كان السياق خاليا من هذا التشبيه غير أن هذا لا يعنى أن التشبيه المرسل لابد أن يكون مفصلا أي فيه وجه الشبه لكى تتوضح الفكرة أو المعنى أكثر فمن الشعراء من أكتفى بذكر أركان التشبيه بدون ذكر وجه الشبه فيها أى جعل آلية التشبيه تشبيها مرسلا مجملا. ففي قصيدة (تعاليم ف. الغزاوى إلى العالم) لـ (فاضل الغزاوى) :

((**وفى العشب مر النهار**
كسلسلة تجر على صخرة طولها ألف عام)) (17)

فوجه الشبه هنا غائب ولعل ذلك محاولة لسكب إنجازات فى الإيجاز الذى يحقق بدوره – غالبا – قدرا من الشعرية للنسق، بل إن هذا الإيجاز له حضور دائم فى آليه التشبيه، بحيث شمل أداة التشبيه على الدوام فالأداة غالبا ما نجدها (كاف) مثل ما ورد فى المثالين السابقين، وليست (مثل) أو شبيه) إلا فى حالات نادرة جدا كحضور أكثر من عملية تشبيه، ففى قصيدة (فراشات للعواصم) يقول (سليم بركات) :

((**حاملة خوف الحلبات وشدى ((تل**
الزعتر)) كالمنديل على حجر أغبر مثل بلادى)) (18)

فقد أورد الشاعر عمليتين من التشبيه، وقد تعاقبت العملية الثانية العملية الأولى مباشرة بل وتداخلت معها، هذا التقارب بين العمليتين جعل الشاعر يغير أداة التشبيه (كاف) بأداة أخر (مثل) تلافيا للتطابق بين أدى التشبيه اللتين يكون وجودهما غير مستحب فى السياق الواحد .

2 : الوظيفة الشعرية

وتتجسد هذه الوظيفة خلال تزو يق الفكرة أو المشهد أو الصورة القائمة فى النص الشعرى أو ضمن سياق من سياقاتها ولعل ما تقدمها التشبيهات – فضلا – عن معطياتها فى التوصيل – من وظائف شعرية أخرى ترد فى مقدمة روافد شعرية الوصف ففى قصيدة (بنات أوى) يقول (سليم بركات) :

((كانت بنات أوى الأميرات
يدلفن خلسة، إلى عواصمهن الضائعة فى زحام اليقطين
ومراكب البقول كأنهن شهاب معتم، شهاب طويل من
الوبر والحناجر، دحرجته روح اليقظة الأخيرة إلى حلم
النبات، كأنهن تفتح السهول الخفى بعد ما أطبقت
زهرات الأقاليم أوراقها على الحديد والهرطقة.))[19]

ففى التشبيهين الواردين ضمن هذه القطعة يلاحظ بوضوح بروز المشبه به زوقا الموصوف من خلال قيامه وصفا جميلا، فالمشبه به لم يأت لفظه مجردة غير موحية يراد منها مرادفة للفظة أخرى وإنما ورد عبارات متعددة أقحمت صورة المشبه إقحاما متسما بقيمة جمالية موحية بسحر ملحوظ، والعبارات هنا لم تتكعب فى تجسيد مدلول لفظة معينة بل توجهت نحو التمحور حول حالة معينة وتقديم صورتها .

غير أن الشعرية لا تتبلور فى تشبيه حالة بحالة حصرا بل إن تشبيه شيء معين بشيء أخر أيضا يتمتع بقدره الخاص من الشعرية ففى قصيدة لـــ(يوسف الخال) موسومة بـــ (الرسالة السادسة) يرد :

((جدائلك صافية كحدقة العين، وكجبل القدس
مشارق جسدك، خداك لون الحنطة، ولون الحنطة
مرفقك الأيمن
سكيبة خمر عيناك ..)) [20]

فكل عملية من عمليات التشبيه الخمس تضفى على السياق قيمة تزويقية خاصة.

ولعل ورود الوصف فى مبدأ القصيدة يشكل وضعا خاصا أو مناخا جميلا يهيئ الحالة النفسية للمتلقين للدخول فى القصيدة والاستمرار فيها ففى قصيدة (الرسالة السادسة) يقول يوسف الخال .

((مدينة أصداف مدينتنا، مدينة إحداق فارغة
وسياج مهدور)) (21)

فالشاعر يسعى نحو إعطاء صورة شاملة عن المدينة ولكن باختزال للبنية اللغوية المجسدة لذلك، إلا أن ذلك الاختزال حافل بالانسجام من الداخل - أى بين ألفاظه -، خالقا بذلك أرضية خصبة للدخول إلي القصيدة أكثر والتواصل معها .

المبحث الثالث

آلية الحوار ووظائفه فى قصيدة النثر

أولا : آلية الحوار

لقد قام ت. س. اليوت بعد ثلاثة أصوات فى الشعر عامة : الصوت الأول صوت الشاعر وهو يتحدث إلى نفسه والثاني صوت الشاعر وهو يتحدث إلى جمهور، صغيرا كان أم كبيرا أما الثالث فهو صوت الشاعر وهو يحاول خلق شخصية درامية يبادلها الكلام [22]، وهذه الأصوات الثلاث تتبلور فى التلقى إلا أن آلية بناء كل واحدة منها تختلف عن الأخرى، وما يهمنا هنا هو : الصوت الأول والصوت الثانى، حيث يتجسدان فى قالب الحوار الذى هو معرض بحثنا هنا، ففى الصوت الأول يكون صوت الشاعر حوارا بين الذات والذات، بيد أنه لابد من الانتباه إلى أن كلام الشاعر ليس تجسيدا لجانب واحد من هاتين الذاتين وإنما للحالة القائمة بينهما والتى تشكل ذاتا تحتوى الذاتين المذكورتين وتشملهما لكى تمخض فى النهاية رؤية أو موقفا فى القصيدة، وهذا الأمر يؤدى بالضرورة إلى احتجاب شطر كبير من الأسئلة أو الأجوبة واختفائها من السياق .

وهذا النمط يتقولب فى قالب مناجاة النفس وأسسها النظرية ولكن فى صياغة أكثر شعرية وبناء أكثر فنى .

ولعل (سركون بولص) و(فاضل العزاوى) من أبرز الذين يتلمس فى نتاجاتهم هذا الشكل من الحوار الذاتى. يقول (سركون بولص) فى قصيدة (زفاف فى تبة كركوك)

((عائدا من السجن أو من رحلة طويلة بعد الغرق الطويل فى المكتبة العامة، الجولان .. على طول السكة الحديدية، من قلب المدينة إلى ضواحيها الشمالية، فى الطريق إلى البيت، فردوس الفقراء الصاخب فجأة فى أعالى التبة : أهناك قمر ؟ نجوم كبيرة تخفق كأجفان

كائنات من الثلج ترن تحتها أصوات الملاعق على الصحون، وطرق الكؤوس فى سلسلة لاتنتهى من الأنخاب
أطراف الظلام مزدانة بالفوانيس المعلقة من حبال الغسيل، فى حلبة الرقص يتصاعد الغبار.)) (23)

إن طبيعة اللغة غير الخطابية هنا تقربنا أكثر من مفهوم غياب الآخر سواء داخل النص أو خارجه، هذا وأن حضور السؤال الذى لا يتلمس له الجواب من الآخر يدعم ذلك ولا نشك أن الجواب هنا مستنطق ضمنا ضمن السياق وإلا فكيف هذا التواصل المتناسق (أهناك قمر ؟ نجوم كبيرة تخفق كأجفان كائنات .. الخ). بل إننا لا نبالغ أن قلنا بأن انساق التشكيل هنا كلها أسئلة ضمنية من اجل أجوبة، وأجوبة ضمنية لأسئلة، وضمنية هذه الأسئلة وهذه الأجوبة فى الجانب المخفى من حالة الحوار بين الذات والذات .

هذه الأمور تتسع أبعادها أكثر عند (فاضل العزاوى) ففى قصيدته (تأملات سائر) يقول :

((فى منتصف طريقى إلى الحياة ضللت طريقى : أضرب بالمجداف يمينا ويسارا البحيرة من الفولاذ، وأنا أسمع نفسى ناسيا جلبة التاريخ.أه..
ما أصعب وصف هذه الطرق التى تترسنى بالخوف والقلق !
أتراها طرق حياتى المنسابة من بين أصابعه كالهواء ؟ طرق حياتى الأكثر مرارة من الموت. كان على أن أنهض ولكن الخوف دخلني)) (24)

فاللغة أكثر ابتعادا عن الخطابية وهو على قرب من الهمسية، وهذا يؤكد غياب الآخر الخارجى سواء أكان وقوع هذا الآخر داخل إطار القصيدة أو خارجها فضلا عن حضور السؤال (أتراها طرق حياتى المنسابة من بين أصابعى كالهواء؟...) الذى لاشك من حضور الجواب فى ذهن طارحه، وتواصل العبارات من بعد السؤال يوحى بحضور الجواب هذه .

أما النمط الثانى من الحوار – الصوت الثالث –فهو صوت الشاعر الذى يحاول خلق شخصية درامية تبادله الحديث، ويكون تبلور الأسس النظرية للحوار فيه أكثر وضوحا وبروزا وهذا النمط من الحوار يبرز عند (سليم بركات) بشكل وافر. إذ يلاحظ بوضوح قصر الحوار وإيجازه فالشاعر يحاول قول الشيء الكثير خلال ألفاظ قليلة العدد التى تشكل بنية الحوار ذلك، وذلك لكى يتمتع بالاختزالية ذاتها الباعثة لقيمة الشعرية خارج بنيته ضمن تشكيل القصيدة .

فضمن سياقات قصيدة (ديلانا وديرام) يورد حوارا طويلا بين (ديلانا وديرام).

((إيه أيها الغضب ...
حين دخل ديرام بيت ديلانا، قالت خلقتك من
شبهات الأنهار
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك منى
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك من نهب فانتهب
قال : وأشياء أخرى
قالت :خلقتك من مساكب وبقول
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك من مطالع العويل
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك من بريق موحش يتلألأ على مقابض
البوابات
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك من ذهولى
قال : وأشياء أخرى

قالت : خلقتك من نذور الظلام إلى الظلام
ومن بكورية غامضة بنصلها فى الجذور
قال : تعالى أذن
فاحتضنته وبكى.)
أيه أيها الغضب، سأمهل الأرض حتى تأتى الأرض ..)) (25)

إذ يلاحظ بوضوح دخول الحوار فى السياق العام للقصيدة. وقد سعى الشاعر نحو جعل حديث المتحاور - سؤالا أو جوابا - قصيرا على قدر الإمكان، وذلك لكى لا يمتص الحوار وزن الاتساق وشعريتها المحيطة به، فيحدث على أثر ذلك خللا فى وظائف كل عنصر أو جانب فنى أو فى أسباب حضورهما داخل بنية القصيدة .

ثانيا : وظائف الحوار فى قصيدة النثر

1 : الوظيفة الانفعالية

من وظائف الحوار الملحوظة هي توصيل انفعالات المتحاور، وترتكن الوظيفة هذه - غالبا - إلى جهة صوت الشاعر ذاته وتتجلى فيه ولعل المناجاة (حوار الذات مع الذات) أبرز النمطين من الحوار فى تدفق انفعالات المتحاور فيه، يقول(فاضل العزاوى) فى قصيدة (تأملات سائر ليل) :

((ومضيت رأيت قرى منثورة كالياقوت بين التلال، وممرأ شفافا تدخله الشمس يقودنى إلى جبل من فضة. هل أجرؤ أن أتقدم ؟ وهنت روحى فتلفتت ورائي لكن هتافا فاجأنى : أخلع عن روحك كل خوف وتقدم فتقدمت وحيدا فى الحرية)) (26)

فالشاعر يبين عبر هذه المناجاة الشعرية انفعالاته وأحاسيسه المختلفة حيث **1** . الإحساس بالجمال (كالياقوت)، **2**. التردد (هل أجرؤ)، **3**. الضعف (وهنت روحى)، **4**. المفاجأة (هتافا فاجأنى)، **5**. الجرأة (فتقدمت وحيدا) وهذه الأمور وجدت من الحوار منفذا لتتدفق ومما له فضل احتواء هذه الأمور هو شعرية الحوار،

وبالمقابل كانت لهذه الأمور - الانفعالات الوجدانية والأحاسيس - أن أضفت دفقة من الشعرية للاسيقة الحاضرة فيها .

ولعل فى النمط الثانى- حضور صوت أو أصوات فى الحوار - لا يتلمس القدر ذاته من انفعالات المتحاور، ففى قصيدة (ديلانا وديرام) يقول (سليم بركات):

((يقول ديرام : أى فضاء هذا أى صفيح يغطى
اليقظة ؟
ويقول الارمنى : دعك من الأقفال فأنت ابن
المدائح
يقول ديرام : أى غزو للحجر هذا ،أى نهب
بسيوف العويل ؟
ويقول الارمنى: دعك من حصاد الحديد)) [27]

فلو تأملنا كلام (ديرام) فلا نجد منه، ضمن كل دورة من دورتيه إلا تقديم قدر يسير من انفعالاته ففى الأولى - حيث قوامها سؤال - :

1. التعجب (أى فضاء هذا)، 2. التوتر الشديد (أى صفيح يغطى اليقظة) وفى الثانية - وأيضا قوامها سؤال : 1. التبرم الشديد (أى غزو للحجر هذا ..) 2. التعجب والتوتر (أى نهب بسيوف العويل). ويبدو أن ضآلة المعطيات الانفعالية لهذا النمط يعود إلى الاقتصاد اللغوي والإيجاز المتعمد، من أجل المزيد من الاختزال.

2 : الوظيفة التفسيرية

وتبرز هذه الوظيفة فى الحوار الذى من نمط المناجاة خصوصا، ففى قصيدة (الملك فى وحدته) يقول (فاضل العزاوى) :

((أنني إذ أجلس خائفا مضطربا على حافة هذه البحيرة التى يغطيها
القصب والبردى فذلك لأمنع باطن قدمي من الألم ولأفكر فى مصيري أيضا)) [28]

فالشاعر بعد أن قدم الوضع الذى هو فيه (أجلس الآن خائفا مضطربا) يسعى نحو إعطاء تفسير لذلك (لأمنع باطن قدمي من الألم) و(لأفكر فى مصيري أيضا) كاشفا بذلك العلاقة العلية بينهما – أي بين والتفسير – .

وعلى أثر هذا تؤدى الحالة إلى تواصل فى انسياب الفكرة فى القصيدة وكذلك إلى تماسك داخلي أكثر فيها .

3 : الوظيفة الايصالية :

من وظائف الحوار توصيل فكرة أو رؤية أو حالة معينة بعد تجسيدها إلى القارئ، فلكل حوار محوره الخاص به وهذا المحور يشكل البؤرة التى يتمركز فيها المقصود ضمن عملية التوصيل، وأمر هذه الآلية سيان فى نمطي الحوار عند السعى نحو توصيل المقصود .

غير أن هذه الوظيفة ليست من الضرورة أن تبرز مباشرة فقد تكون غاية فى نفسها متجلية عند التأويل ضمن السياق العام للنص ففى قصيدة (ديلانا وديرام) لـــ (سليم بركات) نجد أن الحوار الذى جرى بين (ديلانا) و(ديرام) مجسدا لفكرة وموصلا إياها توصيلا غير مباشر :

((حين دخل ديرام بيت ديلانا، قالت خلقتك من
شبهات الأنهار
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك منى
قال : وأشياء أخرى
قالت : خلقتك من نهب فانتهب
قال : وأشياء أخرى
قالت :خلقتك من مساكب وبقول
قال : وأشياء أخرى

قالت : خلقتك من مطالع العويل

قال : وأشياء أخرى

قالت : خلقتك من بريق موحش يتلألأ على مقابض البوابات))[29]

فالحوار بين الصوتين يدل على سعة الحب الذى يجمع بينهما وشدته، فضلا عن أن لهذا الحب تاريخه الذى احتوى على أسباب الجمع بينهما. إن الحب فى هذا الحوار يشكل المحور والبؤرة، وشدة الحب تبين أن أسباب هذا الحب تتحول إلى قصد المنتج الذى يحاول تجسيده وتوصيله .

والحوار كما هو ملحوظ هنا من نمط حضور الصوت الآخر وهذا لا يغير من الوظيفة شيئا أكبر مما لو طرح الحوار من نمط الصوت المنفرد - المناجاة - على لسان كل صوت من الصوتين على حدة متتابعين ضمن سياق واحد.

إلا أن التعريج هنا على هذا النمط من الحوار - كما يبدو - هو لأسباب اختزالية بالدرجة الأولى، وذلك اكتسابا للمزيد من الشعرية، ولا يخفى أن الشعرية هذه من أهم أسباب هذا التوصيل والقالب الحقيقي للتجسيد .

المراجـــــع المـصـــادر

أولا : المجموعات الشعرية :

- الأسفار، فاضل العزاوى. الحديثى، بغداد، 1976 .
- الجمهرات، سليم بركات (المجموعات الخمس). منشورات فلسطين المحتلة، بيروت ،1981 .
- الحياة قرب الاكروبول، سركون بولص. دار توبقال، الدار البيضاء، 1988 .
- رحيل، صلاح فائق. دار الشئون الثقافية. بغداد، 1986 .
- رسائل إلى دون كيشوت، يوسف الخال، دار النهار، بيروت 1979 .
- قصائد فى الأربعين، يوسف الخال، الأعمال الشعرية الكاملة - بيروت .
- الكراكى (المجموعات الخمس)-يراجع (الجمهرات) ضمن الفهرست ذاته.
- للغبار لشمدين لأدوار الفريسة وأدوار المماليك (المجموعات الخمس) - يراجع (الجمهرت) ضمن الفهرست ذاته .
- هكذا بعثر موسيسانا (المجموعات الخمس) - يراجع (الجمهرات) ضمن الفهرست ذاته .

ثانيا : الدراسات

- قضايا الشعرية، رومان ياكوبسون. ترجمة: محمد الولى ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988 .
- مقالات في النقد الأدبي ت. س. اليوت. ترجمة: لطيفة الزيات، دار الجيل، القاهرة، د. ط.

1 - الأسفار لفاضل الغزاوي ص 154.

2- الحياة قرب الأكروبول 53 .

3- الكراكي (المجموعات الخمس) 316 .

4- الحياة قرب الاكروبول 88 .

5- الكراكى (المجموعات الخمس) ص 264 .

6- قصائد في الأربعين (الأعمال الكاملة).

7- قضايا شعرية ، ص 31 .

8- الكراكي (المجموعات الخمس) 290 .

9- الحياة قرب الاكرويول 44 .

10- الأسفار 176 .

11- ينظر قضايا الشعرية 28 .

12- رسائل دونكيشوت 49-46 .

13- رسائل إلي دونكيشوت 50 .

14- أسفار 114 .

15- هكذا بعثر موسيسانا (المجموعات الخمس) 71 .

16- الحياة قرب الاكروبول 11 .

17- الأسفار 73 .

18- الجمهرات (المجموعات الخمس) 135 .

19- للغبار لشمدين لادوار الفريسة وادوار المماليك (المجموعات الخمس) 135 .

20- رسائل إلي دونكيشوت 55 .

21- نفســـه 51 .

22- مقالات في النقد الأدبي ت . س اليوت ، ت: لطيفة الزيات، دار الجيل، القاهرة، د. ط ، 61 .

23- الحياة قرب الاكروبول 33 .

24- الأسفار 151 .

25- الكراكي (المجموعات الخمس) 263 - 264 .

26- الأسفار 150.

27- الأسفار 156 .

28- الكراكي (المجموعات الخمس) 261 .

29- الكراكي (المجموعات الخمس) 263 - 264 .

النضج الانفعالي لدى المراهقين المتفوقين وأقرانهم العاديين في المرحلة الثانوية

□ د. عامر ياسر القيسي

□ د. عبد الحسين رزوفي الجبوري

❖ كلية الآداب والعلوم - المرج

❖ جامعة قار يونس

ملخص البحث

استهدف البحث الكشف عن مستوى النضج الانفعالي لدى المراهقين المتفوقين عقليا وأقرانهم العاديين من طلبة المرحلة الثانوية، فضلا عن معرفة دلالة الفروق الإحصائية بين المجموعتين فى النضج الانفعالى، واختيرت عينة البحث بواقع (156) طالبا وطالبة منهـــم (78) متفوقا عقليا يكافئهم (78) من العاديين فى متغيرات الجنس والصف والمستوى الثقافي للأم والأب، استخدم مقياس القيســـي (1996) للنضج الانفعالى، وأظهرت نتائج البحث أن درجات كلا المجموعتين فى النضج الانفعالى أعلى من المتوسط النظرى للمقياس و لم تظهر فروق دالة إحصائية بين المجموعتين.

Abstract

Measurement of emotional maturity for gifted and normal adolescences in the secondary schools .

This research aimed to find the level of emotional maturity for gifted and normal adolescences and to Know the level of Significance between two groups of emotional maturity (E.M), Sample which was Selected Consisted of 156 pupils, males and females, divided into 78 gifted and 78 normal, matched each other, Considering: Sex, Class, and Cultural level of their parents. (A1-Qaisy) scale 1996 used for (E.M) as a research instrument. the results of research demonstrated the degrees of both groups in (E.M) are higher than the theoretical mean of the scale, In other side, no significant differences indicates statistically for both groups.

مشكلة البحث وأهميته :

تعد مرحلة المراهقة من مراحل النمو الإنساني التي يمر بها الفرد وتمتاز بمجموعة تغيرات في منظومات سريعة النمو لدى الفرد المعرفية والانفعالية والجسمية، وبسبب هذه التغيرات تظهر بعض المتاعب الانفعالية والاجتماعية من خلال الانتقال السريع من الطفولة إلى الشباب لكلا الجنسين (عدس، توق، 1995: ص 84) .

وقد وصف ستانلى هول المراهقة بكونها (مولدا جديدا للفرد) مصحوبة بتوترات ومشكلات وضغوط اجتماعية ونفسية تحيط بالفرد ولا يمكن تجنب أزمتها (زهران، 1977: ص 291) (معوض، 1983، ص : 286) .

إن التغيرات السريعة التي تطرأ على النمو للمراهق تترك أثارها البارزة عليه، ففي المنظومة المعرفية يرى بياجيه أن لفترة المراهقة تأثير في نمو التفكير الذى يجعل الفرد قادرا على تنظيم الحقائق والأحداث من خلال استخدام عمليات متعددة من التفكير الرمزى والتجريدي (إبراهيم، 1985 ص: 138 - 139).

وفى هذه المرحلة أيضا تظهر القدرة لدى الفرد على النقد والتحليل وفهم الأمور والقيم التي قد لا تتوافق مع خبراته المحدودة، والتزام المراهق بأفكار وأداء أصدقائه، وهنا يلاحظ التغير مع علاقاته الانفعالية الاجتماعية وازدياد اهتمامه بالآخرين كما يطرأ تغير ملحوظ في المنظومة الجسمية الحركية ناتج عن النمو الجسدي السريع (معوض، 1984: ص11 - 16).

لقد اكتسب دراسة شريحة المراهقين المتفوقين عقليا الأهمية لما يتميز به هؤلاء من قدرة متفوقة في المنظومة المعرفية تطلبت إيجاد برامج تربوية خاصة بهم تتماشى مع قدراتهم العقلية، وتشكل عامل دفع لنمو ملكاتهم العقلية بما يحقق عدم ضياع هذه السمة عندهم، وللتعرف على مدى تأثير هذه البرامج التي ترعاهم على جوانب أخرى من جوانب النمو لديهم والمتمثلة في المنظومة الانفعالية الاجتماعية، فقد تشكل عملية عزل هذه الفئة عن أقرانهم في الجانب الأكاديمي إلى ظهور بعض الصعوبات والمعوقات في بعض مجالات التوافق والذي يشكل النضج الانفعالي

مؤشرا مهما منها(Yates , 1971:PP 108).

وهذا يتطلب ملاحظة متوازنة ومنظمة لجميع منظومات النمو لدى هذه النخبة المهمة من الشباب لتحقيق الهدف السامي من رعايتهم وبما يحقق الفائدة المرجوة لهم وللمجتمع الذى ينتظر منهم ما يقدموه له من إسهامات متميزة يتطلبها واقع العالم المعاصر الذى يحتاج إلى العقول الفذة التى تستطيع مواكبة التطور والتغير السريع المذهل والذى يشمل مظاهر الحياة الإنسانية كافة اقتصادية، واجتماعية، وعلمية، وتقنية، وتربوية (هيوسن، 1971:ص 4).

فهذا الواقع يتطلب اهتماما بارزا للعنصر البشرى بوصفه جزءا حيويا لا يتجزأ من الثروة القومية، من خلال أعداد البرامج العلمية وانتهاج الأساليب التربوية لاستثمار الطاقات الكامنة وتسخيرها نحو التقدم، ويشكل المتفوقين عقليا عنصرا مهما من الطاقات الإنسانية بما يتمتعون به من ذكاء عال ومواهب خاصة وقدرات على الابتكار والتوجيه والقيادة .

إن الافتراض الذى يقول بأن الشخص ينمو بشكل متآزر فى جوانب الشخصية المتباينة قد لا يبدو دقيقا لأن نمو الجسم لا يتماشى بالضرورة مع نمو العقل، كما أن نمو الجسم والعقل لا يسير فى خط متواز مع النمو الوجداني الانفعالى، وقد أكدت ذلك مدرسة التحليل النفسي من خلال اكتشافها بأن النمو الانفعالى لا يسير جنبا لجنب – فى كثير من الحالات – مع النمو الجسمي والعقلى، ومعنى هذا فى الواقع أن الفرد قد ينمو نموا جسميا سويا وبطريقة طبيعية. بحيث تكون جميع أجهزته الجسمية سليمة وعلى مستوى جيد من النمو ولكنه قد نما بشكل مختلف فى النمو الوجداني الانفعالى، وهذا أيضا يشمل المنظومة العقلية ذلك أن القدرة على إقامة العلاقات بين الأشياء وهو ما يعرف بالذكاء يختلف اختلافا جذريا عن توجيه الطاقة الوجدانية الانفعالية الوجهات السليمة، فيمكن أن تتضمن الحياة الوجدانية الانفعالية معوقات عدة تحول بين الفرد وبين بلوغه النضج الوجداني الانفعالى ومن هذه المعوقات البلادة الوجدانية الانفعالية، والمبالغة فى

التعبير الوجداني الانفعالى، والسلوك الانفعالى الطفلي، وأحلام اليقظة، والعقد النفسية (أسعد، 1997 : ص 135) .

إن البحث الحالى يحاول التعرف على مدى النضج الانفعالى للطلبة المراهقين المتفوقين عقليا والتى تمثل مرحلة تتميز باقتراب شكل الجسم ووظائفه إلى أقصى درجات النضج، ومن الناحية النفسية يكاد عمر الفرد العقلي يصل إلى قمته ويزداد إحساسه بأنه لم يعد صغيرا ويطالب معاملته على أنه صغير من الناحية الاجتماعية ويتأكد اعتراف الآخرين بأنه لم يعد طفلا وأن كانوا يترددون فى الاعتراف به رجلا وتعد هذه نقطة تحول تحتاج إلى الاهتمام والرعاية (حجازى، 1989: ص 134).

وفى هذه المرحلة تكون شخصية الفرد على وشك أن تكتمل ويسير سلوكه على وفق قواعد مميزة فى التعامل مع الأشياء والأشخاص (سيف الدولة، 1990: ص37).

ويكتسب البحث أهميته فى تحقيق أهداف رعاية المتفوقين عقليا فى المنظومة الانفعالية؛ إذ أن المنظومة المعرفية يمكن تحقيق نموها لدى المراهق المتفوق من خلال المحاضرات والدروس العلمية بينما المنظومة الانفعالية يتم نمو الفرد فيها من خلال التفاعل بين تعامل الآخرين مع الطالب بوصفه اللبنة الأساسية التى تمثل مدخلات التعليم ومخرجاته .

إن معرفة النمو الانفعالى للمراهق المتفوق لا يتم إلا من خلال اتضاح الصورة عن هذه المنظومة الانفعالية والتى تكون البحوث من إحدى الوسائل فى توضيحها للقائمين على رعاية المتفوقين عقليا، ووفقا لنتائج تلك البحوث يمكن أن نصل إلى رعاية النمو الانفعالى للمتفوق، ومن هذا تكتسب أهمية دراسة النضج الانفعالى للمتفوق، ويمكن تحديدها بالنقاط الآتية :

1) إن معرفة مستوى النضج الانفعالى للطلبة سيعطى تصور لمدرس المتفوقين عقليا عن مدى النضج الانفعالى لطلبتهم مما يساعدهم على التعامل معهم بشكل أفضل مما عليه .

2) إن البحث الحالي يهدف إلى الكشف عن النضج الانفعالى الذى يرتبط بشخصية المراهق المتفوق عقليا ويمكن فى ضوء ذلك الكشف باستخدام القياس الموضوعي التنبؤ بفاعلية شخصية المراهق المتفوق .

3) يمكن من خلال قياس النضج الانفعالى أن نجرى تكييف للمناهج وطرائق التدريس بما يشبع حاجات الطلبة .

4) إن قياس النضج الانفعالى يفيد فى عملية الإرشاد النفسي والتربوي وتسهل عمل المرشد من خلال النتائج التى يتوصل عليها البحث الحالي .

وعليه يمكن وضع التساؤل الآتي لمشكلة البحث :

هل أن النضج الانفعالى للمراهق المتفوق عقليا يختلف عن ما عليها الطلبة العاديين؟ لاسيما وأن الفروق بين الأشياء والظواهر مصدرا للحصول على المعلومات والتى حظيت بدراسات متنوعة .

ففي المجال النفسي فإن تعريف الإنسان بنفسه دفعه إلى ابتكار الوسائل المناسبة لدراسة نفسه، وكانت إحدى مشكلاته هي كيفية تحويل الظواهر النفسية إلى كم يسمح بأن يفسر النشاط الإنساني (فائق وعبد القادر، ب ت : ص 12) .

وعليه فأن البحث الحالي يحاول قياس النضج الانفعالى لدى شريحة المتفوقين عقليا ومقارنته مع أقرانهم المراهقين العاديين، ومن خلال القياس يمكن الإجابة على تلك التساؤلات التى ستكون نتائجها بلا شك مؤشرا فى تحديد النضج الانفعالى .

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى :

1- الكشف عن مستوى النضج الانفعالى عند الطلبة المتفوقين عقليا وأقرانهم الطلبة العاديين فى المرحلة الثانوية .

2- التعرف عن ما كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المتفوقين عقليا

وأقرانهم من الطلبة العاديين فى النضج الانفعالى .

مصطلحات البحث :

- **النضج الانفعالى:** عرفه (القيسى، 1996) بأنه قدرة الفرد على ضبط النفس فى المواقف التى تثير الانفعال، والتعبير عن انفعالاته بصورة متزنة، ومعتمدا على نفسه واثقا بها ويتسم بنظرة متفائلة للمستقبل ومتوافقا مع الأشخاص الذين يتعامل معهم. (ص 34) .
- **المراهقة:** المرحلة التى تتميز بخصائص معينة، كالتغيرات السريعة التى تطرأ على الجسم والنمو الفسيولوجى، والجنسي، والنمو الاجتماعي والانفعالي، والعقلى، وتتميز باستقلالية المراهق الكاملة عن الكبار فى جميع مجالات السلوك (Havighurst, 1972, P. P. 105)، وتقابل المراهقة المرحلة الثانوية فى التعليم بعد انتهاء المرحلة الابتدائية .
- **المتفوقين عقليا:** تتباين تعريفات الباحثين لمصطلح التفوق العقلي نظرا لاختلاف الوسائل التى ينادون باستخدامها فى انتقاء المتفوقين عقليا فقد اعتمد البعض منهم على معاملات الذكاء، واعتمد البعض الأخر على مستوى التحصيل، أما الفريق الثالث فقد اعتمد على محكات متعددة يمكن من خلالها تحديد المتفوق، والبحث الحالي يعتمد فى اختياره للمتفوقين عقليا من المراهقين على المحكات المتعددة التى اعتمدتها وزارة التربية فى العراق لاختياره للمتفوقين، وشملت هذه المحكات اختبارات التحصيل المدرسية واختبارات الذكاء واختبارات التحصيل المقننة فى المواد العلمية واللغات والفحص والتشخيص من قبل لجنة متخصصة فى مجال التفوق العقلي، والبطاقة المدرسية، وملاحظات مدرسيهم وتقديراتهم لجوانب التفوق لديهم.

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بـــ:

1 - طلبة المدارس المتميزين فى محافظة بغداد للعام الدراسي 1996 - 1997 .

2 - طلبة المدارس الثانوية فى محافظة بغداد للعام الدراسي 1996 - 1997 .

الدراسات السابقة :

تتضمن الدراسات السابقة مجموعتين من الدراسات: المجموعة الأولى تناولت موضوع النضج الانفعالى، والثانية بحثت فى المتفوقين عقليا. وسنتناول أولا الدراسات التى درست موضوع النضج الانفعالى .

دراسة (Leung , 1981) وقد هدفت إلى إيجاد العلاقة بين تقدير الذات والنضج الانفعالى لعينة مكونة من (200) طالب وطالبة من طلاب الكليات، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الطلاب ذوى الدرجة العالية فى تقدير الذات أعلى فى نضجهم الانفعالى عن الطلاب ذوى الدرجة الواطئة فى تقدير الذات (ص 199 - 291) .

أما دراسة (الأشول 1982) فقد هدفت إلى التعرف على وجود علاقة بين النضج الانفعالى والتحصيل الأكاديمي لطلاب المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، وعن وجود فروق بين طلاب الكليات العلمية والنظرية فى النضج الانفعالى والتحصيل الأكاديمي وكانت عينة الدراسة مؤلفة من (100) طالب من كلية التربية و(50) طالب من كلية الصيدلة بجامعة الرياض، وأسفرت النتائج عن وجود علاقة بين النضج الانفعالى والإنجاز الأكاديمي ووجود ارتباط بين الإنجازات العلمية والمستوى الثقافي والاجتماعي للأسرة. (ص 89 - 102) .

وتناولت دراسة (Gallucei , 1988) التوافق الانفعالى للأطفال المتفوقين عقليا حيث هدفت قياس المشكلات السلوكية لعينه من الأطفال المتفوقين عقليا بلغت (35) ذكرا، و(30) أنثى تراوحت أعمارهم بين (11 - 16) سنة وبلغ حاصل ذكائهم (135) على مقياس ستانفورد بينيه ومن بين النتائج التى توصلت إليها الدراسة عدم وجود فروق بين الجنسين فى التوافق الانفعالى، و لم تظهر فروق فى

درجات أفراد العينة مع أقرانهم على قائمة مشكلات السلوك (ص 273 - 276).

ومن الدراسات التي قامت حول المتفوقين عقليا دراسة (محمد حسن 1970) والتي هدف إلى التعرف على الفروق بين الطلاب المتفوقين والعاديين في الذكاء وتقبل الذات والمسئولية الاجتماعية والتحصيل الدراسي وكانت عينة الدراسة تتألف من (196) منهم (96) متفوقا، و(100) طالبا من العاديين اختيروا على أساس التحصيل المدرسى ومن نتائج الدراسة تميز الطلاب المتفوقين فى التحصيل عن العاديين بالذكاء والمسئولية الاجتماعية وتقبل الذات (ص 237 - 257) .

وهدفت دراسة (Patel , 1972) إلى التعرف على بعض سمات الشخصية لذوى التحصيل العالي والواطئ، عن طريق العلاقة بين تلك السمات والتحصيل الدراسي لعينة تكونت من (350) طالبا من ذوى التحصيل العالي والواطئ فى المدارس الثانوية بالهند وتوصلت إلى أن ذوى التحصيل الواطئ كانوا أكثر قلقا من ذوى التحصيل العالي وخاصة البنين منهم وأن العلاقة كانت إيجابية بين التحصيل العالي والقدرة العقلية (الذكاء) - (ص 114 - 136) .

أما دراسة (Bahrence & Vernon 1978) فهدفت إلى المقارنة بين البنين من ذوى التحصيل العالي والواطئ وبين البنات من ذوات التحصيل العالي والواطئ وكانت العينة مكونة من (292) طالبا وطالبة فى كندا وأظهرت النتائج لهذه الدراسة بأن الأولاد ذوى التحصيل العالي يتميزون عن أقرانهم من ذوى التحصيل الواطئ بالاتجاه الإيجابي نحو المدرسة ومفهوم الذات الإيجابي أما البنات فأنهن يتميزن عن نظيراتهن من ذوات التحصيل الواطئ فى هذه المتغيرات (ص 290 - 297) .

وتناولت دراسة (Martin 1982) المقارنة بين الطلبة الموهوبين المشاركين فى برنامج خاص للموهوبين وغير المشاركين وهدفت إلى وضع بعض المتغيرات لهذه المقارنة وتألفت العينة من (48) طالبا، وكانت الفروق بين العينتين فى مجالين فقط هما الارتباط بطلاب المدرسة، والالتزام بالمدرسة، حيث تشير النتائج إلى أن الطلبة غير المشاركين يعتبرون علاقتهم مع زملائهم أكثر من الطلبة المشاركين فى

البرنامج، ويرى غير المشاركين أنفسهم أكثر قيمة من زملائهم المشاركين، وينظرون إلى المدرسة بشكل إيجابي، ويحبون الذهاب إلى المدرسة، ويرغبون بالنشاطات المدرسية (ص 143) .

وقد هدفت (دراسة عوده وشريف 1988) إلى إيجاد الفروق فى الاستعدادات العقلية والسمات الانفعالية، والمشكلات الحياتية، والظروف الاجتماعية بين المتفوقين والمتعثرين والعاديين من طلبة جامعة الكويت، وبلغت عينة الدراسة (353) فردا وتوصلت الدراسة إلى أن المتفوقين دراسيا يتمتعون بقدرات واستعدادات عقلية أكثر مما يتمتع به العاديون أو المتعثرون، إضافة إلى عدم وجود فروق دالة بين المتعثرين والعاديين فى هذا المجال، كما أن المتعثرين دراسيا لا يفتقرون إلى القدرات العقلية اللازمة للدراسة بالجامعة وأن هناك عوامل أخرى سببت تعثرهم الدراسي قد تكون انفعالية أو اجتماعية أو أسرية (ص 50 – 52) .

وقامت (على 1995) بدراسة للتعرف على بعض خصائص الشخصية وخصائص البيئة الأسرية التى تميز الطلبة المتفوقين عن غير المتفوقين فى المرحلة الإعدادية وتألفت العينة من (320) طالبا وطالبة من المجموعتين، وكان من أبرز النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين المتفوقين وغير المتفوقين فى خصائص التعلم، وفى المناخ النفسي الأسرى والمستوى الاقتصادي للأسرة ولصالح المتفوقين، ولا توجد فروق فى خاصية الاتزان الانفعالى. (ص 1 – 6) .

تعليق على الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة اعتمدت ذوى التحصيل العالي متفوقا عقليا، أي اعتمدت التحصيل الأكاديمي محكا للتفوق العقلي وظهر فى المتغيرات التى تناولتها أنهم أفضل من أقرانهم العاديين فى تلك المتغيرات ،ويفترض أن تعتمد تلك الدراسات على محكات أخرى تقيس سمة التفوق بعيدا عن التحصيل أو على الأقل يكون التحصيل المؤشر الوحيد للتفوق مما حدا بالباحثين أن يعتمدا فى تطبيق البحث على المتفوقين عقليا من الذين حددتهم الجهات التربوية من خلال تطبيق مجموعة

اختبارات الذكاء والتحصيل المقننة ومحكات أخرى، فضلا عن ذلك فان متغير النضج الانفعالى للمراهقين المتفوقين عقليا لم تتناوله الدراسات السابقة التى تضمنها البحث الحالي .

إجراءات البحث :

أ) مجتمع البحث وعينته: اشتمل مجتمع البحث على المتفوقين عقليا من مدارس المتميزين في مدينة بغداد حيث تكونت من أربعة مدارس فهي مدرستان للبنين، ومثلها للبنات، تم اختيار عينة عشوائية من هذه المدارس تكونت من (78) طالبا وطالبة منهم (44) طالبا، و(34) طالبة وأختير أيضا (78) طالبا وطالبة من الطلبة العاديين بعد إجراء المكافئة بين المجموعتين وفقا للصفوف الدراسية، والجنس، والتحصيل الدراسي للوالدين وتمت المكافئة وفقا لطريقة الأزواج المتناظرة (فان دالين، 1985: ص 367)، والجدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة على الصفوف الدراسية والجنس .

جدول (1) يوضح توزيع عينة البحث حسب الجنس والصفوف الدراسية

	المرحلة المتوسطة								المرحلة الإعدادية									
	الأول		الثاني		الثالث		المجموع		الرابع		الخامس		السادس		المجموع		المجموع	
	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ
المتميزين	17	13	8	8	8	5	33	26	4	4	5	2	2	2	11	8	44	34
العاديين	17	13	8	8	8	5	33	26	4	4	5	2	2	2	11	8	44	34
مج	34	26	16	16	16	10	66	52	8	8	10	4	4	4	22	16	88	68

أما التحصيل الدراسي للوالدين فيمثله الجدول (2) :

جدول (2) يوضح نسب التحصيل الدراسى للوالدين لأفراد العينة

التحصيل الدراسى	أميـة	يقرأ ويكتب	خريج ابتدائية	خريج متوسطة	خريج إعدادية	خريج معهد	خريج جامعة	ماجستير ودكتوراه
الأب	-	%1	%1	%3	%4	%13	%49	%29
الأم	%3	-	%3	%8	%5	%22	%40	%10

* طلاب هذه المدارس تم تشخيصهم من قبل وزارة التربية في العراق باعتبارهم طلاب متفوقين عقليا وتم عزلهم في مدارس خاصة بهم استنادا لمحكات عدة وضعت لهذا التشخيص .

أداة البحث :

استخدام البحث مقياس النضج الانفعالى الذى أعده (القيسى، 1996) وفقا لمنهج الخبرة والمنهج العقلي اعتمادا على نظرية (أريك أريكسون)، وقد تكون المقياس من (52) فقرة موزعة على أربعة مجالات ولكنه يقيس عامل واحد هو النضج الانفعالى، وحسبت القوة التمييزية للفقرات بطريقة المجموعات المتطرفة ومعامل الاتساق الداخلي، أما الصدق فقد حسب بعدة طرق هى الصدق الظاهرى وصدق البناء عن طريق صدق الفقرات، وصدق الارتباطات الداخلية، والصدق العاملي. أما ثبات المقياس فقد حسب باستخدام معامل آلفا (الفاكروبناخ Cronbach Alpa) حيث بلغ (0.95) .

عرض النتائج ومناقشتها :

1 - تضمن الهدف الأول الكشف عن مستوى النضج الانفعالى عند الطلبة المتفوقين عقليا والطلبة العاديين حيث بلغ متوسط درجات أفراد عينة المتفوقين عقليا (213.256) بانحراف معياري قدره (20.626) ومتوسط أفراد عينة الطلبة العاديين (215.205) بانحراف معياري قدره (19.867) .

وعند المقارنة بالوسط النظري للمقياس البالغ (156) درجة، نرى أن الوسط الحسابي المتحقق أعلى من الوسط النظري للمقياس وعند العينتين، وباستخدام

الاختبار التائي لعينة واحدة اختبرت الفرضية $H_O:\mu = \bar{X}$ مقابل الفرضية البديلة $H_1:\mu \neq \bar{X}$ وظهرت أن الفرق ذا دلالة معنوية عند مستوى دلالة (0.01) إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (24.521) بالنسبة للطلبة المتفوقين، و(26.325) للعاديين، مقابل القيمة الجدولية البالغة (2.617) بدرجات حرية (77) وبذلك رفضت الفرضية الصفرية وقبلت الفرضية البديلة مما يدل على أن القيمة حقيقية وغير ناجمة عن الصدفة أي أن الوسط المتحقق يختلف عن الوسط الفرضي بفروق حقيقية، والجدول (3) يوضح ذلك .

جدول (3)

يوضح النتائج المتعلقة بالهدف الأول

العينة	عدد الأفراد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط النظري	القيمة التائية المحسوبة	دلالة الفروق
المتفوقين	78	213.256	20.626	156	24.521	دال إحصائيا
العاديين	78	215.205	19.867	156	26.320	دال إحصائيا

*** القيمة الجدولية بدرجة حرية (77) و بمستوي دلالة (0,01) =2.617**

ولمعرفة موقع الوسط المتحقق من المتوسط المقدر للمجتمع الذى سحبت منه العينة استخدمت معادلة حدود الثقة وبحدي ثقة مقداره (99 %) حسب القانون التالي:

$$CI_{99} = \bar{X} \pm (\tau cv)\left(S\bar{X}\right)$$

(فيركسون، 1991 : ص 202 - 207) .

وقد ظهر أن متوسط المجتمع للمتفوقين عقليا يقع فى نقطة بين القيمتين (219.367-207.145) وللعاديين فى نقطة بين القيمتين (209.319 - 221.091) ولما كان المتوسط النظري لمقياس النضج الانفعالى (156) درجة غير واقع بين أي من هذه القيم، أى أنه أقل من أى منهما كثيرا وبدلالة معنوية عند مستوى

(0.01) فإنه لا يمثل متوسط المجتمع مما يدل على أن مجتمع المتفوقين عقليا والعاديين يتمتعون بمستوى أعلى فى النضج الانفعالى من المتوسط النظري للمقياس .

2- يبحث الهدف الثانى عن متوسط الفروق ودلالتها الإحصائية بين الطلبة المتفوقين عقليا والعاديين فى النضج الانفعالى .

وللتحقق من هذا الهدف فقد تم استخدام الاختبار التائي لعينتين متساويتين حيث كان الفرق غير دال إحصائيا فبلغت القيمة المحسوبة (0.603) مقابل القيمة الجدولية بمستوى دلالة (0.01) ودرجة حرية (77) تساوى (2.617) .

وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (بوتسول وستلفر، 1955) التى ثبتت العامل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للوالدين بالنسبة للمتفوقين عقليا والعاديين (الطمان، 1982 : ص 54)، وما توصلت إليه دراسة (حسن 1970) من عدم وجود فرق بين المتفوقين والعاديين فى التكيف الشخصي والعام والسمات الانفعالية، وتختلف مع دراسة (أمام وصبره 1979) التى توصلت إلى أن ذوى الدرجات العالية فى التحصيل أفضل فى نضجهم الانفعالى. (أمام وصبره، 1980 : ص ص 217، 283) .

وتختلف أيضا مع دراسة (الاشول 1982) التى توصلت إلى وجود علاقة موجبة بين النضج الانفعالى والإنجاز الأكاديمي. (الاشول 1982 : ص 89)، ودراسة (معوض 1983) التى اعتبرت الحاصلين على درجات عالية فى التحصيل يتمتعون بنضج انفعالي افضل من العاديين(معوض، 1983 : ص 16) .

أما دراسة (القيسى، 1996) فقد توصلت إلى أن الطلبة المتفوقين عقليا من الذين جرى تسريعهم إلى صفوف أعلى من صفوفهم التى هم فيها فإنهم يتمتعون بنضج انفعالي أعلى من العاديين فى نفس الصفوف التى سرعوا إليها (القيسى، 1997: ص 139) .

وعليه يعتقد الباحثان أن عدم وجود فروق فى النضج الانفعالى بين المتفوقين عقليا والاعتياديين من الطلبة قد يعود سببه إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية للأسرة

العراقية التي غالبا ما تتشابه في القيم والتقاليد علاوة على العوامل الثقافية المتمثلة بثقافة الوالدين للمتفوقين والعاديين، والتي يبدو أنها تؤثر في النضج الانفعالي، وقد يعود أيضا إلى طبيعة النظام التعليمي في المدارس الثانوية في العراق حيث إنه يتضمن التعليمات والمناهج التي تقدم لكل من المتفوقين عقليا والعاديين على السواء، وقد يعود إلى طبيعة المراهق العراقي حيث إن عملية النضج الانفعالي تتأثر بالمنظومة البايولوجية، والمنظومة العقلية، ويواكبها جانب أخر هو الجانب الوجداني الذي يتضمن منظومة فرعية هي المنظومة الانفعالية التي تبدأ نشاطها وتكوينها ونموها أثناء العام الثاني من حياة الطفل، وتؤثر عليها عوامل التربية التي يتعرض لها الفرد أثناء حياته. (داود والعبيدي، 1990 : ص 259) .

التـــوصيـــات

1- فى ضوء نتائج البحث يوصى الباحثان باختيار عينات أخرى للمتفوقين والعاديين من أسر ذات مستوى ثقافي أدنى من المستوى الثقافي لعينة البحث الحالي للتعرف على تأثير ذلك على درجة النضج الانفعالى .

2- دراسة متغير النضج الانفعالى مع طبيعة نمط الإدارة المدرسية وطبيعة المعاملة الوالدية ومدى تأثيرهما على النضج الانفعالى .

3- إجراء دراسة تتضمن تحليل محتوى للمواضيع الإنسانية التى تدرس للطلبة للكشف عن المفردات التى تسهم فى نمو النضج الانفعالى للطلبة بهدف وضع برامج تدريبية أثناء الخدمة تمكن المعلم من توظيفها فى عمله مع الطلبة .

المصـــادر

1- إبراهيم، عبد الستار: الإنسان وعلم النفس، سلسلة عالم المعرفة، العدد (86)، شباط، الكويت .

2- أسعد، يوسف ميخائيل (1997)، شخصيتك بين يديك، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر .

3- الأشول، عادل عز الدين (1982) : دراسة ميدانية عن العلاقة بين النضج الانفعالى والتحصيل الدراسي، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 5، 89 - 102 .

4- أمام، حنفى محمود، وصبره، محمد على (1980) : دراسة مقارنة عن شخصية المتفوقين والعاديين من طلبة وطالبات كلية التربية جامعة أسيوط قسم علم النفس، مجلة بحوث ودراسات سيكولوجية، ط2، ص ص 217 - 283.

5- حجازي، عزن (1985) : الشباب ومشكلاته، ط2، الكويت ،مطابع دار القبس .

6- داود، عزيز حنا والعبيدى، ناظم هاشم (1990) : علم نفس الشخصية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمى، جامعة بغداد .

7- زهران، حامد عبد السلام (1977) : التوجيه والإرشاد النفسى، القاهرة، عالم الكتب .

8- سيف الدولة، عصمت (1990) : الشباب العربى ومشكلة الانتماء، القاهرة، دار الموقف .

9- الطحان، محمد خالد (1982) : تربية المتفوقين عقليا فى البلاد العربية، تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

10- عدس، عبد الرحمن وتوق، محى الدين (1995) : المدخل الى علم النفس، ط

5، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع .

11- علي، أحلام شهيد (1995) : دراسة مقارنة في بعض خصائص الشخصية وخصائص البيئة الأسرية للطلبة المتفوقين وغير المتفوقين، بغداد، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) .

12- عوده، محمد وشريف، نادية (1988) : دراسة مقارنة للطلبة المتفوقين والطلبة المتعثرين دراسيا في جامعة الكويت - دراسة ميدانية، جامعة الكويت.

13- فائق، أحمد وعبد القادر، محمود (ب ت)، مدخل الى علم النفس العام، القاهرة، الأنجلو المصرية .

14- فان دالين، ديوبولدب (1985) : مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل وآخرون، ط3، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية .

15- فيركسون، جورج أي (1991) : التحليل الإحصائي في التربية وعلم النفس، ترجمة هناء محسن العكيلي، بغداد، الجامعة المستنصرية، دار الحكمة للطباعة والنشر .

16- القيسي، عامر ياسر خضير (1997) : النضج الانفعالي وتقبل الذات وتقبل الآخرين عند الطلبة المسرعين والمتميزين وأقرانهم العاديين - دراسة مقارنة، جامعة بغداد، كلية التربية، (أطروحة دكتوارة غير منشورة) .

17- محمد حسن، محمد علي (1970) : دراسة تحليلية لشخصية الطلاب المتفوقين في جمهورية مصر العربية، مجلة التربية الحديثة، العدد (3)، السنة (43)، ص ص 237 - 257 .

18- معوض - ميخائيل (1983) : سيكولوجية النمو والطفولة والمراهقة، ط3، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، دار الفكر الجامعي .

19- (1984) : قدرات وسمات الموهوبين، دراسة ميدانية، الإسكندرية دار

الفكر الجماعي .

20- هيوسن، تورستن (1975): التربية والتعليم فى سنة 2000، ترجمة أحسان عليان أبو غربيه اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر، الاردن .

21- Behrens and Vernon, (1978) "Personality Correlates of Over achievement and Under – achievement", in: British Journal of Educational psychology , vol. - 48 , No - 3 , pp: 290 - 297 .

22- Gallucci, N., T. (1988): Emotional Adjustment of Gifted children, Gifted child Quarterly , vol. 32, No. 2.

23- Havighurst, (1972), 3rd ed. "Developmental Taks and Education, David Mc Kay , New York .

24- Leung, Jupian, (1981), J .& sand , Margaret C. "Self Esteem and Emotional Maturity in College student", Journal of college student personal, V .22, N .4, pp. 99 - 291 .

25- Martin, J (1982), programs For Gifted children, Dissertation Abstracts, University of Northern Colorado, Vol. 42, N. 5 , p.143

26- Patel, A. S (1972), Some Personality traits of high Achievers and Low Achievers, in: Education and psychology review, Vol. 12, No. 3 - 4 .

27- Yates A (1971), The Organization of Schooling. A study of educational grouping Practices, London, Routledge & Kegan Paul.

الأفكار اللاعقلانية عند طلبة جامعة قار يونس

□ د. طالب ناصر القيسي

❖ أستاذ مساعد - قسم علم النفس

❖ كلية الآداب والعلوم - المرج

❖ جامعة قار يونس

ملخص الدراسة

اهتمت هذه الدراسة بتعرف مدى انتشار الأفكار اللاعقلانية التي اقترحها "أليس" في نظريته بين طلبة جامعة قار يونس ممثلين في كلية الآداب والعلوم - المرج، فضلا عن معرفة أثر عاملي الجنس والتخصص الدراسي .

تألفت عينة الدراسة من (240) طالب وطالبة اختيروا بالطريقة العشوائية من التخصصات العلمية والإنسانية. وقد طبق عليهم مقياس " محمد " (1992) للأفكار اللاعقلانية الذى يحتوى على (11) بعدا (فكرة) فرعية .

وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن الأفكار اللاعقلانية تنتشر بين طلبة الكلية بنسب تراوحت بين (6.6 %) و(37.5%). كما لم تظهر نتيجة تحليل التباين الثنائي أية فروق ذات دلالة لكل من عاملي الجنس والتخصص، والتفاعل بينهما .

ABSTRACT

The study aimed at investigating irrational ideas based on Ellis's theory among Garyounis University Students represented by the college of Arts and Sciences in El - merj. The number of subjects was 240 (Males and females and from different departments) .

Mohammed's (1992)Scale was used which contained (11) dimensions measuring irrational ideas. The results showed that between 6.6% and 37.5% of the students used those ideas. There were no significant differences due to sex or specialization .

مشكلة البحث :

لاشك أن للتنشئة الاجتماعية فى جميع مؤسساتها دورا كبيرا فى بناء شخصية الأفراد، فى تحديد نمطها سلبا كان أو إيجابا، وبما أن الجامعة امتداد لهذه المؤسسات سيكون لها إسهام نسبى فى إعداد هذا القطاع الهام من المجتمع باعتباره الرافد الأساسي لكافة المجالات الوظيفية.

لذا أصبح دراستهم ضروريا لمعرفة فيما إذا كانت الأفكار اللاعقلانية تنتشر بينهم، وهل هناك أثر لكل من الجنس والتخصص الدراسى فى التفكير اللاعقلاني؟ خاصة إذا ما علمنا بأن لهذا المفهوم دورا فعالا فى اضطرابات الأفراد النفسية التى تظهر بسبب اتجاهاتهم العقلية ومعتقداتهم وتفسيرهم للأحداث التى يمرون بها بطريقة معينة لا كما هي فى واقع الحال.

أهمية البحث وإطاره النظري:

تكمن أهمية الدراسة الحالية فى أنها تتناول قطاعا هاما هم طلبة الجامعة الذين سيكون لهم فى المستقبل دور ريادي سواء فى المجالات التربوية أو غيرها تبعا لتخصصاتهم المختلفة. لذلك يجب أعداد هؤلاء أعدادا جيدا فى كافة المجالات، ومنها الجانب المعرفي والانفعالي للتأكد من عدم انتشار الأفكار اللاعقلانية بين أوساطهم التى قد تكون سببا فى اضطرابهم نفسيا، وإذا ما كانت هذه الأفكار منتشرة بينهم ينبغي العمل على توجيه من يعانون منها قدر المستطاع على استخدام التفكير المنطقي الذى يزيد من إنجازهم وفاعليتهم، من خلال البحث عن برامج وقائية تهدف إلى تربية التفكير العقلاني الذى يساعد على إرساء دعائم الصحة النفسية لديهم .

إن الأفكار اللاعقلانية الناتجة عن بعض المعتقدات تكون موجودة عند بعض الأفراد ولكن بدرجات معينة لا يكون الفرد فى ضوئها شاذا فى أحكامه وأفكاره

إذا ما قارناه بمعيار قيم المجتمع السائدة. وأن بعض هذه المعتقدات يرثها الإنسان عن أسلافه حيث تتزايد وتتراكم وتتطور مع نمو الإنسان، وقد أشار إلى ذلك يونج Yung بما أسماه اللاشعور الجمعي الذى يكون أحيانا عامل تهديد عندما يدرك بشكل غير معقول (هول ولندزى: 1971: ص 112). ولا يتوقف الأمر على ما نرثه فحسب بل هناك عوامل عديدة من الضغوط التى نتعرض لها أيا كانت داخلية أو خارجية قد يكون لها أمر حاسم فى تحديد اتجاهاتنا وبناء معتقداتنا التى يكون لها إسهام فى ظهور الاضطرابات النفسية، فقد أشار الريحانى إلى أن الإخفاق الدراسي وصعوبة التكيف النفسي والاجتماعي تجعل الطالب يعانى من مشاعر سلبية كالإحساس بالقلق والكآبة والشعور بعدم الأمن (الريحانى: 1987). ويذكر أيضا الباحث نفسه إلى أن الإحصائيات التى أجريت فـــى بريطانيا بينت أن (9%) من الطلاب و(14 %) من الطالبات فى مرحلة الدراسة الجامعية يعانون من اضطرابات نفسية (المصدر السابق نفسه: 1987)، ويؤيد ذلك محمد عندما دون فى دراسته التى أشار فيها إلى أن إحدى الجامعات الإنكليزية قد بينت أن (4 %) من الذكور و(5 %) من الإناث يعانون من أمراض عصابية أثناء حياتهم الدراسية (محمد: 1992: ص 15).

يبدو إلى حد كبير أن المعتقدات اللاعقلانية تسيطر على تفكير الطلبة الذين يعانون من الاضطرابات النفسية، ففي دراسة أجرتها بيرجر (Berger) على طلبة الجامعة الذين راجعوا مركز الإرشاد، أظهرت نتائجها أن الأفكار اللاعقلانية تنتشر بين هؤلاء الطلبة، وأنهم يشعرون يتدنى قيمة الذات ويتميزون بالجمود ويظهرون أفكارهم على شكل اعتقاد مؤداه أن الأمور يجب أن تسير بصورة معينة (Berger: 1974)، وفى دراسة أخر لبيرجر على طلبة الجامعة توصلت فيها إلى أن العناصر الأساسية فى تحقير الذات ترتبط بمعتقدات لا عقلانية تظهر على شكل توقعات مطلقة من قبل الفرد، وأن الأمور يجب أن تسير بصورة معينة، فضلا عن مبالغات لا عقلانية نحو الذات (Berger: 1982) .

ومن بين الأفكار والمعتقدات التي تصب بذات الاتجاه هو الاعتقاد الشخصي بأنه يجب أن يكون مقبولا من الأفراد المحيطين به، وأنه ينبغي أن ينجز على المستوى المثالي أو حد الكمال، كما أنه يؤمن بأنه لا يمكن أن يقبل نتائج أعمال تأتي على غير ما يتوقع، وإلا فإن حياته تصبح لا قيمة لها (الطيب والشيخ: 1990) .

إن المعتقدات اللاعقلانية هي إحدى العوامل المسببة للاضطرابات النفسية، بمعنى أن مدركات الفرد هي السبب في اضطرابه النفسي أي أن ترميزه وتفسيره للأحداث التي يمر بها واتجاهاته العقلية هي السبب في ذلك، فإن تعريف الفرد للأحداث التي يمر بها بأنها مخيفة أو محزنة أو مؤلمة يجعله مسؤولا عن الاضطرابات التي يعاني منها وليست للأحداث نفسها .

وتأييدا لما ذكر فقد بينت دراسة الريحاني وآخرين إلى أن الأفراد المكتئبين هم أكثر تقبلا للأفكار اللاعقلانية، وأظهرت هذه الدراسة بأن (5.4%) من التباين المفسر في الاكتئاب يتمثل في الاعتقاد بأن تعاسة الفرد تنشأ عن ظروف خارجية لا يمكنه التحكم فيها، وأن (2.6 %) يعود إلى الأشياء الخطرة، والمخيفة التي تتطلب الاهتمام الكبير والانشغال الدائم في التفكير بها وباحتمال حدوثهـــا، وإن (0.9 %) يعود إلى المصائب الفادحة التي تأتي بنتائج مخالفة لما يتمناه الفرد ويتوقعه (الريحاني وآخرون: 1989).

يشير إليس (Ellis) إلى "العصاب" ينشأ ويستمر نتيجة لبعض الأفكار والمعتقدات التي تخلو أساسا من العقلانية والمنطق السليم (Ellis: 1975: p172)، ومن الدراسات التي أكدت أن هناك علاقة بين المعتقدات اللاعقلانية والعصاب، هي دراسة سمث وزاراسكي، ودراسة كازانوفا (Smith & Zurawaslei: 1983)، (Kassinova , et al: 1997). ويؤيد اتجاه أليس في نظريته نتائج الدراسة التي أجراها زويمر ودفينبكير (Zwemer & Deffenbacher) التي بينت العلاقة الارتباطية بين كل من الغضب والقلق من جهة وبين المعتقدات التي تتربط بالكمال

والاهتمام الزائد بالذات وتعظيم الأمور، وتجنب الصعوبات (Zwemer & Deffenbacher: 1984). كما دلت نتائج دراسة سميث جانا. (Smith Jans) على أن هناك ارتباطا بين هذه الأفكار وعدم تقبل الذات وسوء التكيف (smith: 1982)، ولا يتوقف الأمر على هذه الدراسات فقد أظهرت دراسة نيومارك وويـــت (Newmark & Wlit) أن الأفراد المصابين بمرض الفصام وافقوا على ثلاث أفكار إليس اللاعقلانية (Newmark & Wlit: 1983).

ولما كانت أغلب هذه الدراسات تشير إلى أن للمعتقدات اللاعقلانية أثر فى نشوء الاضطرابات النفسية عند الأفراد فان هذا يعطينا قرارا ذا أهمية لإجراء دراسة لهذا المفهوم على طلبة الجامعة فى الجماهيرية، وذلك فى ضوء نظرية إليس التى تؤكد على الجانب المعرفى وتقدير عواطف وانفعالات الفرد وربطها بالتفكير اللاعقلانى أن هذه النظرية تؤمن بالفكرة القائلة أن الأحداث سببها عوامل خارجة عن إرادة الإنسان، ولكن فى الوقت نفسه تكون عند الإنسان القدرة على اتخاذ الإجراءات التى من شانها أن تعدل وتضبط سلوكه وحياته المستقبلية (Ellis: 1962: P7) .

وقد بين إليس هذه الفكرة عندما تحدث فى نظريته عن الشخصية والتى أطلق عليها بنظرية (A. B .C)، حيث إن (A) تعنى الحادث أو الخبرة (Aet) التى يتعرض لها الفرد و(B) تعنى المعتقدات (Beliefs) التى يكونها الفرد حول الحادث، و(C) تعنى النتيجة الانفعالية (Emotional Consequence)، فإذا رسب فرد ما فى الامتحان أو رفض من قبل فتاة أو فُصل من العمل (A) بمعنى أنه تعرض إلى حادث، ومن الطبيعي أن الموقف هنا يعتمد على إدراكه وتفسيره للحادث هل هو مصيبة أو كارثة مما يجعله يشعر بالحزن والضيق والخوف والقلق، بمعنى أن هذه المشاعر الانفعالية هي نتيجة (C)، ويبدو من هذا أن (A) هى السبب فى ظهور(C) ولكن حسب نظرية إليس ليس الأمر كذلك، فهى تكون ناتجة عن (B)، وهى أفكار الفرد وألفاظه التى يستخدمها فى وصف الحادث، أي كان مخيف، مزعج،

محزن، مؤلم ... الخ، وأن هذه الأفكار هي التي تكون مسؤولة عن الاضطرابات العصابية التي يعاني منها الأفراد وليست الحوادث نفسها، ولكن هذه الأفكار يمكن ان تعدل وتختفي (الشناوى: 1994 ،ص 104) .

ترى نظرية إليس أن الإنسان هو كائن تتمثل فيه الخاصيتين فى أن واحد العقلانية ونقيضها، فعندما يتصرف الفرد بعقلانية يكون سعيدا وفعالا، وكفؤا، أما عندما يتصرف بشكل لاعقلانى فينتابه أحد ألوان الاضطراب النفسى أو بعض منها (الريحانى: 1985) .

إذن فى ضوء هذه النظرية يمكن إعادة تنظيم مدركات الفرد وأفكاره حتى يصبح التفكير منطقيا. وقد صاغ إليس الأفكار اللاعقلانية فى نظريته فى إحدى عشرة فكرة، وهى على النحو الآتي :

1- من الضروري أن يكون الفرد محبوبا من كل الأشخاص ذوى المكانة فى المجتمع، وأن يحصل دائما على تقديرهم واستحسانهم لأفعاله .

2- يجب أن نوقع على الأشخاص ذوى النفوس الشريرة ممن تتمثل فيهم الخشية والنذالة أشد العقوبات .

3- يجب أن يكون الفرد فعالا، ومنجزا بشكل يتصف بالكمال لكى تكون له قيمة.

4- إذا لم تحدث الأمور بالطريقة التي يتمناها الفرد ويتوقعها فليس هناك أمل فى أي شيء وتلك هى المصيبة .

5- أسباب تعاسة الإنسان خارجة عن إرادته، وليس باستطاعته التحكم بإرادته .

6- إذا تعرض الفرد لخطر ما فمن الطبيعي أن يشعر بالخوف والذعر الشديد لأنه لا محال من وقوع الخطر .

7- تحاشى الصعوبات، وعدم تحمل المسؤولية أسهل بكثير من مواجهة الصعوبات

وتحمل المسؤولية .

8- يجب أن يكون الشخص معتمدا على الآخرين فى تحقيق أهدافه، ويجب أن يكون هناك من هو أقوى منه لكى يعتمد عليه .

9- لا يستطيع الإنسان التخلص من ماضيه، فالماضى هو الذى يحدد الحاضر ولا يمكن تجاهله أو محوه .

10- ينبغي أن يتزعج الفرد ويحزن لما يصيب الآخرين من مشكلات واضطرابات .

11- هناك دائما حل مثالي لكل مشكلة، وهذا الحل لابد من إيجاده وإلا تكون النتيجة كارثة .(الريحانى: 1987)، (الشيخ: 1990) .

بعد عرض النقاط الإحدى عشر للأفكار اللاعقلانية لابد أن نبين الافتراضات التى تقوم عليها نظرية إليس، التى أوردها باترسون (Pattrson) وهى:-

1- أن ما يعانيه الفرد من اضطرابات نفسية وعقلية تكون راجعة فى الأصل إلى مجموعة الأفكار والمعتقدات الخاطئة واللاعقلانية التى تشكل البناء المعرفى للفرد.

2- أن التفكير اللاعقلاني يرجع إلى عوامل التنشئة الاجتماعية وخاصة فى مراحل الطفولة.

3- أن التفكير والانفعال وجهان لعملة واحدة .

4- أن الاضطرابات النفسية مرجعها التلفيظ الذاتى (Self Verbliztion) للمفاهيم والمعتقدات الخاطئة التى يتبناها الفرد، وقد تستمر هذه المعتقدات لتؤثر على حياة الأفراد الذين يعانون منها .

5- أن الإنسان عقلاني وغير عقلاني فى الوقت نفسه، لذا عليه أن ينمى طريقة تفكيره العقلاني إلى أقصى درجة .

6- يمكن إعادة البناء المعرفي للفرد عن طريق مهاجمة المعتقدات الخاطئة التي تؤدى إلى تحقير الذات، وتتسبب فى الاضطرابات النفسية للفرد فيصبح تفكيره عند ذلك أكثر عقلانية. (Pattrspn: 1980: 73 – 72 PP) .

من خلال ما عرض تبين أن الأفكار اللاعقلانية تكون خطرة على البناء المعرفي والانفعالي للفرد خاصة عندما يتقبلها ويعززها عن طريق التلفيظ الذاتى إذا أن ذلك سيقوده إلى العصاب بسبب عدم قدرته على تحقيق تلك الأفكار والمعتقدات فيكون غير سعيد لأنه غير قادر على التخلص من أفكاره غير المعقولة، وبهذا يصبح مقهورا عدوانيا شاعرا بالذنب وبضعف الكفاءة والقصور، وعدم القدرة على الضبط، والشعور بالتعاسة والشقاء (الشيخ: 1990: ص 108) .

وعلى هذا الأساس فقد تبنى فى هذه الدراسة نظرية (إليس) كإطار نظري لأنها من أكثر النظريات التي ركزت على هذا المفهوم بعد أن تحققت من مسلماتها عن طريق إجراء عدد غير قليل من الدراسات، وفى مجتمعات مختلفة .

الدراسات السابقة :

أجرى الريحانى عام (1987) دراسة استهدفت تعرف مدى انتشار الأفكار اللاعقلانية التي أقترحها " إليس " بين طلبة الجامعة الأردنية، فضلا عن معرفة أثر عاملي الجنس، والتخصص فى التفكير اللاعقلاني، والتعرف على الأفكار اللاعقلانية التي تميز بين الذكور والإناث من طلبة الجامعة .

وكانت الأداة المطبقة من إعداد الباحث، احتوت على (13) بعدا، تمثل (13) فكرة لاعقلانية يعبر عنها بدرجات فرعية بزيادة بعدين جاء فى نظرية أليس وهما:

1- ينبغي على الفرد أن يتسم بالرسمية والجدية فى التعامل مع الآخرين حتى تكون له قيمة (6) محترمة بين الناس .

2- لاشك أن مكانة الرجل هي الأهم فيما يتعلق بعلاقته مع المرأة، أما الدرجة الكلية للإدارة مثلت مقياس التفكير اللاعقلاني، وقد تآلفت عينة الدراسة التي طبقت عليها هذه الأداة من (400) طالب وطالبة من الجامعة الأردنية واختيروا بطريقة عشوائية من الأقسام العلمية والإنسانية .

وعند تحليل النتائج استخدم الباحث النسبة المئوية، وتحليل التباين الثنائي فتوصل إلى أن الأفكار اللاعقلانية تنتشر بين طلبة الجامعة بنسبة تراوحت بين (5 %) فى حدها الأدنى و(40 %) فى حدها الأعلى مما أعتبر دليلا مؤيدا لنظرية إليس كذلك دلت النتائج على أن الذكور يتميزون عن الإناث فى ستة من الأفكار اللاعقلانية أما بالنسبة إلى أثر عاملي الجنس والتخصص فلا وجود له وكذلك للتفاعل بينهما (الريحانى: 1987) .

وقام الريحانى أيضا عام (1989) بدراسة هدفت إلى تعرف علاقة الأفكار اللاعقلانية بالاكتئاب لدى عينة مكونة من (559) طالب من مختلف كليات الجامعة الأردنية. طبق عليهم قائمة " بك " المعربة لتعرف درجات الاكتئاب، فضلا عن مقياس الباحث نفسه للأفكار العقلانية و اللاعقلانية .

أظهر التحليل التمييزى وجود عامل واحد يفسر جميع التباين بين مجموعتين من الطلبة (إكتئابية، وغير إكتئابية) ويبدو أن اللاعقلانية مرتبطة بالميل نحو تعظيم الأمور، والتأكيد على الكمال، وتجنب تحمل المسؤولية فى واجهة الصعاب. كما أظهرت النتائج التى حصل عليها فى تطبيق تحليل الانحدار أن هناك مجموعة من الأفكار اللاعقلانية أسهمت فى تفسير التباين فى الاكتئاب بنسبة (9.5 %) لدى عينة الدراسة بوجه عام. وبنسبة (15.6 %) لدى الذكور، وبنسبة (5.2 %) لدى الإناث وتمثلت هذه الأفكار بالظروف الخارجية التى تسبب شقاء الفرد، والمصائب الفادحة، وتأتى الأمور على غير ما يتمنى المرء وأن قيمة الفرد تأتى من انجازاته إلى حد الكمال (الريحانى: 1989) .

أما الدراسة التي أجراها " الطيب " و" الشيخ " عام (1990)، فقد هدفت إلى الإجابة عن تساؤلات ثلاثة أولها: تعرف مدى انتشار الأفكار اللاعقلانية بين طلبة الجامعة، والثاني عن معرفة أفكار التي تميز بين الذكور والإناث أما الهدف الثالث فيتعلق بمعرفة أثر كل من عاملي الجنس والتخصص من التفكير اللاعقلاني .

وللتحقق عن هذه التساؤلات طبق الباحثان مقياس الريحاني كأداة على عينة مؤلفة من (400) طالب وطالبة مختارين عشوائيا من كلية التربية بالفيوم. وما يتعلق بالهدف الأول تم حساب التوزيع التكراري، والنسبة المئوية للطلاب الذين يمكن اعتبارهم لاعقلانيين وذلك من حيث موقفهم من كل أبعاد الاختبار الثلاثة عشر، وقد تبين أن أقل نسبة مثلت الذكور كانت (8.5 %) لبعد الاعتماد على الآخرين، وأعلى نسبة هي (31.5 %) لبعد ينبغي أن يحزن الفرد لما يصيب الآخرين من مشكلات، أما الإناث فكانت أقل نسبة هى (5.5 %) لبعد لاشك أنه مكانة الرجل هى الأهم فيما يتعلق بعلاقته مع المرأة، وأعلى نسبة هي (40.5 %) لبعد أن الفرد ينبغى أن يحزن لما يصيب الآخرين من مشكلات. أما الهدف الثالث فلم تبين النتائج أى أثر لكل من عاملي الجنس والتخصص وكذلك للتفاعل(الطيب والشيخ:1990).

وفى دراسة أنجزت من قبل الشيخ (1990) كان الهدف منها هو تعرف مدى انتشار الأفكار اللاعقلانية بين طلبة الجامعة الأمريكية والأردنية والمصرية، فضلا عن معرفة أثر عاملي الثقافة والجنس. وقد استخدم الباحث مقياس الريحاني كأداة للبحث طبقه على عينة مكونة من (1240) طالب وطالبة يمثلون طلبة الجامعة الأمريكان والأردنيين والمصريين .

وعند تحليل النتائج استخدمت النسبة المئوية للتحقق من الهدف الأول الذى بين أن أقل نسبة لعينة الأمريكيين كانت (2.5 %) لبعد تحاشى الصعوبات وعدم تحمل المسؤوليات وأعلى نسبة كانت (22 %) لبعد يجب معاقبة ذوى النفوس

الضعيفة والشريرة، أما بالنسبة إلى عينة الأردنيين فكانت أقل نسبة هي (5 %) لبعد الاعتماد على الآخرين لتحقيق الأهداف، وأعلى نسبة كانت (40 %)يوجد حل واحد لجميع المشكلات. وفيما يتعلق بالهدف الثانى فلم تظهر النتائج فروق ذات دلالة لعاملي الثقافة والجنس، والتفاعل (الشيخ: 1990) .

وحقق محمد دراسة عام (1992) كان الهدف منها هو الكشف عن العلاقة السببية بين المعتقدات اللاعقلانية والقلق العصابى من خلال التساؤل، هل المعتقدات اللاعقلانية تسبب القلق العصابى، أم أن القلق العصابى يسبب هذه المعتقدات .

وقد اعد الباحث مقياسا للمعتقدات اللاعقلانية تتوفر فيه الشروط العلمية لبناء الاختبارات، طبقه على طلبة جامعة بغداد الأقسام العلمية، وبعد تحليل معامل الارتباط المتقاطع المتفاوت زمنيا، توصل من خلاله إلى أن هناك علاقة سببية بين المتغيرين بمعنى أن المعتقدات اللاعقلانية تكون سببا فى خلق اضطراب على هيئة قلق والعكس صحيح (محمد: 1992. ص 15 – 67) .

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية تعرف مدى انتشار الأفكار اللاعقلانية، فضلا عن معرفة أثر كل من عاملي الجنس والتخصص فى التفكير اللاعقلاني عند طلبة الجامعة وقد صيغت الأهداف بشكل تساؤلات، وعلى النحو الآتي :

1– ما مدى انتشار الأفكار اللاعقلانية بين طلبة كلية الآداب والعلوم بالمرج.

2– هل هناك أثر لكل من عاملي الجنس والتخصص الدراسي فى التفكير اللاعقلاني؟

حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة الحالية على طلبة كلية الآداب والعلوم بالمرج – جامعة قار يونس من الذكور والإناث الذين يدرسون فى الأقسام العلمية والأدبية من العام الدراسي 1997 .

تحديد المصطلحات :

سوف أكتفي بذكر تعريف مقياس محمد (1992) للأفكار اللاعقلانية، والذى استخدم فى الدراسة الحالية، التى وصفها على أنها لا منطقية، يحكم الفرد على الأحداث من خلالها فى أغلب الظروف، تتمثل بالقبول المطلق، والكفاءة التامة، وعدم التسامح، وتعظيم الأمور والسلبية والحساسية الزائدة، والانهزامية والاتكالية والعجز عن التخلص من الماضي والاهتمام الزائد بالآخرين والمثالية والخوف والذعر.

إجراءات الدراسة

أداة البحث :

اعتمد الباحث فى هذه الدراسة مقياس محمد للمعتقدات اللاعقلانية الذى أعده عام (1992) على طلبة جامعة بغداد. وتألف المقياس من (55) فقرة موزعة على إحدى عشر بعدا فرعيا، أعدت على غرار نظرية إليس، وتمثل كل بعد (فكرة) خمس فقرات، وأمام كل فقرة تدرج خماسي كبدائل للاستجابة، يبدأ بـــ (ينطبق على تماما) وتعطى (5) درجات لمن يجيب عليها وتمثل الفكرة اللاعقلانية، وتنتهي بـــ(لاينطبق على) وتعطى درجة واحدة. وبذلك يكون الحد الأعلى لكل فقرة (25) درجة، والحد الأدنى (5) درجات أما الدرجة الكلية للمقياس فهي (275) كحد أعلى، و(55) درجة كحد آدني.

استخرج صدق المقياس بعدة طرق منها الصدق الظاهري، وصدق التمييز بين المجموعتين المتطرفتين، وصدق البناء بواسطة العلاقة بين درجة الفقرة والدرجة الكلية، فضلا عن الصدق العاملى، وفى جميعها كان المقياس صادقا. أما الثبات فقد استخرج بواسطة معامل ألفا كرونباخ وكان مقبولا.

ولغرض التحقق من مدى ملائمة المقياس فى الجماهيرية الليبية وفقا لأهداف

الدراسة الحالية فقد تم تطبيقه أولا على عينة تكونت من (50) طالبا وطالبة تم اختيارهم عشوائيا من طلبة كلية الآداب والعلوم بالمرج، لغرض التحقق من أن فقرات المقياس مفهومه لدى عينة الدراسة، وقد تبين أن جميع الفقرات مفهومة .

وبعد هذا الإجراء تم استخراج الصدق مرة ثانية عن طريق صدق الارتباطات الداخلية الذى هو أحد أنواع صدق البناء، حيث حسبت معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية، والدرجة الكلية وكان أعلى ارتباط للفكرة الثالثة ومقداره (0.81) (انظر تسلسل المعتقدات الإحدى عشر المعروضة فى الإطار النظري) وأقل ارتباط للفكرة التاسعة ومقداره (0.65) وجميعها تعد ذات دلالة معنوية .*

أما الثبات فقد استخرج عن طريق إعادة الاختبار وكان مقداره (0.75) وبهذا الشكل أصبح المقياس يصلح للتطبيق .

عينة الدراسة :

تألفت عينة الدراسة من (240) طالبا وطالبة، يدرسون فى كلية الآداب والعلوم بالمرج، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة. (120) مقسومين بالتساوى بين الطلاب والطالبات، (120) يمثلون التخصصات الأدبية والعلمية (60) الإنسانيات، و(60) العلميات. وقد طبقت عليهم الأداة بشكل جمعي .

نتائج الدراسة :

لتحقيق الهدف الأول فى هذه الدراسة والخاص بتعرف مدى إنتشار الأفكار اللاعقلانية بين طلبة الجامعة. فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية للطلاب الذين يمكن اعتبارهم لاعقلانيين، وذلك بحسب استجابتهم على أبعاد المقياس الأحد عشر التى تمثل الأفكار اللاعقلانية، والمثبتة فى الإطار النظري لهذه الدراسة .

أما المعيار الذى تم على أساسه اعتبار الطالب لاعقلاني أو عقلاني فهو من خلال الدرجة التى حصل عليها على كل بعد من أبعاد المقياس، الذى تمثله (5)

فقرات ذات تدرج خماسي، فكان الحد الأعلى لكل بعد يمكن أن يحصل عليه الطالب هو (25) درجة، والحد الأدنى (5) درجات، وبعد جمع درجة الحد الأعلى والحد الأدنى وقسمتها على (2)، تبين أن النقطة الحرجة بين العقلانية ونقيضها هي الدرجة (15)، ($\frac{5+25}{2}$ = 15). لذلك عدت كل درجة فوق (15) يحصل عليها المفحوص على أى من أبعاد المقياس فكرة لاعقلانية والدرجة (15) فما دون هي فكرة عقلانية .

وبهذا أصبح هذا المعيار محكا تم حساب الأعداد والنسب المئوية لأفراد العينة لكل من الذكور والإناث الذين حصلوا على درجات (15) فما فوق، ولجميع الأبعاد (الأفكار) الذى يشملها المقياس. الجدول (1) يبين التكرارات والنسب المئوية لأفراد العينة ممن عدت استجاباتهم لا عقلانية على أبعاد المقياس .

ويظهر فى الجدول، الأعداد والنسب المئوية لأفراد العينة من الذكور والإناث، ومجموعيهما ممن اعتبروا لا عقلانيين بالنسبة لأبعاد المقياس الأحد عشر، كل بعد على حده. وقد تبين أن البعد رقم (8) الذى ينص " يجب أن يكون الشخص معتمدا على الآخرين فى تحقيق أهدافه، ويجب أن يكون هناك من هو أقوى منه لكى يعتمد عليه ". يمثل الحد الأدنى للأفكار اللاعقلانية وبنسبة (6.6 %)، وهى نسبة قليلة وهذا يعنى أن الاستقلالية والتفرد، والاعتماد على الذات والتعبير عنها موجود بشكل كبير عند الطلبة الذكور فى الجامعة، وهذا مستمد من طبيعة التنشئة الاجتماعية فى هذا المجتمع الذى يغذى الطابع الرجولي باعتباره الرجل هو المسؤول الأول عن كيان الأسرة وما يصدره عنها من قرارات .

جدول (1)

يبين التكرارات والنسب المئوية لأفراد العينة اللاعقلانيين، وذلك فيما يتعلق بالأفكار الإحدى عشر، مرتبة حسب تسلسلها في الإطار النظري .

الفكرة اللاعقلانية	الطلاب (120)		الطالبات (120)		الطلاب و الطالبات (240)	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	12	%10	12	%10	24	%10
2	26	%21.6	18	%15	44	%18.3
3	30	%25	22	%18	52	%21.6
4	27	%22.5	21	%17	48	%20
5	17	%14.1	45	%37.5	62	%25.8
6	19	%15.8	19	%15.8	38	%15.8
7	23	%19.1	32	%26.6	53	%22.1
8	8	%66	4	%28.3	42	%17.5
9	18	%15	29	%24.1	47	%19.5
10	21	%17	26	%21.6	46	%19.1
11	28	%23.3	28	%23.3	56	%23.3

يمثل الحد الأعلى لهذه الأفكار عن الذكور، البعد رقم (3) حيث بلغت نسبته (25 %) وهى نسبة ليست قليلة. وهذا البعد ينص على " يجب أن يكون الفرد فعالا، منجزا بشكل يتصف بالكمال لكى تكون له قيمة " وهذه الفكرة مثالية وإن من يسعى إليها سيكون مضطربا نفسيا، لأنه سوف يشعر بالنقص وعدم القدرة على الاستمتاع بالحياة الشخصية، وربما يتولد لديه شعور دائم بالخوف من الفشل .

أما بالنسبة إلى الطالبات فكان البعد رقم (1) الذى ينص "من الضروري أن يكون الفرد محبوبا من كل الأشخاص ذوى المكانة فى المجتمع وأن يحصل دائما على تقديرهم، واستحسانهم لأفعاله" ويمثل الحد الأدنى وبنسبة (10 %)، رغم أن المرغوب فيه أن يكون الفرد محبوبا من الآخرين وبالذات الإناث إلا أن الشخص العقلاني لا يضحى باهتمامه ورغباته فى سبيل تحقيق هذه الغاية، وكما هو ظاهر من واقع التكرار لاستجابة الطالبات على هذه الفكرة إنها موجودة بنسبة قليلة جدا. ربما يعود هذا إلي استسلامها بحتمية العلاقة الكائنة حقا و التي يكون الدور

فيها للرجل أولا و أخيرا و أي كان اتجاه الآخرين فلا يغير في الأمر شيء .

أما أعلى نسبة فيمثلها البعد رقم (5) الذى ينص "أسباب تعاسة الإنسان خارجة عن إرادته وليس باستطاعته التحكم بإرادته"، وهذا يشير إلى أن الإناث يتعرضن إلى بعض الضغوط المفروضة بفعل قيم المجتمع وعاداته، ومع هذا فإن إليس يرى أن هذا ليس منطقيا وتعليله لذلك مهما تكن الضغوط والأحداث لا يمكن أن تكون ضارة إلا إذا سمح الفرد لنفسه أن يتأثر بها نتيجة لاستجابته واتجاهاته (الشناوى: 1994: ص 100) .

ويتضح من الجدول أن هناك بعض الأفكار اللاعقلانية كان الذكور فيها أعلى نسبة من الإناث، وتتمثل فى الأبعاد رقم (2، 3، 4) وبالنظر إلى نص هذه الأفكار نجد أن الذكور لديهم ميل إلى السيطرة والقوة، وفرض ما يجب أن يكون، حتى وإن كان صعب التحقيق منطقيا. ولكن هكذا يدركون، وهذا ما أعتقده إليس فى نظريته بأنه تفكير لا عقلاني، فمثلا يصعب أن نجد معيارا مطلقا للصح والخطأ هذا من ناحية، ومن ناحية أخري أن الناس جميعا معرضون للتردى وارتكاب الأخطاء، وبهذا يكون ليس من الحكمة أن نوقع بهم أشد العقوبات، كما يرى من تضمنت استجاباتهم هذه النسبة من الطلاب .

وبالنسبة إلى الأفكار اللاعقلانية التى كان فيها أعلى نسبة من الذكور فكانت تتمثل فى الأبعاد رقم (5، 7، 8، 9، 10) وبالرجوع إلى نص الأبعاد المذكورة، نجد أن للبيئة الليبية فى التنشئة الاجتماعية دور فى تحديد اتجاهات الإناث وأدراكاتهن فبفعل أساليب المعاملة الأسرية للأنثى وتحديد دورها تأصلت هذه الأفكار، فضلا عن طبيعة الأنثى العاطفية بشكل عام .

ويبين الجدول أيضا أن هناك فكرتان تساوى فيها الطلاب والطالبات فى النسبة وهما الفكرة رقم (1، 6) وهذا يعنى أن الاثنان لديهم الرغبة فى أن يكونا محبوبان مرغوبان من قبل الآخرين ولا غرابة فى أن يكون ذلك ولكن من غير المنطق أن نعتقد بأن الضرورة تحتم أن نكون محبوبين من الجميع فإرضاء الناس غاية لا تدرك. والأمر ذاته ينطبق على ما جاء فى الفكرة رقم (6) فقد يظهر الخوف عند الأفراد عند

تعرضهم للمخاطر ولكن ليس كل موقف يؤدى إلى حالة الذعر الشديدة. وعلى هذا كانت نسبة هاتان الفكرتان ضئيلة فى مجتمع الدراسة (انظر الجدول رقم 1) .

وتحقيقا للهدف الثانى الذى يبحث عن أثر عاملي الجنس والتخصص الدراسي فى التفكير اللاعقلاني، فقد استخدم تحليل التباين الثنائي، والجدول (2) يوضح ذلك .

جدول (2)

يوضح نتائج تحليل التباين للدرجة الكلية لمقياس الأفكار اللاعقلانية، حسب متغيري الجنس والتخصص .

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية	مستوى الدلال
الجنس	56.3	1	56.3	0.798	غير دال
التخصص	98.1	1	98.1	1.391	غير دال
التخصص الجنس×التخصص	83.5	1	83.5	1.184	غير دال
الخطأ المتبقي داخل المجموعات	16642.6	236	70.5		

القيمة الجدولية عند مستوى (0.05) = 3.84

القيمة الجدولية عند مستوى (0.01) = 6.64

وعند النظر إلى جدول تحليل التباين الثنائي نرى أن القيم الفائية للدرجة الكلية لمقياس الأفكار اللاعقلانية المتحققة لكل من عاملي الجنس والتخصص الدراسي، والتفاعل بينهما أقل من القيمة الجدولية المستخرجة بدرجات حرية (1، 236)، وعند مستوى دلالة (0.05) .

وهذا يعنى أن الأفكار اللاعقلانية عند طلبة الجامعة لا تتأثر بعامل الجنس، والتخصص، رغم أن التكرارات ونسبها المئوية على الأبعاد الفرعية للمقياس قد أظهرت فروقا، إلا أن هذه الفروق قد تلاشت عند معالجة الدرجة الكلية للمقياس.

وبما أن عامل التخصص لم يبين أى فرق دال إحصائيا، أعطانا مؤشر على أن ليس له تأثير على تبنى الأفكار اللاعقلانية. وهذه دلالة على أن الأفكار

اللاعقلانية متراكمة فى البناء المعرفي للفرد منذ الطفولة وإذا ما قورنت هذه الدراسة بما أظهرت نتائج الدراسات السابقة نجدها تتفق معها. (انظر نتائج دراسات كل من: الريحانى 1987، دراسة الشيخ 1990، دراسة الطيب والشيخ 1990) المعروضة فى هذه الدراسة .

المصـــادر

1 - الريحاني، سليمان (1985)، تطوير اختار الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية، مجلة دراسات، المجلد الثاني عشر، العدد الحادي عشر، ص 77 - 95 .

2 - الريحاني، سليمان (1987) ظ، الأفكار اللاعقلانية عند طلبة الجامعة الأردنية وعلاقته بالجنس والتخصص. مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد الخامس ص 37 .

3 - الريحاني، سليمان وأخرون (1989). الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالاكتئاب لدى عينة من طلبة الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، المجلد السادس عشر العدد السادس، ص (36 -55).

4 - الشناوى، محمد محروس (1994)، نظريات الإرشاد والعلاج النفسى، دار غريب للطباعة والنشر .

5 - الشيخ، محمد عبد العال (1990)، الأفكار اللاعقلانية لدى الأمريكيين والأردنيين والمصريين دراسة عبر ثقافية فى ضوء نظرية أليس، بحوث المؤتمر السادس لعلم النفس، الناشر الجمعية المصرية للدراسات النفسية ص 265 - 281

6 - الطيب، محمد طاهر، والشيخ، محمد محمد عبد العال (1990)، الأفكار اللاعقلانية لدى عينة من طلاب الجامعة وعلاقتها بالجنس والتخصص الأكاديمي، بحوث المؤتمر السنوى السادس لعلم النفس فى مصر، الناشر الجمعية المصرية للدراسات النفسية ص (249 - 261) .

7 - محمد، نمير حسين (1992)، العلاقة السببية بين المعتقدات اللاعقلانية والقلق العصابى، جامعة المنتصرية، كلية الآداب (رسالة ماجستير غير منشورة) .

8 - هول. ك ولندرى (1971)، نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج وآخرون، الهيئة المصرية للنشر، القاهرة .

9 - Berger , E .M , (1974) , Irrational Self Censure The Problem and its Correction , The Presonnal and Guidance j .No 53 , PP .193 - 198 .

10 - ..... (1982) , Self Devaluation in Colleg Students .J . Rational living , vol 17 , No 1 , PP , 23 - 25 .

11 - Ellis , A , (1962) , Reason and Emotion in psychotherapy , New yourk :Lyle stuart .

12 - ..... (1975). Counseling and Psychotherapy , Classics on theerise and issues , Seience and Behavior Book inc. palo Alto .Ca .

13 - Kassinova , H etal (1977) Development Trends in Rational Thinking: implications for Rational Emotive , School Mental Health Programs , J. of Community Psychotherapy , Vol. (5) , pp. (266 - 274).

14 - New Mark , C .S and Whitt J. K. (1983), Endorsement of Ellis Irrational Beliefs as afunction of DSM - 111 psychotic Diagnoses, J. of clinical Psychology Vol .39 , No 6 .PP .820 - 823 .

15 - Patterson , C .H (1980), Theories of Counseling and Psychotherapy , N , Y Harper And Row .

16 - Smith , Jana .K. (1982). Irrational Beliefs in a College Population , J. of Rational Living .Vol. 17 No (1), pp (35 - 36) .

17 - Smith , T .W & Zurawski , R .M , (1983) Assessment of Irrational belifs , The guestion of discriminat validity .J .of Clinical Psychology , Vol. 39 , pp (976 - 979).

18 - Zwemer, W. A & Deffenbacher, j. c (1984) Irrational Belifs , Aqnger and Anxiety. J. of counseling psychology, Vol. (31), No (3) pp (391 - 393).

رؤية عن الواقع التربوي في مجتمعاتنا العربية الإسلامية المعاصرة

❐ د. محمد أحمد عبد الهادي

❖ كلية الآداب والتربية

❖ جامعة عمر المختار

❖ البيضاء

القسم الأول :

عرض تاريخي لبيان خلفيات واقع التربية :

لا ريب أن العلم أساس كل إصلاح وتاج كل نهضة، والتعليم ليس إلا السبيل لنشر العلم وتثقيف العقول به. فمنذ بداية الإسلام أولى المسلمون عنايتهم للتعليم والتعلم، وذلك لما للعلم من قيمة كبرى فى الإسلام، حيث جعل طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولم يرتبط بعمر معينة أو مرحلة معينة، بل جعله ممتدا من المهد إلى اللحد.

ولم يكن الإسلام مجرد دين يتناول الجانب الروحي من الحياة، بل كان إطارا كليا يحيط إحاطة شاملة بكل بعد من أبعاد الحياة .

وقد برزت أهمية التربية بعد ظهور الإسلام، الذى كان تحولا حضاريا كبيرا، بما قدم من عقيدة مفصلة، تقنع العقل وتناسب الفطرة، وتقوم على التوحيد، وبما قدم من نظام متكامل، لحياة الإنسان وحياة المجتمع. وقد استظلت المجتمعات الإسلامية بالإسلام الذى أنزله الله تعالى لتربية البشر على مسلماته ومناهجه، وإجابته على الأسئلة الكبرى التى تصادف الإنسان فى حياته باعتباره إنسانا مفكرا، وعلى مبادئه وقيمه الأساسية، التى تعتبر الأسس الطبيعية الإنسانية والفطرية، وهو الذى جعل لها القيمة الكبرى على المستويين النظري والتطبيقي؛ ولذلك فإن برامجه فى العبادة تحقيق لمقتضى العبودية لله تعالى: ما هي إلا برامج تربوية بالدرجة الأولى، لبناء الإنسان بناءا فكريا واجتماعيا ونفسيا وروحيا. [1]

وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهمية الأسس التربوية فوجه النظر إليها، وأمر بتعليم القراءة والكتابة، ولم يكد القرن الثانى الهجري يحل حتى كان ثمة جهاز تربوي متغلغل فى كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي[2] .

وفى أحضان الإسلام الحنيف، وفى ظل نظريته الاجتماعية، اجتهد المفكرون المسلمون، وأبدع الممارسون التربويون فى الوصول إلى أراء تربوية كانت تتبلور وتطبق على هدى توجيهات الإسلام، وتواجه قضايا العصر فى وحدة متكاملة فى الحياة .

فالدين هو الكل الأوسع والأكبر، وهذه الأنظمة والمؤسسات أجزاء منه، تلتقى كلها لتكون البيئة المتناسقة، والملائمة لنمو الإنسان العقلي والخلقي والوجداني نموا متوازنا متكاملا وموحدا [3].

وللنظام التربوي موقع خاص فى الإسلام، فهو النظام المسئول أكثر من غيره من الأنظمة عن تشكيل حياة الإنسان من المهد إلى اللحد، وهو انعكاس مصغر للإطار الإسلامي الشامل، فهو المسئول عن نمو الإنسان فى العلم والمعرفة وعن توظيفها لسعادته ورفاهيته، وهو المسئول أيضا عن تشكيل شخصيته وتنميتها، وبالتالي عن تشكيل قيمه واتجاهاته نحو نفسه ونحو غيره ونحو الوجود كله، وبذلك نستطيع القول بأن النظام التربوي الإسلامي هو الوجه الإجرائي لنظام الإسلام " وبذلك احتلت التربية الإسلامية فى مجال تعليم الإنسان وتربيته منزلة رفيعة، لعلها لم تبلغ هذا الشأن لدى أى مجتمع من المجتمعات [4] .

وقد شهد التعليم فى ظل الإسلام عدة تطورات هامة، حيث اعتمد فى العصور الإسلامية الأولى على الكتاتيب والمساجد والمكتبات، كمراكز للتعليم والتربية ثم ظهرت المدارس بالتخوم الفارسية (بنيسابور)، وانتشرت فى المنطقة العربية على يد نظام الملك، الوزير السلجوقى، الذى أنشأ المدرسة النظامية فى بغداد، وغيرها من المدارس، وبذلك أزدهرت حركة إنشاء المدارس فى العالم الإسلامي والعربي فى جميع أمصاره على يد الحكام وأهل الخير من المسلمين .

ومما يجب ملاحظته أن هذه المدارس بدأت بالتسلسل التاريخي الآتي:-

بدأت المدرسة بنيسابور حوالي 400 هـ، ثم ظهرت فى بغداد سنة 457 هـ، وبدمشق سنة 491 هـ، وبحلب حوالي 514 هـ، وبالإسكندرية 546 هـ، وبالقاهرة 566 هـ، وبتونس حوالي 647 هـ وبفاس 679 هـ، وبغرناطة سنة 750 هـ [5] .

وهذا التسلسل التاريخي إن دل على شيء فإنما يدل على الوحدة التربوية الإسلامية بين البلاد الإسلامية، فهذه المؤسسة (المدرسة) التي نشأت بالتخوم الفارسية للإسلام الشرقي استغرقت ثلاثة قرون ونصف لتبلغ الأندلس منتهى ثغور الإسلام الغربي بعد أن مرت بالشام ومصر وبلاد البربر[6] .

وظهرت إلى جانب ذلك دور الحكمة فى بغداد والقاهرة، وإلى جانبها ظهرت دور الكتب التى أصبحت مراكز للبحث العلمى والتعليم العالي فى الحياة الإسلامية. فأدى ذلك إلى ازدهار العلوم الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه ولغة وتاريخ. وكذلك العلوم العقلية من طب وهندسية وفلك ورياضيات وفيزياء وكيمياء وجراحة وملاحة وأصبحت البلاد الإسلامية غنية بالعلماء فى مختلف التخصصات أمثال الطبري فى التاريخ والتفسير وابن سينا فى الطب، وابن النفيس فى شرح الدورة الدموية الصغرى، والبيرونى فى علم الفلك، والادريسى فى الجغرافيا، وابن بطوطه فى الرحلات، وابن الهيثم فى الفيزياء والخوارزمي فى الرياضيات [7]. وقد وصل التقدم العلمى ذروته فى البلاد الإسلامية حتى كان فى بغداد لما وصلها المغول (36) مكتبة عامة.

وقد بقيت التجربة التربوية حية فى ظل الإسلام الحنيف، وجاء محاولات الغزو المتكررة لضرب الإسلام فما أن لبثت هذه المحاولات إلا أن تفهمت مغزاه ومضمونه الحضاري. فدخلت فيه واعتنقته كثير من الشعوب الغازية ... فكان ذلك بمثابة برهان جديد على قوته وأعجازه [8] .

إلى أن جاءت أخر محاولات الغزو العسكري من أوربا الصليبية .. وهى المحاولات العديدة المتكررة التى انتهت بفشلها العسكري هذا .. ومعه أمنت بمغزاه الحضاري ولكنها لم تؤمن به كدين تعتنقه .. فحاولت على قرون طويلة أن تستعير ما فيه من قوة دون استعارته هو كدين [9].

ورغم أن الأمة الإسلامية استطاعت مواجهة الغزو الصليبي ثم التتاري وتمكنت من دحر الغزاة وطردهم من بلاد المسلمين، إلا أن ذلك أثر على جسم

الأمة وعلى حضارتها وعلى مؤسساتها التربوية والعلمية. ثم جاء العهد العثماني الذى أولى الشئون العسكرية جل اهتمامه. و لم تلق الناحية الثقافية والتربوية نفس الاهتمام، فادى ذلك إلى مزيد من التراجع الحضاري وبذلك أصبحت البلاد مرة أخرى هدفا للغزو الغربي، ولكنه من نوع جديد، غزو ثقافة وحملات تنصير مركزة من دول الغرب مجتمعة منذ مطلع القرن السابع عشر للميلاد حتى النصف الثانى للقرن التاسع عشر للميلاد، لتزيد جسم الأمة وهنا وحضارتها تراجعا، وتهيئ البلاد الإسلامية على التوالي للاحتلال العسكري المباشر .

ويطلع الربع الأخير للقرن التاسع عشر للميلاد وقد احتلت أجزاء كثيرة من البلاد الإسلامية فى المشرق من أقصاه إلى أدناه، وفى المغرب من أدناه إلى أقصاه فأصبح يدير أمرها حكام من أعدائها فيوجهونها إلى حيث يريدون .

ومن هنا ظهر فى البلدان المحتلة اتجاهان [10] :-

- **الأول**: الذى نادت به فرنسا فى الجزائر بأن تصبح الجزائر أرضا فرنسية يملكها الفرنسيون ويستغلونها، ويحتفظون من سكانها الأصليين بالعدد اللازم لخدمتهم لذلك كان على المستعمر توجيه التربية فى الجزائر إلى أعداد المواطنين لخدمته وتتخذ كافة الوسائل بأن لا يؤهل أبناء أى تأهيل يرفع من شأنهم .

ولما كانت التربية الإسلامية ذات الجذور العميقة فى هذه البلاد تقف عائقا فى سبيل تحقيق غرض المستعمر فقد وجب حربها والقضاء عليها .

وقد استعمل المستعمرون للقضاء على التربية الإسلامية فى البلدان التى خضعت لهذا الاتجاه غالبا أسلوب القهر الذى يبلغ حد تدمير المدارس الإسلامية والمساجد التى هي فى الأصل دور وتعليم، وسجن المدرسين، ونفى الأساتذة ... وهكذا ولعل ما يسمى "بالظهير البربري" الذى صدر فى المغرب تصريح بهذا الاتجاه.

- **الثاني**: يمثله الإنجليز حيث تركوا الأرض لأهلها يستغلونها بجهودهم الخاصة ولكنه يحظر عليهم بيع محصولهم لغير المستعمر وبالسعر الذي يفرضه.

هذا الاتجاه قد ساد في أكثر البلدان التي خضعت لسلطان الإنجليز وكان المفروض إلا يتعرض هذا الاتجاه للتربية الإسلامية لولا أن التربية الإسلامية تقوم في الأصل على مبدأ الكرامة الإنسانية ولا يمكن أن ترضى الكرامة بالهوان .

لذلك أدرك الإنجليز وأمثالهم أن "التربية الإسلامية" أكبر خطر على الاستعمار ولكنهم لم يجابهوها بالعنف والإكراه والقسر بل عمدوا إلى إفسادها من الداخل باسم الإصلاح والتحديث.

وكذلك كان أصحاب هذا الاتجاه أرحب صدرا في أن يتوسع أبناء البلاد المحتلة في التعليم والتكوين على أمل أن يزيد ويتحسن إنتاجهم الذي يرجع في النهاية إلى أيدي المستعمر * .

ولكنهم حرصوا كذلك على ربط التعليم العالي بشكل خاص بالروابط الاستعمارية فلا يكون الا بلغتهم، وفى الغالب في بلادهم مما يتيح لهم أن يتخذوا من يربون وأن يستفيدوا بعد ذلك من فضلهم عليه في تسخيره لتثبيت أقدامهم وتنفيذ مأربهم .

ومع الأيام حدث تمازج بين الاتجاهين واستفاد كل منهم من تجارب الأخر انتهى الأمر إلى الالتقاء على نقاط أساسية تحدد إطار التربية في البلاد المحتلة، ومن هذه النقاط [11] :

1- فرض لغة المستعمر واستعمال كل الوسائل التي تؤدى إلى ضياع لغة البلاد الأصلية .

2- أبعاد التعليم عن الإسلام بتسليمه فى الغالب للجمعيات التبشيرية المسيحية أو للعلمانيين .

(*) قام الاستعمار البريطاني وإذ نابه التوسع فى أنشاء الكتاتيب والمدارس الإلزامية فى مصر ووضعت لهذه المدارس مناهج تتناسب وأهداف ومصلحة المستعمر والمحلفين به . أرجع إلى " M . A Hady , Elementary Education policy in Egypt 1922 - 52 " Unpublished ph . D . Wales Univer . U . K . 1982 .

3- وإذا أقامت الدولة مدرسة ادعت أنها تقاوم التبشير بحرصها على العلمانية واللادينية.

4- ويبقى هدف التربية تخريج صغار الموظفين الذين يساعدون المستعمر على ضبط البلاد دون تقدمها بل إن المستعمر أبتكر أسلحة معنوية جديدة، يستعملها عند الحاجة. ومن أمثلتها :-

1- إثارة النزعة الإقليمية .

2- نشر الفساد واللاأخلاقية باسم التحرر .

3- تشجيع المذاهب الهدامة .

ففي مجال إثارة النزعة الإقليمية فقد وضعت مخططات مدروسة لإثارة النعرات الإقليمية تبدأ من إرسال بعثات التنقيب عن آثار البلد من قبل قيام الدولة الإسلامية لإعطاء مبرر علمي لهذا الاعتزاز الإقليمي، وتأتى التربية وتغرس في لا شعور الطفل شيئا من ذلك عن طريق أناشيد موزونة ملحونة مثل :

مصر مصر •• بلد بر أو مثل سوريا سوريا •• ياحياه الروح

وطن حر •• لبنى الهرم يانجم الثريا •• ثورة يلوح

وترتبط هذه النزعة باللهجات العامية وتشجيعها، وفى بعض الأحيان تبتكر لها حروف للكتابة بها على يد الأجانب المستعمرين أنفسهم كما يبتكرون لها نحوا وصرفا. ولا أدل على ارتباط هذا الاتجاه بالمستعمرين والاستعمار من قيام علماء المستعمرين بهذه الخدمات، ومع ذلك فلا تعدم أن تجد الصلة ظاهرة عند المغلوبين المولعين بالاقتداء بالغالب فقد ظهر فى مصر مثلا أمثال "عثمان جلال" الذى أدخل العامية المصرية على مسرحيات موليير. وكذلك لطفى السيد صاحب مبدأ "مصر للمصريين" والذى نادى بالقومية الفرعونية والابتعاد عن القومية العربية والجامعة الإسلامية [12] .

أما عن السلاح المعنوى الثانى الذى تمثل فى نشر الفساد واللاأخلاقية فقد كان المشرع هو المستعمر نفسه فخطط لسياسة محكمة لتحطيم القيم ونشر الفساد فأصبحت دراسة، الآداب مثلا تهتم بالشعراء اللاأخلاقيين أكثر مما تهتم بالمؤدبين ولم يعد يشترط فى المعلم التقيد بالآداب الشرعية فى مظهره ولا فى مخبره، وأعتبر ذلك تقدما لأنه فيه تحقيقا للحرية الفردية ووجهت الأجيال نحو اعتبار حدود الشرع التى هى سياج الأخلاق. قسوة اجتماعية ليس إلا .

والسلاح المعنوى الثالث الذى استخدمه المستعمر وهو تشجيع المذاهب الهدامة مثل الإباحية والإلحاد والتى كان من نتائجها أن أصبح الكثيرون فى متجمعاتنا يسمون الفضيلة تزمتا، والتقوى رجعية ويصرون على المضي قدما إلى الهوه السحيقة التى تردت فيها الأمة من ضياع الأمانة، وانحلال الجيل .

كل هذا وغيره أدى إلى انحسار التربية الإسلامية واغترابها مكانيا، حيث أصبحت التربية مجرد نقل واقتباس عن الآخرين، دونما نظر إلى مدى ملائمتها للبيئة الأصلية الذاتية، كما وقعت فى غربة زمانية لا تقل خطرا عن الغربة المكانية حيث أنكرت اتصال الأمة بتجربتها الثقافية والتربوية إنكارا جازما، ورفض القائمون على التربية الربط بين الحاضر والماضى رفضا مبدئيا [13] .

وبذلك ساد النظام الغربى البلاد الإسلامية، وظل يركز على الفصل بين الدين والعلم، وجزأ المعرفة، وذلك لأنه نشأ فى حضارة لا يقتضى الذين فيها معرفة عالم الطبيعة – عالم الشهادة – أو معرفة النفس على حقيقتها كأساس لمعرفة التربية، ولا يقتضى الدين فيها توظيف هذه المعرفة كأساس للإيمان أو لترويض النفس [14].

وأشعر هذا النظام طالب العلم المسلم الذى يتخرج فى ظلاله بأن الإسلام ليس سوى واحد من عدة موضوعات مدروسة فى العلم والمعرفة، يتساوى معها وتساويه فى الأهمية، وأشعره بأن ليس للدين سوى مجال واحد من مجالات العلم والمعرفة، وبأن غير الدين من الموضوعات الأخرى له أيضا مجالاته المستقلة والخاصة به فتعود هذا الطالب ألا يتوقع من هذه العلوم والمعارف أجوبة يجيب عنها الدين،

وهكذا وبفضل تجزئة المعرفة فى هذا النظام أنفصل الدين فى ذهنية هذا الطالب عن العلوم والمعارف، وخرجت هذه العلوم والمعارف عن الدين وعزل الدين فى زاوية صغيرة خاصة[15].

بينما شمل معنى العلم كما ورد فى القرآن الكريم معرفة الأشياء على حقيقتها واقتضى هذا المعنى تعلم العلوم الطبيعية لمعرفة آيات الله فى خلقه إلى جانب العلوم الإسلامية الأخرى .

واتسمت العلاقة مع الغرب فى هذه المرحلة بسمة العلاقة التقليدية بين العلم المتفوق والنموذج وبين المتعلم المبتدئ المقلد لصورة معلمه، وهكذا أصبح المتعلم فى بلادنا مقلدا يخضع لتربية استعمارية عنيفة اتخذت لنفسها هدفين: فهى تسعى من جهة إلى هدم النظام التقليدى المعقد للأعداد الحر واقتلاع الثقافة والوعى، كما تقوم من جهة أخرى بإعداد صفوة من الأذناب التابعين، أى إنتاج أفراد يتفقون مع المحتوى الذى يتزودون به عن طيب خاطر [16] .

وبذلك يمكن القول: إن الأهداف فى ظل هذه التربية الاستعمارية كانت ضيقة وغير سليمة فى بواعثها ومقاصدها، فقد قصدت فى بلدان إسلامية عديدة محو الثقافة والقضاء على العقيدة، وصبغ الناشئين بصبغة الثقافة الأجنبية [17] وعلى ذلك أصبحت الأمة فى غربة عن ثقافتها ودينها، حيث دخلت الأفكار الأجنبية بصور متعددة، بحجة أنها السبيل لنهضة الأمة الإسلامية وتقديمها لتتمكن من اللحاق بأمم الغرب، التى بنت تقدمها على أساس أبعاد الدين عن حياتها .

وفى ظل الاحتلال الغربى لبلاد المسلمين، نشأت أنظمة التربية، منقولة عن الأنظمة التربوية فى البلاد الغربية، ونقلت عنها الكثير من خصائص بنيتها ورافق هذا النقل نزعة المحافظة التى رانت عليها، وما ترتب على ذلك من قصورها فى الملائمة لمطالب الحاجات المتجددة فى مجتمعها، فتميزت بخط من الصلابة والتحجر متمثلة فى التقسيم الحاد إلى مراحل، وإقامة الحواجز والفواصل الرأسية التى تقتضى اجتياز امتحانات عامة شكلية، والفواصل الأفقية وبخاصة بين التعليم العام والتعليم

الفنى وبين التعليم المدنى المستحدث والتعليم التقليدى (18).

وهكذا أمسى الغرب متفشيا فى جسد أمتنا، وخضعنا جميعا متعلمين وأميين بالسيف والبارود حينا، وبالتعليم وبالمعرفة العلمية حينا أخر (19).

وقد أدى الخضوع لأنظمة الغرب فى جميع مجالات الحياة عامة، وفى المجال التربوى بشكل خاص ،إلى فقدان هوية الأمة، إذ لم يعد لها هوية خاصة تميزها عن غيرها من الأمم، بل لم تبق أمة واحدة كما كانت فى ظل الإسلام، بل أصبحت أمما وشعوبا مختلفة متناحرة متحاربة كما يريد لها أعداؤها إذ يخططون ويرسمون، والمتربون على فتاتهم من أبناء المسلمين ينفذون، فلقد ارتبطت مصالح الفريقين فى مسار واحد .

القسم الثاني :

الواقع التربوى الحالى فى مجتمعاتنا الإسلامية :

(تحليل ومقترحات)

والآن ... لنتأمل أوضاعنا التربوية فى الوطن العربى الإسلامى ... الواقع أن الدول الإسلامية فى حاجة ماسة إلى إعادة النظر فى نظم التربية والتعليم فيها، وتقييم أوضاعها، رغبة فى حياة تربوية أفضل، وأكثر فاعلية ومواكبة للتقدم العلمى الذى يتسم به عصرنا الحاضر، وعملا بقول قرآننا المجيد " " أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "، وفيما يلى نرى أن نشير كما أشرنا من قبل إلى بعض ما تعانيه المجتمعات الإسلامية من تحديات تربوية وما ينبغى أن نسلكه للقضاء عليها .

1- من حيث بنية التعليم، ونفعه للمجتمعات الإسلامية: يخطئ من يظن أن الإسلام يعنى بالعلوم الدينية والشرعية فحسب، ولكن ديننا الحنيف يدعو إلى البحث والتقصى فى حقائق الكون، وحقائق الأوضاع والظواهر الاجتماعية، وحقائق وظواهر النفس البشرية، فضلا عن انه تنظيم متكامل لحياة البشرية فى أمور دنياهم، كما انه يرسم لهم طريق حياتهم الأخرى .

يقول الله تبارك وتعالى أمرا بالتأمل والتفكير فى خلق السموات والأرض وصولا للحقائق العلمية: ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[20]. ﴿ **أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى**﴾ [21] .

وبالنسبة لمنفعة الإنسان يقول الحق سبحانه ﴿ **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ﴾ [22] .

﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون** ﴾ [23] .

وبالنسبة للنفس الإنسانية يقول سبحانه: ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ [24] ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ [25] .

وبالنسبة للمخلوقات الأخرى وتوجيه النظر إليها يقول تعالى: ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشـــون** ﴾ [26]. ﴿ **أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير** ﴾ [27] .

أليس هذا كله كفيلا بحرص الإسلام على دعوة الإنسانية إلى الأخذ بكافة ألوان العلوم والمعرفة، والتى يطلق عليها فى وقتنا هذا، العلوم الحديثة.

وعلى ذلك، ينبغى أن يطور العالم الإسلامى نظمه التعليمية، فلا يقنع بالعلوم التقليدية، متوازيا وراء ستار الدين، بدعوى أن الدين ينكر التحديث فى المعرفة، فديننا الحنيف يدفعنا إلى التقدم، لأن الله يخلق ما لا نعلم، من أجل هذا ينبغى التخطيط من

أجل تحديث التعليم بدول العالم الإسلامى، فكثير منها لا يزال يستخدم بعض الأساليب التقليدية، والتى تعد مختلفة إذ قيست بمعايير العصر الحاضر.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فأنه لا تزال كفة التعليم النظرى أرجح من كفة التعليم الفنى فى كثير من الدول الإسلامية، وفى هذا تفسير عما دعانا إليه الإسلام من ممارسة العلم بالتطبيق، وامتزاج العلم بالعمل.

2 – من حيث تعليم البنت :–

لعل من أبرز أسباب تخلف تعليم الفتاة المسلمة، القصور فى فهم طبيعة الإسلام والتقاليد الاجتماعية من قبل الآباء، وأولياء الأمور، وفتور فى حماس المسئولين عن هذا التعليم، بالإضافة إلى قلة الموارد المالية المتاحة للتعليم صفة عامة، ثم نظرة كثير من الأسر بعين الرضا إلى تعليم الفتى، وأفضليته على تعليم الفتاة لأسباب اقتصادية، أخرى اجتماعية.

وعلى الرغم من هذا كله فإنه فى السنوات الأخيرة الماضية، يبدو أن النظرة لتعليم الفتاة قد تغيرت أو تعدلت بعض الشىء، حيث شرعت بعض الدول الإسلامية – وبخاصة ذات الامكانيات المالية الكبيرة – فى الاهتمام بتعليم بناتها .

وعلى أية حال، فان الإحصائيات المتتابعة، تشير إلى تدنى نسبة تعليم البنات عند مقارنتها بنسبة تعليم البنين في دول العالم الإسلامي وأنه كلما ارتفعنا بدرجات السلم التعليمي، انخفضت هذه النسبة. ومن أجل هذا كان لزاما علينا التخطيط للتربية في بلادنا الإسلامية، وأن يعاد النظر في السياسة المتبعة في تعليم البنات بها، بحيث تكفل لنجاحه، الإمكانات المادية والبشرية، والتي عن طريقها، يتحقق جانب هام من جوانب المجتمع الإسلامي .

3– من حيث الأمية :

أن نسبة الأمية في مجتمعاتنا الإسلامية ليست قليلة، سواء في قارة أفريقيا أو آسيا، لاسيما وأن معظمها من الدول النامية التي منيت بالاستعمار ولهذا ينبغي أن يعنى التخطيط التربوي بمكافحة أمية المسلمين في مجتمعاتهم المختلفة، على ألا

يقتصر ذلك على الأمية الهجائية أو الجهل بالقراءة والكتابة فحسب، بل يشمل أيضا مكافحة الأسباب بأنواعها، الثقافية، والدينية والصحية، والاقتصادية والسياسية ... إلخ. وكل هذا له أثره على تقدم المجتمعات المسلمة .

4- من حيث إعداد المعلم :

أن الأمة التي تعنى بأعداد معلميها، إنما تعنى بأجيالها، فالمعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية والتربوية، من أجل هذا فأن المسؤولية التربوية الإسلامية، تقتضى المزيد من الاهتمام بالمعلم، من حيث أعداده وتوثيق صلته بمجتمعه المسلم، إلى جانب تزويده المستمر بالجديد من ألوان المعرفة وتدريبه أثناء الخدمة، فطلب العلم للمسلمين عامة وللمعلم خاصة دعانا إليه قرآننا الكريم وديننا الحنيف .

5- من حيث التنسيق والتكامل بين الدول الإسلامية :

من الملاحظ أن دول وطننا العربى الإسلامي مزيج من الدول الغنية والفقيرة، ومن الملاحظ أيضا أن كثافة السكان متفاوتة من بلد لأخر، وفقا لظروف كل منها كذلك بالنسبة للتعليم فأن حالته تتباين من دولة لأخرى. إذ أن بعض الدول العربية الإسلامية أراد لها قدرها أن تخضع نظمها التعليمية - في فترة ما - لبعض المؤثرات التي أبعدتها عن روح الإسلام، وجوهره وهى - في غالبيتها - لأسباب خارجة عن أرادتها، فرضت عليها حقبة من الزمن .

ومن ثم فلا عجب أن نرى في دول العالم الإسلامي، من له اتجاهات تربوية شرقية، ومن له اتجاهات تربوية غربية، ومن له اتجاهات علمانية أو اتجاهات متطرفة إلى غير ذلك من روافد الثقافة المستقدمة من الخارج، والتي تنأى في مضمونها عن طبيعة الإسلام، ومعالم الطريق الذي رسمه للمسلمين .

لذا فإن أوضاعنا الراهنة، تتطلب ضرورة التكامل بينها في تناسق، وتكامل من أجل الوصول بها جميعا إلى حياة كريمة، وإلى مستوى أفضل مما هى عليه كما تقتضى ضرورة الالتحام التربوي النابع من الإسلام، بتعاليمه، وجوهره وروحه والبعيد عن الشطط، أو التقليد الممقوت. وصدق الله العظيم، حيث يقول : " إنما المؤمنون أخوه "، ولكي يتحقق هذا علينا اتباع الآتي :-

1 - تبادل الزيارات الميدانية للمتخصصين في فنون المعرفة، وفروع العلم وضروب الخبرة، للإفادة من خبراتهم ومعلوماتهم .

2 - ينبغي الإفادة من عقد الندوات، والمؤتمرات في الدول الإسلامية، ومدارسه المشكلات التربوية في المجتمعات الإسلامية .

3 - لا بأس من نقل التجارب التربوية الناجحة من دولة مسلمة إلى أخرى .

4 - يجب أن يؤخذ كل ذلك في الاعتبار عند التخطيط .

6- من حيث إدارة التعليم والقيادات التربوية :

نلاحظ أن كثيرا من دولنا الإسلامية، تفتقر إلى الإدارة التعليمية ذات الكفاءة العالية، وبالتالي فإن هذا له أثره على الحياة المدرسية والعملية التعليمية وذلك أنها حتى الآن - تستخدم التنظيمات الإدارية المتبعة منذ سنوات طويلة .

ومن أجل هذا، كان على المجتمعات الإسلامية أن تتوخى أقامه إدارة تربوية واعية، قادرة على توجيه شئون التعليم، وجهه عربية إسلامية، تستطيع أن تخطو به قدما إلى الأمام، ذلك لأن قيادة التعليم، وتوجيه التربية في المجتمع تعتبر من أهم الأمور التي يضطلع بها المسئولون في المجتمعات .

وعلاوة على ذلك، ينبغي وجود تعاون مشترك بين أجهزة التخطيط التربوي، وأجهزة الإحصاء، والأجهزة التنفيذية، عند وضع الخطط التعليمية - في كل دولة إسلامية - أن تتوفر لهذه الأجهزة الإمكانيات البشرية المدربة والإمكانيات المادية، الكافية للقيام بمهامها، فضلا عن توفير القيادات التربوية، الإدارية والإشرافية التي تهيمن على شئون التعليم - بمستوياتها المختلفة - على أن يراعى في إعدادهم، الملائمة الوظيفية المتكاملة للمهام التي توكل إليهم .

7- من حيث المؤتمرات والاجتماعات :

تتعدد المؤتمرات التي تعقد في دول العالم الإسلامي، وتتنوع الندوات والاجتماعات التي تتم فيها من آن لأخر فيما يتعلق بالتربية والتعليم، وكثيرا ما تنتهى هذه المؤتمرات، وتلك الاجتماعات والندوات، بصدور مجموعة من القرارات، أو

طائفة من التوصيات المقترحة، ولاشك، أن فيها جميعا، دراسات مستفيضة .

ولكن، كم من هذه القرارات، وتلك التوصيات جعلتها الدول الإسلامية موضع التنفيذ؟ للأسف أننا نقول مالا نفعل، ونتحمس للقول، ونتخاذل عند العمل، وليس هذا من طبيعة الإسلام في شئ، أن ديننا الحنيف، يدعوننا دائما إلى تأكيد القول السديد بالعمل المتفق .

وصدق جل من قائل: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** ﴾ .

ومن أجل هذا، ينبغي أن تؤخذ القرارات والتوصيات طريقها إلى التنفيذ والمتابعة المستمرة بهدف إصلاح المعوج وتصويب الخطأ، والمضى في طريق التقدم، وإلا غدت هذه المؤتمرات والاجتماعات كالإناء الفارغ أو كالطبل الأجوف، وهذا يبعدنا كثيرا عن طبيعة الإسلام، وجوهره، فخير مسلم من عمل بما علم.

ولهذا، فإن التخطيط للتربية في مجتمعنا الإسلامي ينبغي أن يحرص على ضرورة متابعة المؤتمرات، والاجتماعات، وما تصدره من قرارات وتوصيات، حتى لا تضيع الجهود، وتتهدد، وتذهب مراميها أدراج الرياح وحتى لا تكون المحصلة النهائية، إلقاء التبعة على سؤ التخطيط أو عدم صلاحيته .

- من حيث مناهج التربية الإسلامية في التعليم العام وما في مستواه[28]:

إن نظرة عابرة إلى محتوى مناهج التربية الإسلامية كافية لإدراك مدى قصوره ومن أمثله ذلك ما يلى :

أ - ضيق مفهوم المحتوى واقتصاره على الكتاب المدرسي فلم يعد يؤخذ في الاعتبار داخل المدرسة الأنشطة المختلفة وفعاليتها في هذا الجانب، كالجماعات الدينية، مثل جماعة البر والإحسان وجماعة النظافة، ...الخ وكالأنشطة الإعلامية والمدرسية كالصحف المدرسية والإذاعة والندوات والمسابقات، وكالمناسبات الدينية المتعددة على مدار العام والتي يمكن أن يخطط لها بحيث تصبح جزء من منهج التربية الإسلامية بالمدرسة .

ب- أن دراسة القرآن الكريم وحفظه، تقوم على مسلمة خاطئة هذه المسلمة تقول بالبدء بقصار السور والانتهاء بطولها على اعتبار أن في القصر سهولة وفي الطول صعوبة، وقد يكون العكس صحيحا فيما لو استطعنا أن نحدد مدخلا وأساسا لتدريس هذا الجانب بحيث نبدأ في المرحلة الابتدائية بالمدخل القصصي في دراسة الدين والقرآن والسنة المطهرة. والقرآن ملىء بالقصص وكثير منها لاشك يقرب الدين إلى قلب الطفل، وفي السيرة النبوية وفي سنن الرسول مواقف قصصية كثيرة تحمل بين طياتها عقائد وعبادات وتشريعات يمكن أن تقدم للطفل، بدلا من أن تقدم له قصار السور وكثير منها مجرد يعلوا كثيرا على مستوى أدراك التلميذ في هذه المرحلة، ولا يتوائم مع مستوى إدراكه الحسي الملموس .

ج- عدم وجود ترابط وتكامل بين النصوص التي تدرس في القرآن والحديث وبين المواد الدينية الأخرى من فقه وتوحيد وشريعة .. إلخ، والأجدر أن يؤخذ بمفهوم الوحدة في منهج التربية الإسلامية بحيث يدور محتوى المنهج حول مجموعة من الوحدات تعالج كل وحدة موضوعا دينيا واحدا تدور حوله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومواقف الرسول ومواقف من سير الصحابة، كما تستنبط من داخله في نفس الوقت العقائد والعبادات والمعاملات ... الخ .

د- ازدحام الكتب وتكدسها بالنصوص والموضوعات والمعلومات والمعارف، والالتزام كثير منها في الشرح والتفسير بلغة الكتب الدينية القديمة، تلك اللغة الصعبة الغريبة على تلاميذنا، وهذا مما يجعل الشرح والتفسير في كثير من الأحيان أكثر غموضا من النصوص ذاتها .

ومن الجوانب التي ينبغي أن يوجه إليها الاهتمام لإنجاح منهج التربية الإسلامية ما يلى :

- أن تحدد أهداف التربية الإسلامية في كل مرحلة تعليمية بما يتناسب مع المستويات العمرية واللغوية والإدراكية والحاجات النفسية والاجتماعية ووظائف الدين في كل مرحلة .

- أن ينظر إلى مناهج التربية الإسلامية نظرة أوسع من كونها نصوص القرآن أو الحديث أو غير ذلك، والعمل على تناولها بشكل يترجمها إلى حياة ومعاملة وسلوك وتغير في بناء البشر نحو الأفضل لسعادة الفرد والمجتمع .
- أن تتعدى طرق التدريس المحاضرة والمناقشة إلى القدوة والمشاركة والإثابة والعقوبة، وضرب الأمثال والحث والموعظة الحسنة ... الخ هذه الأساليب تؤدى إلى أن يصبح السلوك الديني عادة عند الفرد يدفعه إليها شعور عميق بالإيمان وإحساس واعي بالعقيدة الإسلامية .
- أن يخصص للتربية الإسلامية درجات أكبر في عملية التقويم وإلا يؤخذ بأي نوع من التساهل أو التجاوز .
- أن تجرى بحوث حول أهداف التربية الإسلامية لكل مرحلة ومناهجها وكتبها، وطرق تدريسها، وكيفية وسائل تقويمها، وإعداد معلمها .
- أن تجرى البحوث النفسية والتربوية التي تتناول مراحل العمر المختلفة، والتي يمكن في ضوئها تقديم الدين معرفة وسلوكا بشكل يتمشى وطبيعة المرحلة العمرية والعقلية والنفسية والاجتماعية .
- أن تشترك المؤسسات والهيئات والجماعات والمنظمات المعنية بالتربية الإسلامية في عقد الندوات والمؤتمرات وأجراء البحوث والدراسات وتأليف الكتب بما يؤدى إلى أفضل السبل للتربية الدينية السلوكية الصحيحة .
- أن ينشأ مركز أو إدارة لتطوير مناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية وأن يتبع هذا المركز أو هذه الإدارة إحدى الجهات المعنية بالميدان الديني والتربوي في العالم الإسلامى كالمنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم أو رابطة العالم الإسلامى أو غيرها أن وجد .
- توصية بلدان العالم الإسلامى بإيجاد صيغة مناسبة تجعل النـــزعات القومية دوافع للتنافس في خدمة الإسلام، على أن يكون منهج التربية الإسلامية أحد الوسائل لتنفيذ هذه التوصية .

9- من حيث وسائل التثقيف والإعلام :

تلعب وسائل التثقيف العام، ووسائل الإعلام في المجتمع، دورا كبيرا في توجيه عامة الناس، وجماهير الشعوب، ووسائل الإعلام أكثر تأثيرا في المجتمع وتتميز بقدرتها المتعددة، ولذلك كان لها دورا كبيرا في توجيه أبنائنا وتهيئة الأجواء الصالحة التي تتفتح فيها ملكاتهم وتنضج مواهبهم، وتضع أقدامهم على أرض صلبة بالعلم والإيمان .

وسواء أكانت وسائل الإعلام مقروءة أو مسموعة أو مرئية فإنها جميعها مسئولة عن أبنائنا وشبابنا بقدر كبير لا يقل في خطورته عن دور البيت أو المدرسة أن لم يكن أكثر.

فالانطباع الذي ينعكس على أبنائنا من البرامج الإذاعية المرئية يترك تأثيره عليهم سلبا أو إيجابا حسب مادة البرامج والإعداد والهدف منه .

وكم كان لبعض المسلسلات التي قدمت للمشاهدين أثار مدمرة على بعض شبابنا من طلاب المدارس فقاموا بتقليد حوادثها في عمليات سطو وسرقة ضبطت وقتها واعترفوا بتأثير المسلسل عليهم. كما أن تجسيم الصحف للجرائم التي تقع والمبالغة في ذكر تفاصيلها وكيف وقعت، يؤثر على النفوس الضعيفة التي تستهويها المغامرات الشريرة فتنطلق في محاكاتها [29] .

ومن هنا، كان من مسئوليات الحكومات الإسلامية الأشراف والرقابة على ما يوجد بمجتمعاتها من وسائل التثقيف وأجهزة الإعلام، ومتابعة تقويم ما تقدمه من برامج ومواد إعلامية ... مستهدفة من ذلك، سلامة عقيدة المسلمين، وحسن توجيههم، وإلا تتركهم يتعلمون ما يضرهم، ولا ينفعهم .[30]

الخـــاتمـــة

إن أمتنا في حاجة إلى عودة للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة بحيث تصبح فلسفة الإسلام هي فلسفة حياتها، عنها تنبثق أنظمة الحياة فتعود للإنسان وظيفته في عمارة الأرض بشرع من الله وهداه، وتعود للمعرفة منابعها الصافية، تسقى أصولها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتفتح المجال أمام أبناء الأمة للإبداع في مختلف جوانب العلم وتكون تربيتها الصورة العملية للإسلام، فالإسلام هو التربية، بالمنهج الرباني ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ .

الهـوامـش

1 – محمود السيد محمود سلطان، المجلة العربية للتربية "النظرية التربوية في الإسلام" المجلد الثالث، العدد الأول، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية 1983م .

2 – أحمد فؤاد الأهوانى، التربية في الإسلام، القاهرة، 1986م .

3 – على عيسى عثمان، مجلة الفكر العربى، " النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية واستبداله بنظام إسلامي " السنة الثانية، العدد 21، ص 280، معهد الإنماء العربى، بيروت .

4 – عبد الله عبد الدايم، المؤتمر الثاني للوزراء المسئولين عن التعليم العالي في الوطن العربى، 20 – 23 أكتوبر 1983م "جذور الاتجاهات الجديدة في ميدان التعليم العالي في التراث العربى الإسلامي" المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: إدارة التربية 1983 م، ص 5 .

5 – محمد احمد عبد الهادى، المربى والتربية الإسلامية جده 1983 م، ص54 .

6 – المرجع السابق، ص 54 – 55 .

7 – المرجع السابق، ص 69 – 75 .

8 – محمود السيد محمد سلطان، المرجع السابق .

9 – المرجع السابق .

10– محمد خير عرقسوس، آراء عن واقع التعليم في العالم الإسلامي خلال القرن الرابع عشر الهجرى، بحث مقدم لندوة أسس التربية الإسلامية المنعقدة من 11 – 16، 69 / 1400 هـ، مكة المكرمة .

11– المرجع السابق .

12– يسرا الأسمر " رسالة دكتوراه عن مساوئ أحوال التعليم الأولى في مصر قبل قيام الثورة، مجلة الرسالة الكويتية، العدد 959، أكتوبر 1981 م .

13– عبد الله عبد الدايم، المرجع السابق، 1983، ص 1 .

14- على عيسى عثمان، المرجع السابق، 1981 م، ص 284 .
15- المرجع السابق، ص 283 .
16- سمير أمين، مجلة مستقبل التربية، " أية تربية لأية تنمية " 5 : 1، 1975، ص 49 - 50 .
17- اليكسو، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إستراتيجية تطوير التربية العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة - تونس 1977، ص 97 .
18- اليكسو، المرجع السابق، 1979، ص 156 - 157 .
19- هيام المولى، مجلة الفكر العربى، "طبيعة العلاقة بين العالم والمتعلم في نماذج من الفكر التربوي الإسلامي" السنة الثالثة العدد 21 عام 1981 ص 29 .
20 - سورة آل عمران، الآية 190 - 191 .
21 - سورة الروم، الآية 8 .
22 - سورة النحل، الآية 14 .
23 - سورة النحل، الآية 67 .
24 - سورة الطارق، الآية 5 .
25 - سورة النحل، الآية 78 .
26 - سورة النحل، الآية 68 .
27 - سورة الملك، الآية 19 .
28 - محمود كامل الناقة، " نظرة في مناهج التربية الإسلامية بالتعليم العام " بحث مقدم الندوة أسس التربية الإسلامية، المنعقدة بين 11 - 16 / 6 / 1400هـ مكة المكرمة .
29 - محمد عبد العزيز شبانة، مجلة الأزهر، الجزء الثاني، السنة الحادية والستون، صفر 1409 هـ موضوع " مسئولية المدرسة والإعلام نحو أبنائنا " .
30 - المرجع السابق .

المـــراجـــع

1 – القرآن الكريم .

2 – احمد فؤاد الهوانى، التربية في الإسلام، القاهرة 1968م .

3 – اليكسو، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، جامعة الدول العربية القاهرة – تونس 1977 .

4 – سمير أمين، مجلة مستقبل التربية، 1975 .

5 – عبد الله عبد الدايم، المؤتمر الثاني للوزراء المسئولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربى، 20 – 23 / 10 / 1983م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1983م إدارة التربية .

6 – على عيسى عثمان، مجلة الفكر العربى، السنة الثانية، العدد 21، معهد الإنماء العربى، بيروت .

7 – محمد احمد عبد الهادى، المربى والتربية الإسلامية، جدة، 1983م .

8 – محمد خير عرقسوس، آراء عن واقع التعليم في العالم الإسلامي خلال القرن 14 الهجرى، بحث مقدم لندوة أسس التربية الإسلامية، المنعقدة بين 11 – 16 / 1400 هـــ، مكة المكرمة.

9 – محمود السيد محمود سلطان، المجلة العربية للتربية، " النظرية التربوية في الإسلام " المجلد 3، العدد 1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، تونس 1983 .

10– محمد عبد العزيز شبانه، مجلة الأزهر، الجزء الثاني، السنة 61، صفر 1409 .

11– محمود كامل الناقة، نظرة في مناهج التربية الإسلامية بالتعليم العام ،بحث مقدم لندوة أسس التربية الإسلامية بين 11 – 16 / 6 / 1400 هـ مكة المكرمة.

12- هيام المولى، مجلة الفكر العربى، السنة الثالثة، العدد 21، 1981 .

13- يسرا الأسمر، رسالة دكتوراه عن مساوئ أحوال التعليم الأول في مصر قبل الثورة، مجلة الرسالة الكويتية، العدد 909، أكتوبر 1981 .

14- M .A .Hady , " Elementary Education Policy in Egypt 1922 – 25 " Unpulished ph .D .wales Univer .U .K .1982 .

التبقع البكتيري على الطماطم بمنطقة الجبل الأخضر - ليبيا

- د. عز الدين العوامي - د. فتحي المسماري
  - ❖ قسم وقاية النبات، كلية الزراعة
  - ❖ جامعة عمر المختار
  - ❖ البيضاء، ليبيا
- د. عوض عبد الرحيم
  - ❖ قسم وقاية المحاصيل، كلية الزراعة
  - ❖ جامعة الخرطوم
  - ❖ شمبات ، السودان

ملخص

ينتشر مرض التبقع البكتيرى على الطماطم في معظم مناطق الإنتاج بالجبل الأخضر، ويوجد في الزراعة الحقلية والمحمية. هذا وأظهرت نتائج العزل من النباتات المصابة كما أكدت تجارب فرط الحساسية والقدرة الامراضية وكذلك الاختبارات المزرعية والمجهرية والكيموايحائية التي أجريت على العزلات البكتيرية إن الكائن المسبب لهذا المرض هو البكتيريا Xanthomanas campestris pv. vesictoria. أوضحت نتائج تقويم حساسية أصناف مختلفة من الطماطم إن هناك اختلاف كبير في قابلية تلك الأصناف للإصابة، حيث كان الصنفان Rio – Grande و Rome VF – أكثر قابلية للإصابة في حين كأن النصف Marmande مقاوما .

اتضح كذلك من تلك الدراسة إن المقاومة تزداد مع تقدم عمر النبات حيث ظهرت على الأوراق كبيرة العمر تبقعات صغيرة وقليلة وتطورت الأعراض فيها ببطيء مقارنة بالأوراق صغيرة العمر. أما الثمار غير الناضجة الخضراء فقد كانت أكثر قابلية للإصابة في كلا الصنفين الحساس والمقاوم بينما لم تظهر أي أعراض مرضية على الثمار الحمراء كاملة النضج .

المقدمـــــــة

تعتبر الطماطم (Lycopersicum esculentum , Mill) من أهم محاصيل الخضر الاقتصادية والغذائية في كل دول العالم ومن أسمائها الأخرى الشائعة في الدول العربية، البندورة [2]. ويعتقد إن نبات الطماطم المتداول زراعته حاليا ترجع نشأته إلى سلالات الصنف Esculentum var. Cerasiforme .L ذات الثمار الصغيرة والذي ينمو بحالة برية في أمريكا الجنوبية [3].

تزرع الطماطم بالجماهيرية في المناطق الساحلية وسبها وبعض الواحات [1]، كما تعتبر منطقة الجبل الأخضر من بين أهم المناطق الزراعية بليبيا التي تزرع بمحصول الطماطم. من بين أهم الأمراض البكتيرية التي يتعرض لها هذا المحصول، مرض التبقع المتسبب عن البكتيرياXanthomonascampestris pv .vesicatoria والذي يصيب الفلفل أيضا.

وتعتبر الدراسات التي قام Gardner & Kendrick (12،11)، من أول الدراسات الشاملة عن تصنيف الكائن الممرض. وتمت دراسة الخصائص الشكلية (المظهرية) والفسيولوجية لهذه البكتيريا في دراسات أخرى كذلك (6. 16) .

تختلف قابلية نباتات الطماطم للإصابة بالبكتريا X. Campestris pv.vesicatoria باختلاف عمر النبات، حيث تزداد المقاومة مع تقدم عمر النبات (13، 21)، كما أثبتت بعض الدراسات أن هناك أصناف مقاومة للمرض (17، 20). وقد أشار بعض الباحثين (2، 3) إلي أن إصابة الثمار قد تكون اكثر حالات الإصابة ضررا للمحصول كما أكد iraly وآخرون [16] أن الثمار الخضراء غير الناضجة كانت اكثر تعرضا للإصابة من غيرها و لم تحدث أي إصابة علي الثمار الحمراء كاملة النضج.

أظهرت الاختبارات الأولية التي قمنا بها أن التبقع الذي يحدث علي نباتات

الطماطم وثمارها تسببه بكتيريا. وقد هدفت هذه الدراسة عزل وتوصيف تلك البكتيريا والتعرف علي مدي تأثير المرض علي أطوار وأجزاء مختلفة من النبات. وشملت الدراسة كذلك تقويم حساسية أصناف من الطماطم للإصابة .

مواد وطرق البحث

جمعت عينات مصابة من ثمار وأجزاء خضرية لنباتات طماطم تظهر عليها أعراض التبقع واللفحة من مواقع مختلفة بمنطقة الجبل الأخضر في ليبيا وذلك خلال عامى 1993 - 1994 بغية عزل ودراسة الكائن الممرض. تم غسل الأجزاء المصابة بالماء ثم قطعت الى قطع صغيرة وعقمت سطحيا بغمرها في محلول الكلوركس المخفف قبل هرسها في هون يحتوى سائل ببتون (0.5%) معقم. بوساطة إبرة تلقيح معقمة بالتلهيب جرى تخطيط المعلق على أطباق بتري تحوى مستنبت الاجار المغذى. وحضنت الأطباق على درجة حرارة 28م لمدة 48 ساعة ثم نقلت الى مستعمرات منفردة على نفس المستنبت .

ولتحضير اللقاح المعدي نميت العزلات البكتيرية المتحصل عليها على مستنبت المرق المغذى لمدة 48 ساعة على درجة حرارة 28م. وجمعت الخلايا وغسلت جيدا بماء مقطر معقم عن طريق جهاز الطرد المركزي ثم ضبط اللقاح على تركيز 1.5×10^8 خلية / مل وذلك بناء على منحنى قياسي للنمو البكتيرى مع درجات التعكير. استخدم هذا اللقاح في حقن أوراق نباتات تبلغ عمرها شهر واحد لاختبار تفاعل فرط الحساسية كما حقنت أوراق نباتات طماطم بنفس العمر لاختبار القدرة الامراضية للعزلات التي أحدثت تفاعل فرط الحساسية .

وتمت دراسة الخصائص الشكلية (المظهرية - المورفولوجية) والفسيولوجية للعزلات التي أثبتت قدرتها على إصابة نباتات الطماطم .

وشملت تلك الاختبارات دراسة شكل الخلايا وترتيبها، اختبار صبغة جرام، الكشف عن المحفظة، اختبار الحركة، تكوين الابواغ الداخلية وذلك باستخدام الطرائق التي وصفها كل من Norris & Ribbons [22] وKiraly وأخرون [16]. اما

الاختبارات الفسيولوجية فقد تضمنت تمييع الجلاتين، حل النشا، انتاج الليفان [19] واختزال النترات، انتاج أنزيم الكتاليز والاندول وغاز كبريتيد الهيدروجين، تكوين مواد مختزلة من السكروز، تحليل الكازين وانتاج انزيم الديهيدروجينيز (7، 9). كما تم دراسة نمو العزلات وانتاج الحامض والغاز في المزرعة وذلك في مستنبت يحوى مواد كربونية وكربوهيدراتية مختلفة، كما اختبرت قدرة العزلات على استخدام أحماض امينية ومواد نيتروجينية باتباع الطرق التي ذكرها Abdel - Rahim & Adam [4، 5].

وتناولت الدراسة كذلك تقويم قابلية ثمانية أصناف من الطماطم واختبار المدى العوائلى للعزلات البكتيرية واختبار حساسية أطوار مختلفة من نباتات الطماطم للإصابة. نميت بذور النباتات المختلفة في أصص بلاستيكية ارتفاعها 30 سم وقطرها 22 سم مليئة بخلطة ترابية رملية (1: 1) معقمة عن طريق جهاز تعقيم التربة. زرعت الأصص بواقع 5 بذور لكل أصيص ووضعت على درجة حرارة 25 - 28 م في الدفيئة الزجاجية الملحقة بجامعة عمر المختار بالبيضاء.

ورشت النباتات باللقاح البكتيرى وبواقع ثلاثة مكررات لكل معاملة، علما بأن النباتات قد غطت بأكياس بلاستيكية قبل 24 ساعة من إجراء العدوى ولنفس الفترة من الزمن بعد العدوى وذلك لتهيئتها وتركت في الدفيئة الزجاجية .

وتم تقويم حساسية ثمار الطماطم للإصابة بالبكتيريا باختبار ثلاثة أطوار مختلفة، ثمار غير ناضجة خضراء، ثمار متوسطة النضج خضراء محمرة وثمار كاملة النضج شديدة الحمرة. وضعت نقاط من اللقاح البكتيرى على الثمار بعد تعقيمها سطحيا بالكلوركس المخفف وغسلها جيدا بالماء المقطر المعقم. استخدمت ثمار لصنف مقاوم وأخر قابل للإصابة وشملت كل معاملة ثلاثة مكررات ووضعت الثمار المعاملة على درجة رطوبة عالية ودرجة حرارة 2±28م وجرى فحصها دوريا .

النتائج والمناقشة :

أعطت العزلات البكتيرية على مستنبت الآجار المغذى مستعمرات تتميز باللون الأصفر اللامع، ناعمة قليلا، دائرية إلا أنها بطيئة النمو. أما على مستنبت الآجار المغذى المضاف إليه 1% دكستروز فقد كان النمو أسرع قليلا وأكثر لزوجة. بينما كانت المستعمرات النامية على المستنبت التخصصي D5 [15] من الناحية الأخرى، دائرية الى متطاولة، صفراء اللون ذات لزوجة واضحة ومتوسط النمو. أما على مستنبت الآجار والخميرة والدكستروز وكربونات الكالسيوم (GYCA) فقد تميز النمو بالسرعة حيث تداخلت المستعمرات في بعضها وأفرزت كميات كبيرة من المواد الهلامية اللزجة. هذا وكانت المستعمرات على أقراص البطاطس (Potato Plugs) صفراء ذات لزوجة واضحة وأصبحت أنسجة أقراص البطاطس طرية ومصفرة .

وأظهرت نتائج دراسة الخواص العامة للعزلات البكتيرية المختبرة أن خلاياها عصوية، سالبة لصبغة جرام، متحركة، لها محفظة ولا تكون أبوغ داخلية (جدول1). كما أشارت نتائج الاختبارات الفسيولوجية (جدول2)

إن جميع العزلات كانت موجبة لاختبار تحلل النشا، وتمييع الجيلاتين وانتاج انزيم الكاتليز في حين كانت سالبة لاختبارات الاوكسيديز وتحلل اليوريا واختزال النترات وانتاج الاندول وأكسدة لاكتات الكالسيوم وتكوين الليفان. كما أظهرت درجات متباينة لاختبار إنتاج غاز كبريتيد الهيدروجين من سائل البيتون حيث كانت العزلات DO11 , W012 , B033 ضعيفة في حين أظهرت باقي العزلات إيجابية ملحوظة .

جدول (1) بعض الخواص العامة للخلايا البكتيرية في العزلات المختلفة

العزلات البكتيرية / الخواص العامة		Mo.13	Mo.19	Mo.22	Mo.24	Bo.22	Bo.33	Wo.12	Do.11	Do.44	To.11	To.22	To.33
شكل الخلايا		عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية	عصوية
ترتيب الخلايا		سلاسل وثنائيات	مفردة وثنائيات	سلاسل وثنائيات	سلاسل وثنائيات	سلاسل	مفردة وثنائيات	سلاسل وثنائيات		سلاسل وثنائيات	سلاسل وثنائيات	سلاسل وثنائيات	سلاسل وثنائيات
صبغة جرام		−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−
حركة البكتيريا		±	+	+	+	±	+	±	+	+	+	+	+
تكوين الجراثيم		−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
صبغ الكبسولة		+	+	+	+	+	±	+	±	+	+	+	+

+ : إيجابية الاختبار − : سالبة ± : متوسطة إلى ضعيفة

جدول (2) الاختبارات الفسيولوجية والكيمو حيوية للعزلات المختلفة

الأختبارات الفسيولوجية	العزلات البكتيرية المختلفة											
والكيموحيوية	Mo.13	Mo.19	Mo.22	Mo.24	Bo.22	Bo.33	Wo.12	Do.11	Do.44	To.11	To.22	To.33
تحلل النشا	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
تمييع الجيلاتين	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
الكتاليز	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
انتاج الاندول	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
تكوين الليفان	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
تكوين مواد مختزلة من السكروز	−	−	+	−	−	+	+	−	+	+	+	+
انتاج كبريتيد الهيدروجين	+	+	+	+	+	±	±	±	+	+	+	+
أكسدة لاكتات الكالسيوم	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
تحلل الكازين	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
تحلل اليوريا	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
اختزال النترات	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
انتاج انزيم	−	−	−	±	−	−	−	±	−	−	−	−
الداى هيدروجينيز												
اختبار الاوكسيديز	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−

+ : إيجابية الاختبار　　− : سالبة الاختبار　　± : متوسطة إلى ضعيفة

ويوضح الجدول (3) نتائج استخدام المواد السكرية كمصادر للكربون بوساطة العزلات. أظهرت العزلات نشاطاً كبيراً حيث استخدمت وانتجت الحامض وليس الغاز من 12 مادة من بين 19 مادة تم اختبارها. وفشلت العزلات فى استخدام مواد الرامنوز (Rhamnose)، ساليسين (Salicin) مانيتول (Manitol)، سوربيتول (Sorbitol)، أدونيتول (Adonitol)، مولين (Mulin) وتريهالوز (Trihalose). أما فيما يتعلق باستخدام الأحماض الأمينية والمواد النيتروجينية (جدول 4) فنجد أن العزلات لم تعطى نتائج موجبة الا مع 5 مواد من بين 14 مادة تم اختبارها.جميع هذه النتائج تطابق تلك التي ذكرها كل من - Abdel Rahim & Adam (5)، Bradbury (16) وLelliott & Stead (19) للأنماط المرضية المصنفة تحت النوع Xanthomonas campestris وبوسطة Gardner & Kendrick (11) وKiraly واخرون (16) للبكتيريا X. campestris pv. vesicatoria المسببة لمرض التبقع على الطماطم، كما تأكد ذلك أيضا من نتائج اختبار القدرة الأمراضية حيث تطورت الأعراض المرضية (شكل 1) بتسلسل يماثل التطور النموذجى لأعراض مرض التبقع البكتيرى على الطماطم (6، 16، 19، 21).

جدول (3) استخدام السكريات وبعض المركبات الكربونية الأخرى كمصدر للكربون وإنتاج الحامض منها

السكريات والمركبات الكربونية الاخرى	Mo.13	Mo.19	Mo.22	Mo.24	Bo.22	Bo.33	Wo.12	Do.11	Do.44	To.11	To.22	To.33
جلوكوز Glucose	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
جالاكتوز Galactose	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
فركتوز Fructose	+	+	+	+	±	+	+	+	+	+	+	+
مانوز Mannose	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
أرابينوز Arabinose	+	±	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
سكروز Succharosr	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
لاكتوز Lactose	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
مالتوز Maltse	+	+	+	+	−	+	+	+	+	+	+	+
رامنوز Rhamnose	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
رافينوز Raffinose	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
سيليبيوز Cellobiose	+	+	+	+	+	±	+	+	+	+	+	+
تريهالوز Trehalose	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
جليسرين Glycerin	+	+	±	+	+	+	+	+	+	+	+	+
سالبسين Salicin	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
نشا Starch	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
مانيتول Manitol	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
أدونيتول Adonitol	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
سوربيتول Sorbitol	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
مولين Muline	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−

+ : إيجابية الاختيار ± : متوسطة إلى ضعيفة − : سالبة الاختبار

جدول (4) استخدام الأحماض الامينية بواسطة العزلات البكتيرية المختلفة

الأحماض الأمينية		Mo.13	Mo.19	Mo.22	Mo.24	Bo.22	Bo.33	Wo.12	Do.11	Do.44	To.11	To.22	To.33
جلوياتك	Glutamic	±	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
ميثيونين	Methionine	+	+	+	+	+	±	+	+	+	+	+	+
أسبارتك	Asparartic	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
جلوتامين	Glutamine	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
برولين	Proline	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
جلايسين	Glycine	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
أسبارجين	Asparagin	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
أرجنين	Arginin	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
ثريونين	Threoine	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
سيستين	Cystine	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
هستدين	Histidine	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
تربيتوفان	Tryptophan	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
ألانـــين	Alanein	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+

+ : تستخدم الحامض الأميني　　− : ضعيفة في استخدام الحامض الأميني　　± : لاستخدام الحامض الأميني

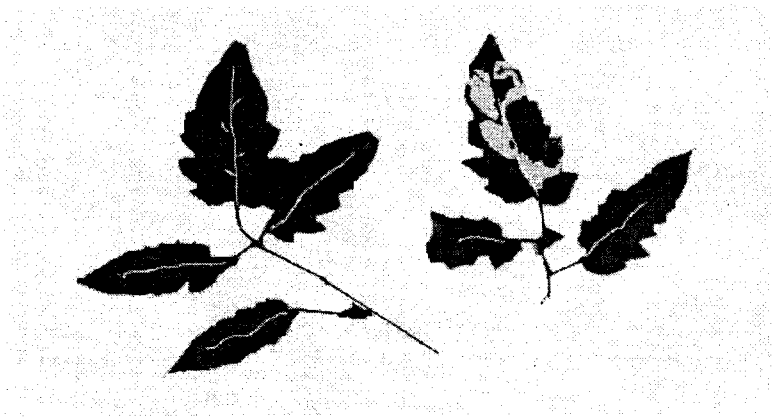

شكل رقم (1) أعراض مرض التبقع البكتيرى على أوراق الطماطم المحقونة بالبكتيريا X.campestris pv. vesicatoria (على اليمين) مع معاملة المقارنة المحقونة بالماء المعقم (على اليسار)

تم اختبار تقويم مقاومة أصناف الطماطم للإصابة بالبكتيريا بتلقيحها بأربعة من العزلات (Bo33 , Mo22 , Wo12 , Do11). وسجلت النتائج بناءً على مقياس افتراضي تدرج من 0 غير مصاب إلى 5 شديدة الإصابة (شكل 2). وأظهر التحليل الإحصائي للنتائج أنه لا توجد فروق معنوية بين تأثير العزلات المختلفة في حين وجدت فروق معنوية كبيرة في درجة مقاومة الأصناف للإصابة. وكانت للأصناف Rio - Grande وRoma VF قابلية عالية للإصابة بينما أظهر الصنف Marmande درجة عالية من المقاومة، هذا وكانت الأصناف الأخرى متوسطة في حساسيتها للإصابة. لقد أكدت بعض الدراسات أن هناك أصناف من الطماطم لها القدرة على مقاومة الإصابة بالبكتيريا X. campestris pv. vesicatoria حيث يعتبر الصنف Hawaii 7998 مقاوماً تحت الظروف السائدة بولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية [17]. ولكن أتضح أن المقاومة تختلف من مكان لأخر ومن منطقة لأخرى [20، 28].

شكل رقم (2) قابلية أصناف الطماطم للأصابة بأربعة عزلات مختلفة من البكتيريا X . campestris pv. vesicatoria

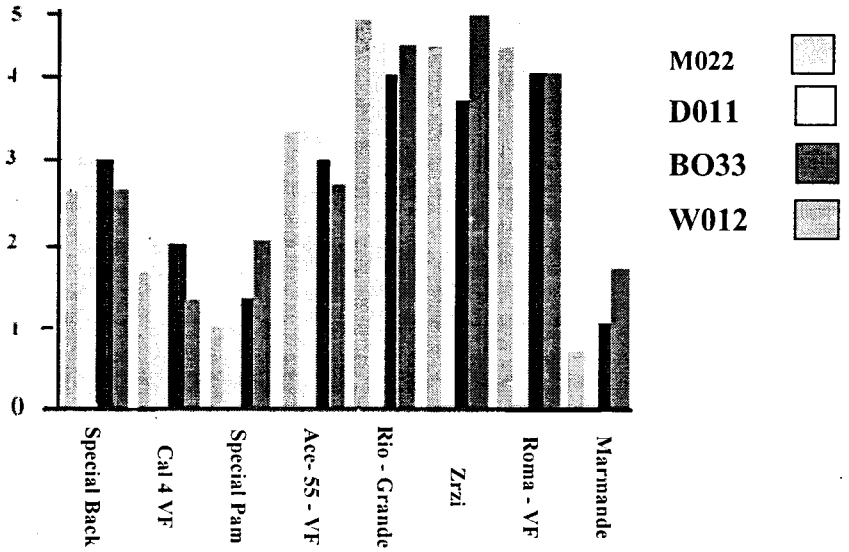

تم استخدام العزلات البكتيرية وأصناف الطماطم المذكورة أعلاه في اختبار حساسية أعمار مختلفة من نباتات الطماطم للإصابة. وأكدت النتائج (شكل 3) أن المقاومة تزداد مع تقدم عمر النبات وعلى وجه الخصوص بعد 30 يوماً وأن أوراق النبات السفلي (الكبيرة) كانت أكثر مقاومة من العليا. هذا وكانت نباتات الصنف Rio - Grande بعمر 15 و20 يوماً أكثر قابلية للإصابة في حين كانت نباتات الصنف Marmande بعمر 60 يوم أكثر مقاومة. لوحظت ظاهرة زيادة المقاومة في نباتات الطماطم للإصابة بالبكتيريا X. CAMPESTRIS PV. VESICATORIA من قبل بوساطة Hartman وأخرون [13]. ولاحظ Nayudu & Walker [21] و Kumar & Prasad [17] أن الأوراق الكبيرة العمر تظهر عليها تبقعات صغيرة وقليلة كما أن الأعراض تتطور ببطيء. هذه الظاهرة ولوحظت أيضا في علاقات مرضية أخرى، في القطن مع البكتيريا x. campestris pv. malvacearum [18] وفى الفاصوليا مع البكتيريا P.syringae pv. Phaseolicola [27] وفى السمسم مع البكتيريا X. Campestris pv. sesami [25].

شكل رقم (3) قابلية أعمار مختلفة من نباتات بعض أصناف الطماطم للإصابة البكتيريا X . campestris pv. vesicatoria

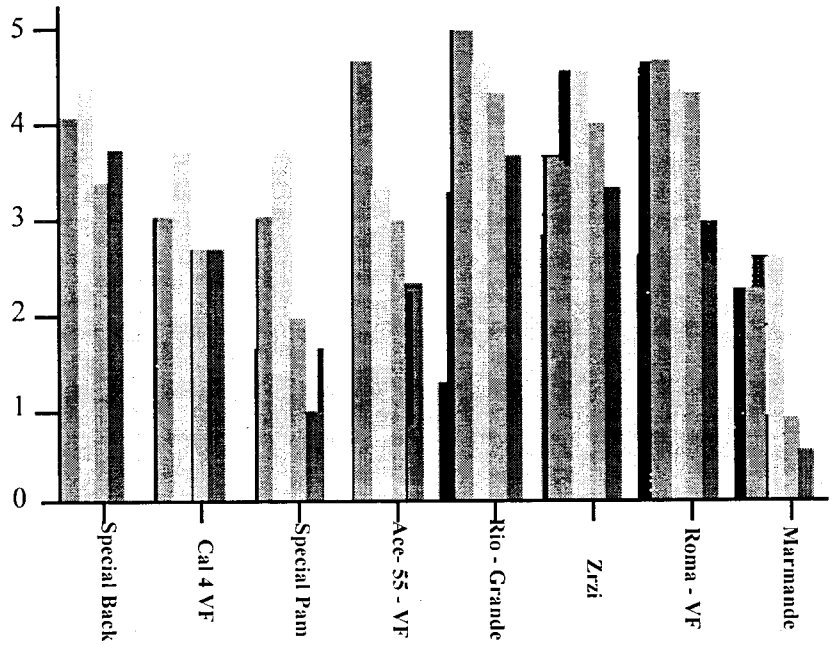

توضح نتائج اختبار قابلية الثمار للإصابة المدونة بالشكل (4) أن الثمار غير الناضجة كانت أكثر أصابة من غيرها في كلا الصنفين بينما لم تحدث إصابة على الثمار الكاملة النضج الشديدة الحمرة. تتفق هذه النتائج مع تلك التى ذكرها كل من جرجس وعيسى [2] وحسن [3]. أصابة الثمار الخضراء استمرت في التكشف حتى بعد نضج تلك الثمار كما ظهر عليها بعض التشقق مما جعلها أكثر عرضة للإصابة بالكائنات المسببة للعفن. هذا وتعتبر إصابة الثمار أشد مراحل المرض ضراراً للمحصول من الناحية الاقتصادية .

وأكد Scott وأخرون [24] أن نظام الجينات الذي يتحكم في مقاومة أصابة الأوراق يختلف عن ذلك الذي يتحكم في مقاومة الثمار فقد وجد أن ثمار الصنف Hawaii 7998 المقاوم لإصابة الأوراق أكثر قابلية للإصابة من ثمار الصنف PI

270243 القابل لإصابة الأوراق (24) .

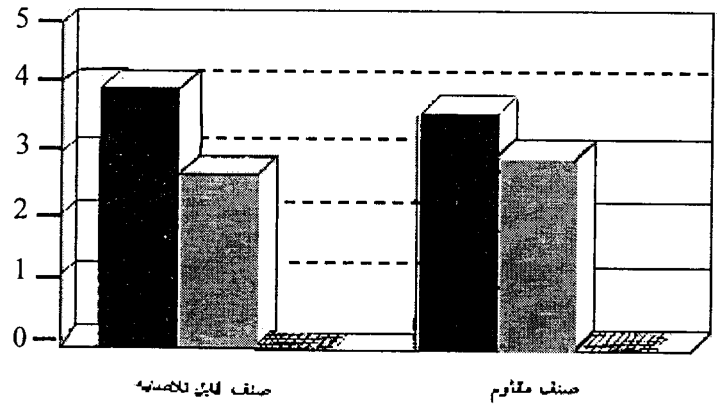

المراجع والمصادر

أولاً : المراجع العربية

1 - أبو غنية، ع. (1986). أمراض المحاصيل البستانية. منشورات جامعة الفتح - طرابلس، الجماهيرية .

2 - جرجس، ع. وعيسى، م. 1990. أمراض البندورة. دراسات المعمارية والبيئية - حمص، سوريا .

3 - حسن، أحمد عبد المنعم، 1991. الطماطم - سلسلة العلم والممارسة فى المحاصيل الزراعية، الطبعة الثانية. الدار العربية للنشر والتوزيع - القاهرة، مصر .

ثانياً : المراجع الأجنبية

4 - Abdel - Rahim , A. M. and F. S. Adam , (1987). Pathological and bacteriological characteristics of bacterial isolates causing soft rot of potato in the sudan. J. Unv. Kuwait (Sci) 14 : 127 - 134 .

5 - Abdel - Rahim , A. M. and F. S. Adam , (1990). Etiological and bacteriological characteristics of isolates of X. campestris pv. Sesami causing leaf spot of sesame in the sudan. J. phytopath. 114(5) = 124 - 128 .

6 - Bradbury, J. F., 1984. Guide to plant Pathogenic bacteria. CAB International, Commonwealth Mycological Institute (CMI), surrey England .

7 - Coman , S. T. and K. J .Steel , 1979. Manual for the identification of medical bacteria. Cambridge Unv. Press , England .

8 - Cook , A. A. and R. E. Stall , 1977. Effects of water-soaking on response to Xanthomonas vesicatoria in pepper leaves . Phytopathology 67 : 1101 - 1107 .

9 - Dye, D. W., 1969. a TAXONOMIC STUDY OF THE GENUS, Erwinia ll. The carotovora group. New Zealand J. sci. 12 : 81 - 97 .

10 - EI - Banoby, F. E. and K. Rudolph, 1979. Induction of water-soaking in plant leaves by extra-cellular polysaccharides from phytopathogenic Pseudomonads and Xanthomonads. Physiol. PI. Path. 15 : 341 - 349 .

11 - Gardner, M. W. and J. B. Kendrick, 1921. Bacterial spot of tomato. J. Agric Res. 21: 123 - 156 .

12 - Gardner , M. W. and J. B. Kendrick , 1923. Bacterial spot of tomato and pepper. Phytopathology 13 : 307 - 315 .

13 - Hartman , G. .L .,Young ,C. H. and J. F. Wang , 1990. Races of X.campestris pv. vesicatoria in Taiwan , an inoculation technque to evaluate host resistance. PI. Protect. Bull. Taiwan 32 : 112 - 124 .

14 - Husain , A. and A.Kelman , 1958. Relation of slime production to mechanism of wilting and pathogenicity of P. solanacearum. Phytopathology 48 : 155 - 165 .

15 - Kado, C. I. and M. G. Heskett, 1970. selective media foriso lation of Agrobacterium, Erwinia, Cor ynebacterium, Pseudomonas and Xanthomonas. Phtopathology 60:969 - 976 .

16 - Kiraly , Z .,Klement , Z. Solymosy , F. and J. voros , 1974. Methods in plant pathology. Elsevier Scientific Publishing Company. London, Amesterdam , pp. 509 .

17 - Kumar, J. and M. Prasad , 1987. Disease expression of two tomato cvs due to infection of X. campestis pv. vesicatoria. In : Plant Pathogenic Bacteria. (eds. Civerolo , et al.) .Martinus Nijhobb Puplishers , pp 695 - 705 .

18 - Last , F. T. , 1959. Leaf infection of cotton by Xanthomonas malvacearum. Ann. Appl. Biol. 47 :647 - 657 .

19 - Lelliot , B. A. and D. E. Stead , 1987. Methods for the diagnosis of plant pathogenic bacteria. Blackwell Scientific Publications. Oxford , London. pp 216

20 - McGuire, A. G. / Jones , J. B. and J. W. Scott , 1991. Epiphytic

population of X. campestris pv. vesicatoria on tomato cuttings resistant and susceptible to bacter spot. Plant Dis 75 : 606 - 609 .

21 - Norris , J. B. and D. W. walker , 1960. Bacterial spot of tomato as influenced by temperature and by age and nutrition of the host. phytopathology 50 : 360 - 364

22 - Norris , J. B. and D. W. Ribbon , 1970. Methods in microbiology. Academic Press. London .

23 - Pohranezny , K , and R. B. Volin , 1983. The effect of bacterial spot on yield and quality of fresh marlet tomato. Hort. Science 18: 69 - 70 .

24 - Scott , J. W. and. J. B. Jones , 1989. Inheritance of resistance to bacterial spot of tomato incited by X. campestris pv. vesicatoria. J Am. soc. Hort. sci. 114 : 11 - 114.

25 - Shukla, B. N., Chand, J. N. and S. N. Kulkarni , 1975. Effect of leaf age on the bacterial blight of sesame. Indian Phytopath. 28 : 304 - 305 .

26 - Strider, D. L , 1970. Tomato seedling inoculations with Corynebacterium michiganense. Plant Dis. Reptr. 54 : 36 - 39 .

27 - Walker , J C. and P. N. Patel , 1964. Splash dispersal and wind as factors in epidemiology of halo blight of bean. Phytopathology 54 : 140 - 141 .

28 - Wang , J. F. , Jones , J B. W. and R. E. Stall , 1990. A new race of the tomato group of strains of X. campestris pv. vesicatoria. phytopathology 80 : 1070 (Abst.).

الغزالي والنظرية الكمية

□ د. إبراهيم محمد إبراهيم حممو

❖ قسم الفيزياء والرياضيات

❖ كلية الآداب والعلوم - المرج

❖ جامعة قار يونس

هل الظواهر مظللة؟ وهل تتصرف الأشياء بالشكل الذي نراه لأن الله أراد لها أن تكون كذلك؟ وهل هي زائلة أو أن وجودها راجع لأن الله يعيد خلقها باستمرار؟

يرى الغزالى أن الإجابة على كل هذه الأسئلة هي نعم. فالأشياء التي تبدو لنا أبدية هي في الحقيقة ليست كذلك. وعلاقتها بالطبيعة (السبب والمسبب أو العلة والمعلول كما يطلق عليها البعض) ناتجة عن إرادة الله لا لما نعتقده بأن أحدها سبب للأخر، أو ما نسميه بقانون السببية (Causality) فوجود الأشياء راجع لان الله يكرر خلقها باستمرار فإذا كف عن ذلك انقطع سبب وجودها .

هذه الأفكار قد تبدو للوهلة الأولى متطرفة في سذاجتها ويصعب قبولها لبشر يعيشون في القرن العشرين، من حيث اختلافها الواضح مع علم الفيزياء. فبالفطرة وحدها نحن نؤكد بأن الكون مكون من أشياء مادية (حقيقية) مستمرة باستمرار الزمن ما لم تؤثر عليها قوة خارجية بالإضافة إلى أن سلوكها يمكن أن يوصف بأنه معقول، منطقي ومتوقع .

إن الاعتقاد السائد بأن العالم يسير بقانون وسبب يرجع إلى تفسير نيوتن الميكانيكي والذي أعتبر أساسا للعلوم الفيزيائية لعدة قرون. وعلى الرغم من أن معظم الناس يؤمنون بإمكانية استخدام هذا التفسير لوصف الكون بدقة متناهية إلا أن ملائمة هذا التفسير أصبحت موضع تساؤل بعد التطورات العلمية الحديثة وقصوره الواضح في تفسير أو وصف الظواهر الفيزيائية على المستوى الذرى وما دون الذرى (Microscopic) مما أدى إلى ظهور ما يسمى بنظرية الكم (Quantum Theory).

ظهرت هذه النظرية في بداية القرن العشرين، لتفسير نتائج عجزت النظرية الكلاسيكية عن تفسيرها. ونتيجة لطبيعتها الرياضية التجريدية فقد كان هناك خلاف حول تفسيرها فيزيائيا حينما اقترحت. ويعتبر تفسير كوبنهاجن (Copenhagen Interpretation) الذي سنتناوله فيما بعد من أوسعها انتشارا وقبولا ومنطقا .قد يتبادر إلى الذهن في البداية عدم وجود تشابه بين الموضوعين حيث إن الغزالى عاش

في القرن الحادي عشر وظهرت نظرية الكم في القرن العشرين. ولكن وعلى الرغم من أن الموضوعين تفصلهما حضارات وقرون إلا أن هناك قواسم مشتركة بينهما. حيث نجد أن العديد من الأفكار تتكرر بل وتندمج أحيانا في هاتين الفلسفتين. فهناك تشابه واضح فيما يخص قانون السببية في الطبيعة، طبيعة الأشياء وإلى أي مدى يمكن التنبؤ بسلوكها .

ففي الفكر الشرقي هناك فرق واضح بين التفكير المادي والعقلي (الدنيوي والإلهي) .فبينما يقتصر العلم على دراسة الظواهر الطبيعية تعتبر الألوهية (الإله) من اختصاص علم (التوحيد). إلا أن هناك إدراكا متزايدا بأن هذا الفصل يحمل في طياته بعض الصعوبة. فبالرغم من أن معظم العلماء يفضلون توجيه أنظارهم لدراسة الطبيعة الحسية (المادية) إلا أن نظرية الكم وجهت أنظارهم إلى أسئلة عن الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة)، فالمعطيات التي تدعم نظرية الكم لا يمكن إهمالها ونجاح النظرية في تفسير كثير من الظواهر العلمية يجبر العلماء على إعادة اختبار ما كان يعتقده معظمهم من المسلمات. فالتطور العلمي وما أنتجه من نظريات حث العلماء على البحث عن الجانب الميتافيزيقى للعلوم وهذا ما يجعل التشابه بين تساؤلات الغزالى والنظرية الكمية أمرا لا يدعو للدهشة .

ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن تكون تساؤلاتهما متماثلة نصا. فما يهم الغزالى في عصره تساؤلات مثل "ما هو قانون الله في أحداث اليوم ؟" أو "كيف تحدث المعجزات؟" وفي الجانب الآخر نجد تساؤلات النظرية الكمية مثل " هل هناك علاقة عرضية بين حادثتين؟" أو "إلى أي مدى يمكن التنبؤ بسلوك الأنظمة الفيزيائية ؟". فعلى الرغم من أن محتوى السؤالين وسياقهما اللغوي غير متطابق فكلاهما يدور حول موضوع واحد هو "ما هو السبب الكامن وراء الظواهر؟ وإلى أي مدى يمكن التنبؤ بها؟ "أي أن كلاهما يتسائل" هل كل ظاهرة تسبب الأخرى أم أنها تحدث نتيجة لقوة خارجية؟ ". الغرض من هذه الدراسة هو بحث ومقارنة التشابه بين فكر الغزالى ونظرية الكم. فكلاهما يقر بأن الاتساق [1] (الأسباب المتماثلة تحدث نتائج متماثلة)، في سلوك الطبيعة يجب أن يرجع إلى قانون السببية ويؤكدان بأن الظواهر الطبيعية لا يمكن التنبؤ بها تماما وأن الحوادث غير المتوقعة

ممكنة بل وتحدث أحيانا. فالغزالى يعتبر أن الله أزلي وهو متداخل مع الكون لحظة بعد أخرى، فهو التالي يستطيع إحداث ما يشاء .هذا ما أكده تفسير "كوبنهاجن" بأنه من المستحيل توقع سلوك جسيم ما إستناداً إلى القوانين الفيزيائية. وكنتيجة حتمية (Deterministic) فأحدنا يتوقع أن تسقط كرة صلبة لأسفل عند تركها حرة الحركة وبالمقابل فإن هناك احتمال أن ترتفع الكرة لأعلى. ويعتبر الوجود المستقل عنصر شك بالنسبة للغزالى ونظرية الكم .وعليه فمن الضروري تحديد ما نعنيه بكلمة جسيم (Object). فبالنسبة لنا جميعا تعانى كلمة جسيم " ذلك الشيء الذي يشغل حيزا من الفراغ وله خواص تميزه عما يحيط به ". فالكرة في المثال السابق لها مجموعة من الخواص تقيد سلوكها إضافة إلى أننا نفترض بأن هذه الخواص أزلية وأن الكرة تستمر في سلوكها محكومة بنفس القوانين مع مرور الزمن. فسقوطها مثلا يرجع إلى تأثير الجاذبية .

الغـــزالـــى :

هو أبو حامد الغزالى عاش في الفترة من (1058 - 1111م) وهو من ألمع مفكرى الإسلام في القرون الوسطى. ألف العديد من الكتب ويعتبر كتابه " تهافت الفلاسفة" المصدر الأساسي لأفكاره وتصوراته عن علم الفيزياء وبصفة خاصة مناقشته للقضية "17" وهى بعنوان "ما هو قانون الله في الحوادث اليومية" و"كيف يمكن حدوث المعجزات ؟" و"هل للأجسام طبيعة ما تجعلها تسلك سلوكا معينا؟" ألف الغزالى هذا الكتاب في محاولة للرد على بعض الفلاسفة مثل ابن سينا (980 - 1037 م) عن كيف ولماذا تحدث الظواهر الطبيعية.

في الوقت الذي ألف فيه الغزالي كتابه هذا كان بعض الفلاسفة يدركون بأن الكون يحتوى على أشياء مادية لا يعتمد وجود أحدها على الآخر. وأن الظواهر عامة تحكمها علاقات سببية (Casual Relations) وأن للأشياء خواص باطنية (inert) تحكم سلوكها .

مثل هذه الأفكار كانت موضع تساؤل بالنسبة للغزالي فهو يرى بأن قدرة الله ستكون محدودة في عالم تحكمه السببية. ولذا فهو يثنى على الله لتفاعله اليومي

مع الحوادث الكونية. وفكرة قدرة الله يمكن ملاحظتها بسهولة في فكر الغزالي، حيث إن كل شيء في الكون في حالة خلق دائم أي أن كل محتويات الكون يعاد خلقها باستمرار لتتماشى مع الوضع الجديد. ولذلك فليستمر أي شيء يجب أن يعيد الله خلقه من جديد. فالأشياء لا تملك خاصية الأزالية [2]. فما ندركه بحواسنا من استمرار وجود الأشياء يرجع إلى حقيقة أن الله يعيد خلقها. فالكرة المعدنية الموضوعة على منضدة لفترة زمنية نراها تظهر بمظهر ثابت" تحافظ على وجودها " هي حسب رأى الغزالي تخلق كل لحظة .

وهنا يبرز السؤال، إذا كانت الأشياء تخلق كل لحظة فلماذا نرى هذا التناسق الغريب؟ ولماذا تبدو لنا إزالية؟. حسب رأى الغزالي فالإجابة على كل هذه الأسئلة هي ببساطة "إن الأشياء تبدو كذلك لأن الله أراد لها أن تكون وأن الظواهر تتكرر عبر الزمن". فالله يستطيع ببساطة أن يمنح الوجود للكرة مرة ولا يكرر ذلك مرة أخرى ولكن شريعة الله ليست كذلك. فبمجرد أن يخلق الله شيئا فإنه يعيد خلقه باستمرار. ولذا فوجود الأشياء لا يرجع إلى استقلاليتها بل إلى إرادة الله في تكرار خلقها عبر الزمن. وفكرة الإرادة تنطبق كذلك على سلوك الأشياء كسقوط الكرة. فالغزالي يرى أن الله أراد هذا التتابع للحوادث "ترك الكرة وسقوطها المتتالي"، وأن إرادة الله أيضا هي التي تؤدى إلى إعادة هذا التتابع مرة تلو الأخرى. وحسب الرأي الذي توصل إليه " ولفسون " [2] فان الغزالي كان يؤمن بأن:

منذ نشأة الكون، عندما يخلق الله أحداثا متتابعة، يخلق معها شعورا بالشكر، بأنه ما عدا المعجزات، فان الحوادث ستستمر بقدرته مع مرور الزمن .

وهذا ما يجعل التنبؤ بسلوك الأشياء ممكنا لأن الله أراد لها أن تتصرف على نفس النمط. وهذا لا يجوز أن يفسر على أنه تحديد لقدرة الله ولكنه يتبع قانون الطبيعة، ولاشيء يجبر الله على أن يفعل ذلك[3]. إذن فمن السهل على الغزالي أن يفسر حدوث المعجزات، كونه مؤمنا بأن الله يستطيع إحداث ما يشاء وفي أي وقت يشاء، حيث إن له القدرة على إحداث ظاهرة غير متوقعة (معجزة) كما أن لديه القدرة على خلق شيء متوقع. وهو يرى أن الله يستطيع جعل تلك الكرة ترتفع لأعلى بدل أن تسقط لأسفل، فقدرة الله غير محدودة ويجب أن يؤمن البشر

بأنهم يتصرفون تحت هذه القدرة، وهى تشمل حقائق وأسرار عجيبة، وبما أننا لم نطلع على هذه الأسرار فكيف نجزم بأنها ممكنة أو غير ممكنة. والمثال الذي يسوقه الغزالي هنا لتفسير قدرة الله ويؤكد رأيه بأن [4] :

الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا، بل ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا. ولا إثبات أحدهما متضمنا إثبات الآخر ولا نفي أحدهما متضمنا لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر. فان اقترانهما لما سبق من تقدير الله سبحانه وتعالى بخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفوت. ونوضح ذلك بمثال :هو احتراق القطن عند ملاقاة النار. وهنا يؤكد الغزالي بأن النار لم تحرق القطن لان هذا من طبيعتها فهو يجيز التقائهما دون حصول ذلك. ويجيز كذلك إحتراق القطن دون وجود النار. ويفسر ذلك بقوله بأن " الله أراد للقطن أن يحترق عن طريق النار. وبالتالي فهو يستطيع تحويل ذلك القطن إلى رماد دون وجودها ". وحقيقة أن الله نادرا ما يجيز هذه الأمور ناتج عن شرائعه ولا يمت إلى طبيعة النار أو القطن أو التفاعل بينهما بأية صلة. إنما الله هو المسئول عن خلق السواد في القطن نتيجة التقائه بالنار أي أن النار ليست هي الفاعل كما نعتقد. ويؤكد ذلك بقوله المشهور:

"الحوادث تدل على الحدوث عليها ولا تدل على الحدوث بها".

وعليه فما نفسره بأنه تواصل هو في الحقيقة ارتباط. فنحن نستطيع ببساطة ملاحظة الارتباط بين الحوادث ولكن من غير الممكن ملاحظة العلاقات السببية. وهو يؤكد هنا على أننا لسنا مجبرين على تبرير وجود هذه العلاقات وكل انتظام أو اتساق في الطبيعة يرجع إلى حقيقة أن الله يخلق نفس الأشياء مرة تلو الأخرى. أي أنه لا يمكن اعتبار أن السببية هي القانون الذي يحكم الكون .

تفسير كوبنهاجن للنظرية الكمية :

أن كلمة كمية (Quantum) تعنى كمية أو بالأحرى كمية منفصلة (Discrete). ففي حياتنا اليومية نواجه كميات تعبر عن خواص المواد كالحجم واللون

ودرجة الحرارة ... الخ، والتي تتغير من جسم لآخر بشكل متصل (Continuous). فالتفاح مثلا تكون له عدة أشكال دون أن نستطيع تمييز الاتصال بينها. هذا في المقاييس الكبيرة (Macroscopic) أما في العالم الذرى ودون الذرى فالمقاييس تختلف. حيث تتغير الكميات الفيزيائية للأجسام الذرية من طاقة وكمية حركة و... الخ، بشكل منفصل.

ظهرت هذه النظرية مع بدايات هذا القرن حيث شهدت هذه الحقبة تزايدا ملحوظا لعدم تطابق النتائج العملية مع توقعات الميكانيكا الكلاسيكية وعندما وجد العلماء بأن قواعد الفيزياء الكلاسيكية لا يمكن تطبيقها على النظام الذرى أو ما دون الذرى وجب إيجاد نظام ميكانيكي جديد يمكنهم من تفسير الخواص الذرية للمادة. وكانت النظرية الكمية هي الحل والتي أنتجت ميكانيكا الكم (Quantum Mechanics). وإذا كانت الميكانيكا الكلاسيكية قد نجحت في تفسير كثير من الظواهر من حركة " كرات البليارد " إلى حركة " النجوم والمجرات " فأن ظهور نظرية جديدة لتفسير الظواهر الذرية يمثل ثورة علمية وإنعطاف في مسيرة العلم. وعلى الرغم من الصفة الرياضية التجريدية للنظرية الجديدة إلا أنها لاقت استحسان كثير من العلماء إلا أن تفسيرها بقى مثارا للتساؤل والتحدى بين كثير من علماء الفيزياء .

ولإدراك أهميتها لابد من التعرف على بعض الفروق الأساسية بينها وبين ميكانيكا نيوتن الكلاسيكية. إن النظام الذي يوصف بنموذج كلاسيكي يتكون من أجسام غير مترابطة، بمعنى أن وجود أحدها لا يعتمد على وجود الآخر ولكل منها مميزات تجعل منه ما هو عليه. وتستمر هذه الأجسام في الوجود مع مرور الزمن اعتمادا على خواصها الداخلية إلى أن تؤثر عليها قوة خارجية. فالكرة مثلا تستمر في وضع ساكن إلى أن تؤثر على قوة خارجية كأن تسقط عند قذفها تحت تأثير الجاذبية إضافة إلى كون ذلك من خواص الكرة .

وتفترض الميكانيكا الكلاسيكية وجود قوانين تمكنها من التنبؤ بسلوك الأجسام. فعند قذف الكرة من ارتفاع 10 متر مثلا، نحن لا نؤكد سقوطها فقط بل نستطيع كذلك تحديد سرعتها وموقعها بدقة عند أي لحظة أو عند ارتطامها

بالأرض وموقع سقوطها بالتحديد. في عالم كهذا لا مكان للمفاجآت أو المعجزات فكل حادثة لها تفسير سببي .

أما في المستوى الميكروسكوبي فهناك ظواهر لا تخضع لهذه القاعدة. فمن الحقائق الثابتة في النظرية الكمية والتي تبدو للوهلة الأولى من المعضلات[5] (Paradoxes) هي "ما هي حقيقة الجسيمات في المستوى الميكروسكوبي؟) وهل هي جسيمات أم موجات. حيث وجد أنها تتصرف أحيانا كموجات وأحيانا أخرى كجسيمات. فما هي ماهية هذه الجسيمات؟ وكيف يمكن أن يتصرف جسيم ماء كجسيم له حجم وموقع وفي وقت أخر كموجة لا تحتل حيزا من الفراغ كما هو الحال بالنسبة للجسيم .

الإجابة على هذا السؤال تأتي في تفسير " بوهر " للنظرية الكمية والذي يسمى أحيانا تفسير كوبنهاجن. استناداً لهذا التفسير فإنه لا معنى لسؤالنا " ما هو الالكترون " فالفيزيائي لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال المجرد .ولكنه يستطيع حساب احتمال ظهور نتائج التجربة على نسق ما، ونستطيع بعد إجراء التجربة تأكيد ماهية الالكترون. ولكن المعضلة الأكبر تظهر إذا ما علمنا أن كون الالكترون موجه أو جسيم يعتمد على ظروف التجربة. فعند إجراء تجربة لقياس خواصه كجسيم فإنه يتصرف كجسيم وعند إعداد تجربة لقياس خواصه كموجه فإنه يتصرف كموجه .

في النظرية الكمية يوصف الالكترون بدالة موجية(Wavefunction). تحتوى على كل الخواص الفيزيائية للالكترون مثل الطاقة، كمية الحركة ... الخ. ولكنها لا تستطيع تحديد موقعه أو حركته. وبالنسبة لميكانيكا الكم فمن غير الممكن تحديد هذه القيم. فنحن نستطيع أن نحدد فقد احتمال وجود الالكترون في مكان ما، أي أننا لا نستطيع أن نجزم بوجوده في أي مكان حتى نتمكن من ملاحظته. وبعبارة أخرى فإن الالكترون يكون جسيما له موقع محدد فقط عندما يكون هناك ملاحظة يؤكد ذلك (يتفاعل معه)، وبدون هذا التفاعل فالإلكترون ليس له موقع محدد ولديه القدرة على الظهور في كل مكان وليس موجودا في أي منها حتى يتأكد ملاحظ ما من تحديد موقعه، وهو ما يتنافى مع السلوك العام

للأجسام الحقيقية. عند تعميم نظرية الكم لتشمل جسيمات ذات أحجام كبيرة (ماكرو سكوبية) كالكرة مثلا، نجد أن لها خواص تختلف عما يمكن توقعه. فعند ترك الكرة على منضدة بدون وجود ملاحظ يصف ما يشاهده، فإن وجود الكرة يكون موضع تساؤل، فكما أن للكرة القدرة على التواجد على المنضدة فان لديها القدرة على التواجد في أماكن أخرى (احتمالات). وهي في الحقيقة ليست موجودة في أي من هذه الأماكن حتى يحدث تفاعل بينها وبين الملاحظ الذي يؤكد لنا موقعها بالتحديد.

إن هذه الفكرة ملازمة لنظرية الكم. وللإحاطة بها لنناقش تركيب الذرة. فالبروتونات والنيوترونات تقبع داخل النواة (مركز الذرة) بينما تدور الإلكترونات حولها، وعلى الرغم من صعوبة احتمال وجود الالكترون خارج الذرة فمن المعلوم أن احتمال وجودها حول النواه يبقى سائدا، ولكنه لا يلغى إمكانية التنبؤ بوجودها بدقة في أي مكان من الكون مهما كان هذا الاحتمال صغيرا (هيزنبرج [6]).

لنضرب مثالا آخر بفرض أن لدينا جدارا من الطوب (مكون من ذرات متماسكة بقوة التفاعل بين الكتروناتها). فإذا تصرفت الإلكترونات على نحو غير متوقع في لحظة معينة، كأن تطايرت بعيدا عن انويتها سيتفكك الحائط. ولكن يبقى الاحتمال السائد والمنطقي بأن تبقى الالكترونات حول انويتها ويستمر الجدار قائما.

ومثلما يوجد احتمال قوى لفشل أي مغامر من عبور الحائط، فإن هناك بالمقابل احتمال ضعيف (ولكنه حقيقي في نظرية الكم) بأن الإلكترونات ستتصرف بطريقة ماء تمكن الشخص من عبوره دون أي أذى. إن مفهوم الاحتمال يرتبط بأحد أهم أسس نظرية الكم وهو نظرية اللاتحديد (Uncertainty Principle) لهيزنبرج. والتى تنص على أن هناك تحديد رياضي لما يمكن حسابه (معرفته) عن نظام فيزيائي ما. وهذا التحديد يرجع إلى ارتباط بعض الكميات الفيزيائية مثل الموقع وكمية الحركة الخطية أو الطاقة والزمن، فكلما زادت دقة معرفتنا بأحدها قلت معرفتنا بالآخر. فلو استطعنا تحديد موقع الالكترون بدقة فمن غير الممكن تحديد سرعته بنفس الدقة والعكس صحيح .

إذا فما هي الأجسام في العالم الكمى (Quantum World)؟. في نظرية الكم، لا يمكن الحكم على خواص ووجود جسم إلا من خلال وجود ملاحظ ولا معنى لوجود الجسم في غياب هذا الملاحظ. هذا هو وصف الجسم في النظرية الكمية والخواص التي تمنح للجسم تعتمد على طبيعة التفاعل بينه وبين الملاحظ، إضافة إلى أننا لا نستطيع تحديد سلوك الجسم في لحظة ما، وكل ما يمكن قوله أن هناك احتمال أن يتصرف الجسم على هذا النحو أو ذاك. فالسلوك المادي (الجسيمى) والموجي بالنسبة لنظرية الكم لا تصوران شيئين مختلفين بل جانبين لشيء واحد فهما صورتان جريئتان تتفقان مع وضعين مختلفين في ظرفهما. ولذلك فالعلاقة بينهما علاقة تكامل وليست إضافة فما أن تظهر الخواص الجسيمية حتى تختفي الخواص الموجية والعكس صحيح .

وإضافة إلى ما نعلمه من العلاقات السببية فإن هناك حد معين لما نعلمه عن وضع ما. وحدود قاعدة التحديد هي التي تلزم الفروق الفردية للأشخاص لفهم العالم نسبيا. على الرغم من أن أفكار النظرية الكمية ليست سهلة القبول إلا أن علماء الفيزياء أقروها لأنها تستطيع التنبؤ بإمكانية حدوث أي ظاهرة إضافة إلى كونها بديلة عن الميكانيكا الكلاسيكية في العالم الميكروسكوبي. بل وأوجدوا علاقات تمكننا من القفز من أحد النظامين إلى الآخر .

التشابه بين الفكرين :

مما سبق نستطيع ملاحظة التشابه بين فكر الغزالى ونظرية الكم (تفسير كوبنهاجن). فالغزالى يؤكد بأن خواص الأشياء ناتجة عن استمرار الله في تكرار خلقها أي أنه المانح لهذه الخواص وهي ليست فطرية للجسم في ذاته. فالكرة لا تملك خواصها نتيجة لتكوينها المادي بل إن الله هو الذي قدر للكرة أن تسقط بعد رميها وأدى هذا بالتالي إلى إنتاج مفهوم التثاقل، ليبنى في فكر البشر إمكانية مشاهدة هذه الظاهرة مرة تلو الأخرى. إذن فوجود المادة في الكرة ليس سبباً كافياً لسقوطها ولكن إرادة الله هي ما يجعلها تتصرف على هذا النحو أو ذاك. وإرادة الله كذلك هي التي تؤدى بنا إلى تفسير التثاقل .

في تفسير كوبنهاجن يبرز التساؤل بأن "هل للأجسام خواص فطرية؟" فالإلكترون مثلا لا يمتلك خواص تمكننا من وصفه قبل التجربة وكل ما لدينا قبل التجربة هو تلك الدالة الرياضية المجردة التي نطلق عليها الدالة الموجية. وهذه الدالة تعرف خواص الالكترون عند تفاعلنا معه ولكنها تؤكد بأنه لا يمتلك أية خواص سابقة للقياس!. وبما أن الأجسام الكبيرة كالكرة مكونة من جسيمات أولية (إلكترونات وبروتونات ونيوترونات) فنظرية الكم تؤكد بأن الكرة لا تمتلك خواص داخلية تجعلها تتصرف على نسق ما .وكل الخواص التي تبديها ناتجة عن تفاعل الكرة مع الملاحظ وليست خواص فطرية للكرة نفسها. وهذا النقص في خواص الجسم يدعونا للتساؤل عن وجوده وتعريفه. أي أن تفسير كوبنهاجن يرى أنه لا معنى لوجود الأشياء بدون وجود ملاحظ.وهنا يبرز سؤال أينشتين [7] " هل يوج القمر إذا لم ينظر إليه أحد ؟! " .

ويرى الغزالي بأن الأشياء لا تمتلك وجودا منفصلا عن الله لأنه المسؤول عن خلقها كل لحظة. وعلى عكس ذلك فقد يوجد الله بدون الأشياء، إذ لا معنى للأشياء بدون وجود الخالق وهو الله سبحانه وتعالى .

هنا نرى أن الغزالي يرى بأن الله هو المسؤول عن وجود الأشياء بالتالي عن خواصها ويرى تفسير كوبنهاجن بأن الملاحظ هو المسؤول عن تأكيداً لوجود ومنح الخواص للأشياء .

وبالرغم من أن الغزالي يعزو وجود وخواص الأشياء إلى الله تعالى وتعزوه النظرية الكمية إلى الملاحظ إلا أن الخلاف أقل من ذلك بكثير .

ويظهر التشابه الآخر في تفسير سبب واحتمال وقوع ظاهرة ما. فإذا اعتبرنا أن الظواهر تتبع قانون السببية (السبب والظاهره) فإن معرفة الشروط الابتدائية تكفي للتنبؤ بتسلسل الأحداث في المستقبل . وهنا ينكر الغزالى وتفسير كوبنهاجن أن الظواهر يمكن أن ترتبط سببيا إلى حد الحد ويؤكدان أنه لا يمكن الإقرار بحقيقتها (تأكيد الاحتمال). فيرى الغزالى استحالة وجود العلاقات السببية لكون الله يخلق الأشياء باستمرار ولذلك فكل حادثة تعتمد على حكمة. وقد تكون هناك

روابط مثل وجود النار واحتراق القطن إلا أنها لا تكفي للإقرار بوجود علاقة سببية. ويتسأل تفسير كوبنهاجن عن احتمال وجود ارتباط سببي بين حادثتين استناداً إلى الحقيقة القائلة بأن الأشياء المادية مكونة من مركبات أساسية (جسيمات أولية) لا تتبع قانون السببية في سلوكها، ففي هذا التفسير لا معنى لوجود ارتباط سببي في المستوى الميكروسكوبي. لأن الجسيمات لا تملك التعريف المتداول في الفيزياء الكلاسيكية. فالإلكترونات مثلا ليس لها تعريف محدد (طبيعتها) إلا بعد ملاحظتها، وهذا لا يلغي قدرتها على الظهور والتأثير بل إن هذا التأثير هو الذي يحمل في طياته تعريفها إذن فليس للأشياء صفات مميزة سابقة للقياس ولا معنى للإقرار بوجود تلازم سببي .

وبالرغم من أن الغزالى مع الذى فسر تفسير كوبنهاجن يتساءلان عن صحة الاعتقاد بوجود علاقات سببية إلا أنهما لا ينكران انتظام وتناسق الطبيعة. ويرجع هذا التناسق حسب رأي الغزالى إلى الأعراف التي أوجدها الله في الطبيعة، والتي منها احتراق القطن في وجود النار. مع تأكيده بأن الله ذو قدرات مطلقة منها أنه يستطيع حرق القطن في غياب النار. ولكننا نعلم أن هذا الاحتمال ضعيف جداً لأن فطرة الله تمنع ذلك. ومن ناحية أخرى يقر تفسير كوبنهاجن بوجود التناسق في الطبيعة، ويرجع ذلك إلى كون بعض الظواهر أكثر احتمالا في الحوادث من الأخرى، وعليه فإنه يمكن اعتبار الظواهر احتمالية. فمثلا أكبر احتمال لوجود الالكترون يكون قرب نواة الذرة، وهذا الاحتمال شبيه إلى حد بعيد بمفهوم الغزالى عن شرعية الله. فمن الممكن حساب احتمال وجود الالكترون في أي مكان ولكن وجوده قرب النواة يبقى دائما الاحتمال الأكبر أي أنه لا يمكن حساب موقعه تماما. وكذلك فمن الممكن أن يتحول القطن إلى رماد عند وضعه في النار ولكن من غير الممكن التأكيد على كونه يحترق دائما .

عند تطبيق هذه الأفكار في العالم الماكروسكوبى، فالكرة تميل دائما إلى السقوط عند تركها حرة من أعلى ولكن يبقى احتمال ارتفاعها إلى أعلى قائما. والاحتمال الأخير بالنسبة لميكانيكا الكم ضئيل جداً ولكنه غير معدوم. أي انه من غير الممكن أن نتوقع سلوك الكرة تحت أية شروط، فهي قد تصعد لأعلى أو تهبط لأسفل. ولكننا

نؤكد دائما بان احتمال سقوطها لأسفل أكبر من احتمال ارتفاعها لأعلى .

والآن لو قدر لأحد علماء الفيزياء الكمية والغزالى أن يجتمعا وشاهدا كرة معدنية تركت حرة الحركة في الهواء فصعدت لأعلى بدل هبوطها فستكون هناك قواسم مشتركة كثيرة في تفسيريهما. سيقول الغزالي بأن الله قدر لحكمة ما مخالفة الأعراف وجعل الكرة تصعد لأعلى بدل هبوطها، كونه يؤمن بان لا يجبر الله على جعل الكرة تسقط بدل أن ترتفع .

أما عالم الفيزياء فيكثف جهوده لتفسير هذه الظاهرة بما لديه من قوانين فإذا عجز عن ذلك فسيقر بأن هذه الظاهرة ذات الاحتمال البسيط قد حدثت بالفعل وإن هناك تأثيرات مهملة اجتمعت لسبب ما لتدعم هذا الاحتمال .

الاستنتاج :

على الرغم من أن الغزالى ونظرية الكم تفصلهما حوالي عشرة قرون إلا أن التشابه بينهما ملفت للانتباه وجدير بالملاحظة. ففي الحالتين تعامل الأشياء على كونها لا تملك خواص فطرية، إضافة إلى كونها لا تملك وجودية منفصلة ولكي نقر بوجودها يجب أن يكون هناك وجود لملاحظ (النظرية الكمية) أو الله (الغزالى). والطبيعة ليست ذات طابع احتمالى، بالنسبة للغزالى فالله لديه القدرة على إحداث ما يشاء وفي أي وقت يشاء. ويمكن القول بأن الطبيعة تميل إلى قانون السببية (الفطرة) ولكن المعجزات ممكنة الحدوث عند أي لحظة. أي انه لا يمكن وضع قانون فيزيائي يستطيع وصف سلوك الأشياء بشكل محدد وهذا ما تقره النظرية الكمية على الرغم من معارضة الكثير من العلماء وفي مقدمتهم عالم الفيزياء الشهير "البرت اينشتين" الذي يقول "أنا لا أؤمن بإله يلعب النرد بالكون"ويدعمه لابلاس[8]، في كتابه "بحث في حساب الاحتمالات" حيث يقول :

> **لو عرف عقل ما لحظة معلومة، كل القوى الشائعة في الطبيعة ومواضع الكائنات التى تتألف منها، ولو كان هذا العقل من الاتساع بحيث يخضع جميع هذه المعطيات للتحليل، ويشمل في صيغة واحدة حركة اكبر الأجسام في الكون وحركة أخف الذرات. أقول : إنه بالنسبة لعقل كهذا فإنه لا شئ**

سيكون غير يقيني بالنسبة إليه وسيكون المستقبل مثل الحاضر أمام عينيه .

فهؤلاء العلماء يصرون على أن قانون الطبيعة يمكن إيجاده ولكنه أكبر من أن تستوعبه عقولنا وهذا ما أكده هيزنبرج بقاعدة اللاتحديد في ميكانيكا الكم .

كل من الغزالى في القرن الحادي عشر ونظرية الكم في القرن العشرين يقران بأن العالم في الحقيقة يختلف عما يترآي لنا بالإحساس، فظواهر الأشياء مخادعة وهي لا تملك وجودية معزولة كما نتوقع. فالأشياء توجد إما باستمرار خلق الله لها أو بتفاعلنا معها. إضافة إلى أنه لا يمكن الإقرار بحتمية سلوك الأشياء وكل ما يمكننا تعيينه هو احتمال حدوث الظواهر. ولكن رسوخ مبدأ السببية في فكر الإنسان يبقى عنصراً سائداً وهو ما يؤكده الدكتور عبد الرحمن بدوى [8] بقوله :

إن عقل الإنسان لا يستطيع تصور معلول بدون علة، حتى أن رؤية ظاهرة ما توقظ فيه دائما فكرة العلية.

نشر هذا المقال بمجلة الجمعية الإسلامية الأمريكية. وأعدنا ترجمته مع بعض التحوير بعد موافقة المؤلف والناشر .

الهوامش والمصـــادر

1- جيمس جينـــز، الفيزياء والفلسفة، ترجمة جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، 1981م .

2 – Walfson, Harry: The Philosophy of the Kalam, Cambridge, MA , Harvard University Press , 1974 .

3 – Mizra , Mohamed and Mohamid , I .Sidiqi , Muslim Contribution to Science , Labore , kozi Publications , 1986 ,

4 – الغزالى، تهافت الفلاسفة .

5 – The Ghost in The Atom , P .C .W Davies and J .R Brown , Camridge University Press , Cambridge, 1988 .

6 – Heisenberg Werner , Physics and Philosophy , New York , Harper and Row , 1958 .

7 – Einestien , A .Is the Moon There when no Body Looks at it , Physics Today .

8 – عبد الرحمن بدوى، مدخل جديد للفلسفة، الطبعة الثانية، وكالة المطبوعات – الكويت، 1979م .

طفيل الفاروا Varroa Jacobsoni

كيفية التعرف عليه واكتشاف وجوده بالخلية وطرق مقاومته

□ د. عبد الله ذاوود القديري

❖ أستاذ علم الحشرات المساعد

❖ قسم وقاية النبات كلية الزراعة

❖ جامعة عمر المختار

❖ البيضاء - الجماهيرية

ملخص

يعتبر حلم الفاروا Varroa Jacobsoni من أخطر الآفات التي تهدد بالقضاء على تربية النحل ويهدد حاليا بتدمير طوائف النحل في حوالي 60 دولة .

يتغذى الطفيل على دم يرقات وعذارى النحل داخل العيون السداسية ويعيش داخل الطائفة ملتصقا بالحشرات الكاملة حيث تثقب إناث الفاروا الغشاء الموجود بين حلقات الجسم وتتغذى على الدم .

ينقل هذا الحلم فيروس الشلل الخطير (Acute Paralysis Virus) الذي يدخل دم النحلة التي يتغذى عليها الطفيل (Ball , 1985). وفي حالة الإصابة الشديدة تخرج الذكور والشغالات بأجسام قصيرة وأجنحة مشوهة وأرجل مفقودة، وهذا يضعف قوة الطائفة التي تموت بعد 3 – 5 سنوات من غزو الطفيل لها.

مقدمـــة

النحل كأي كائن حي معرض في بعض الأحيان للإصابة بأمراض واضطرابات بعضها يصيب الحضنة مثل تعفن الحضنة الأمريكي وتعفن الحضنة الأوروبي وتكيس الحضنة، والبعض الأخر يصيب الحشرات الكاملة مثل الشلل والنوزيما والأكارين. وكان مرض تعفن الحضنة الأمريكي ولا يزال مصدر قلق وإزعاج لمربى النحل نظرا لخطورته وسرعة انتشاره بين الطوائف وصعوبة القضاء على البكتيريا المسببة له .

ولكن انتشر في السنوات الأخيرة وباء لم يعطه النحالون قدره من الاهتمام وهو حلم الفاروا Varroa Jacobsoni وكانت النتيجة أن أنتشر بصورة مخيفة في مختلف قارات العالم عدا أستراليا وهو يهدد بالقضاء على النحل ما لم يتمكن الباحثون والمهتمون بتربية النحل من أيجاد الوسائل المناسبة للحد من انتشاره وقد حذرت مجلة عالم النحل سنة 1975م من أنه بسبب عملية تصدير النحل من أوروبا إلى العديد من دول العالم فأن حلم الفاروا سيشكل مصدر تهديد عالمي لتربية النحل وكأن التوقع صحيحاً، ففي خلال السبعينات سبب هذا الوباء خسائر كبيرة في طوائف النحل في كل البلقان، وفي بلغاريا وحدها قضى هذا الوباء على 200.000 طائفة نحل خلال ثلاث سنوات (Muschter , 1983) .

تم اكتشاف حلم الفاروا بواسطة العالم أودمأنز (A. C. Oudemans.) في أندونيسيا سنة 1904م على النحل الآسيوي Apis cerana حيث يعتبر A. cerana هو العائل الطبيعي له وقد تطورت العلاقة بينهما إلى علاقة عائل - ومفترس سمحت بالبقاء المستمر لكلا النوعين وعندما تمت تربية النحل الغربي Apis mellifera في مناطق تواجد النحل الأسيوى وجد الحلم طريقه إلى هذا النوع من النحل وكأن له تأثير خطير على حياة وبقاء طوائف A. mellfera ومع استمرار

نقل طوائف النحل الغربى من مكان إلى آخر أنتشر معها حلم الفاروا بسرعة في معظم قارات العالم حيث يتواجد حاليا في حوالي 60 دولة عندما تم نقل طوائف النحل المصابة بالفاروا من أسيا إلى معظم القارة الأوروبية وأمريكا الجنوبية وشمال أفريقيا (Morse and Hooper 1985) .

وصف حلم الفاروا :

الأنثى البالغة ذات شكل بيضوى مفلطح قليلا ولونها بنى محمر وطولها 1.1 ملليمتر وعرضها 1.5 - 1.7 ملليمتر ولها أربعة أزواج من الأرجل أما الذكور والإناث الغير بالغة فهي أصغر قليلا من الإناث البالغة ولونها أبيض أو أبيض مصفر ونادراً ما ترى إلا إذا تم فتح العيون السداسية المقفلة، بينما يمكن مشاهدة الإناث البالغة داخل العيون السداسية لمقفلة أو تمشى على الأقراص أو ملتصقة بنحل الطائفة سواء بالشغالات أو الملكة أو الذكور بين الرأس والصدر أو على الصدر أو البطن .

دورة الحياة:

تعتبر معرفة دورة حياة حلم الفاروا مهمة جداً وضرورية من أجل مقاومة هذه الآفة والوصول إلى نتائج ملموسة. تدخل أنثى الطفيل إلى العين السداسية المحتوية على يرقة النحل وذلك قبل يوم أو يومين من إغلاق العيون السداسية وتتحرك أولا إلى قاع العين السداسية وتغمر نفسها في غذاء اليرقة الذي وضعته الشغالات الحاضنة، وبعد ساعات قليلة (حوالي 4 ساعات) من إغلاق العين السداسية تصبح أنثى الفاروا حرة نتيجة نشاط يرقة النحل في التغذية وتبدأ فى التغذية على دم اليرقة. وبعد حوالي 36 ساعة تقريبا من إغلاق العين السداسية تبدأ في وضع البيض بين يرقة النحل وجدار العين السداسية. يفقس البيض إلى حوريات تبدأ في التغذية على دم عذارى النحل وتنسلخ إلى طور الحوريات الثاني وبعد عدة أيام من التغذية تنسلخ حورية الفاروا الانسلاخ الأخير إلى الطور البالغ حيث تتم دورة الحياة بالكامل داخل العين السداسية المقفلة وتكون 6 - 7 أيام للذكر ومن

7 – 8 أي أن للأنثى. بعد ذلك يحدث التزاوج داخل العين السداسية المقفلة أيضا وتغادر إناث الفاروا العيون السداسية مع النحل الصغير الخارج من العيون السداسية حيث تكون ملتصقة بين حلقات البطن في العادة وتبدأ في التغذية على دم النحلة البالغة ثم تدخل العيون السداسية للحضنة حيث تتغذى على اليرقات والعذارى وتبدأ في وضع البيض معيدة بذلك دورة حياتها من جديد. أما الذكور فأنها تقضى بقية حياتها القصيرة داخل العين السداسية لأنها تموت بعد فترة قصيرة من تلقيح الإناث نتيجة عدم قدرتها على التغذية في الطور البالغ لأن أجزاء فمها تكون متحورة لنقل الحيوانات المنوية .

إن عدد البيض الذي تضعه أنثى الفاروا في العين السداسية ومدة بقاء العين السداسية مقفلة يحدد عدد الحلم في تلك العين نظرا لأن الحلم يمكن أن يعيش فقط في حالة وصوله إلى مرحلة البلوغ وقت خروج النحل الصغير من العيون السداسية. ولأن العيون السداسية للذكور تظل مقفلة فترة أطول فأن أكثر أعداد حلم الفاروا (والتي قد تصل إلى 20) يمكن خروجها من عين سداسية واحدة .

كيفية حدوث الإصابة :

إذا تعرضت إحدى طوائف المنحل للإصابة بحلم الفاروا فأن جميع طوائفه ستكون عرضة للإصابة أيضا وهذا قد يحدث بالطرق التالية :

1) عن طريق دخول النحل الخطأ لغير خلاياه (drifting).

2) عن طريق انتقال الحلم من شغالة إلى أخرى في المرعى أثناء جمع الغذاء .

3) عن طريق النحل الذي يدخل إلى خلايا المنحل الأخرى لغرض السرقة .

4) نقل طوائف المنحل من مكان إلى أخر يزيد من نسبة الإصابة بالمنطقة .

5) عن طريق نقل أقراص حضنة مقفلة من خلية إلى أخرى .

6) عن طريق الطرود الطبيعية التي قد تكون مصابة ويقوم النحال بإسكانها بمنحلة

قبل التأكد منها. وينتشر الفاروا أيضا باستيراد ملكات أو طرود مصابة.

مدى تأثير الإصابة على النحل :

يتغذى حلم الفاروا على اليرقات والعذارى داخل العين السداسية المقفلة وتعتمد نسبة الضرر على عدد العناكب فإذا كأن هناك أكثر من خمسة عناكب داخل العين السداسية الواحدة فأن النحل قد تموت قبل خروجها من العين السداسية أو بعد ذلك بوقت قصير أما إذا كأن عدد العناكب أقل من خمسة فقد تخرج النحلة من العين السداسية بصورة طبيعية ولكنها تفقد الكثير من وزنها وحجمها. كذلك فأنه غزو الطفيل للطائفة يؤدى إلى نقص في وزن الشغالة الصغيرة (Getcher , 1994). وتكون أجنحتها مشوهة وبعض أرجلها مفقودة وتموت في سن مبكرة وهنا تتناقص قوة الطائفة ويقل عدد النحل الصغير بها وتموت ثلاث سنوات من غزو الطفيل لها. وعند تواجدها داخل الطائفة ملتصقة بالحشرات الكاملة تثقب أنثى الطفيل الغشاء الموجود بين الحلقات البطنية وتتغذى على الدم ونتيجة لذلك يضعف النحل وتدخل الجراثيم عن طريق الجروح المفتوحة إلى الدورة الدموية للنحلة وهذا يقصر من عمرها. كذلك فقد أتضح أن حلم الفاروا يحمل فيروس الشلل الخطير (Acute Paralysis Virus) الذي يدخل دم النحلة التي يتغذى عليها الطفيل وفي نفس الوقت يمكن ملاحظة أعداد كبيرة من البكتيريا في دم النحلة المصابة .

اكتشاف وجود الفاروا بالطائفة :

نظرا لأن نسبة تكاثر الطفيل منخفضة فقد تقضى 3 – 5 سنوات من بدء الإصابة قبل أن يتمكن الطفيل من إضعاف الطائفة بصورة ملحوظة وفي هذه الفترة يمكن ملاحظة وجود الحلم في الطوائف الصغيرة شديدة الإصابة ولأنه من الضروري جدا التأكد من وجود الطفيل في فترة مبكرة من الإصابة لنتمكن من مقاومته فأن أبسط طريقة للتأكد من وجوده هي عن طريق فحص مخلفات الخلية وذلك باستعمال دخان التبغ، والطريقة كالآتي:

1) توضع قطعة بيضاء نظيفة من الورق المقوى على قاعدة الخلية ويغلق مدخل الخلية بالكامل تقريبا وذلك عند الغروب بعد عودة النحل السارح وذلك لاحتمال وجود الطفيل ملتصقا بالشغالات في حالة وجود إصابة .

2) يشعل المدخن باستعمال بعض ورق الجرائد وعندما يقترب الورق من الاحتراق تماما يوضع فوقه حوالي 3 جم من التبغ، وبعد أن يبدأ التبغ في الاحتراق يدخن على الخلية بهدوء من المدخل ثم تقفل فتحة المدخل تماما لمدة ساعة .

3) تسحب الورقة من على قاعدة الخلية صباح اليوم التالي ويتم فحص المخلفات لملاحظة وجود الفاروا .

يمكن أيضا استعمال لوح من اللدائن مغطى بشباك وهو خاص بتشخيص واكتشاف الإصابة بالفاروا حيث يوضع اللوح على قاعدة الخلية بدل الورق المقوى وميزته أنه يحتفظ بأي شيء يسقط عليه من خلال الشباك ويمنع النحل من حمله وإلقائه خارج الخلية وبذلك يمكن تركه لفترة على قاعدة الخلية. ويمكن كشط بعض أغطية العيون السداسية لحضنة الذكور وفحص العذارى الموجودة بها لملاحظة وجود حلم الفاروا .

مقاومة الفاروا :

ليس هناك طريقة فعالة تماما لمقاومة حلم الفاروا خاصة في حالة استفحال الإصابة وانتشارها في المنحل، ولكن يمكن أن يعتمد النحال برنامج الوقاية قبل المقاومة والعلاج وذلك على النحو التالي :

أولاً: الوقاية :

وتشمل محاولة تجنب الإصابة ومحاولة التقليل من الإصابة .

(1) محاولة تجنب الإصابة :

أ – عدم استيراد ملكات أو نويات أو طرود من مناطق موبوءة بالفاروا .

ب - تنظيم النحالة المتنقلة ووضعها تحت رقابة دقيقة وذلك لمنع انتشار الإصابة من منطقة إلى أخرى أو من مناحل مصابة إلى أخرى سليمة.

ج - التأكد من خلو الطرود الطبيعية من الإصابة قبل إسكانها بالمنحل .

(2) محاولة التقليل من الإصابة :

أ - منع حدوث السرقة بين الطوائف وذلك بتوفير الغذاء الضروري لها وتغذيتها عند نضوب مصادر الرحيق .

ب- التقليل من دخول النحل الخطأ لغير خلاياه (drifting) وذلك بعدم وضع خلايا المنحل في خطوط مستقيمة ووضع علامات مختلفة على الخلايا حتى يتعرف النحل السارح على خليته بسهولة، مع ترك مسافة مناسبة بين الخلية والمجاورة لها (حوالي 2 - 3 متر) .

ج- محاولة عدم نقل أقراص بها حضنة مقفلة من طائفة إلى أخرى .

د - عزل الطوائف المصابة أو المشكوك في إصابتها حتى يتم التركيز عليها والعناية المكثفة بها .

ثانياً: المقاومة والعلاج :

(1) الطرق الطبيعية وتشمل :

أ - التخلص من حضنة الذكور حيث إن حلم الفاروا يفضل حضنة الذكور لأنها تبقى مقفلة أطول من حضنة الشغالات ولذلك فأن إحدى الطرق لمقاومة الطفيل هي إزالة حضنة الذكور المقفلة والتخلص منها ويمكن زيادة فعالية هذه الطريق بإضافة قرص يحتوى على عيون سداسية خاصة بالذكور فتضع به الملكة البيض وتدخل إناث الفاروا للتكاثر به فيتم التخلص من القرص بعد أن تقفل الشغالات العيون السداسية .

ب- حجز الملكة على قرص واحد بالخلية لتضع به البيض فتتجه إليه إناث الفاروا

لدخول العيون السداسية ووضع البيض بها فيتم التخلص منه وتغييره بأخر فيتقلص عدد الفاروا بالخلية بدرجة كبيرة .

ج- تعطيل استمرار دورة الحضنة وذلك بالتقفيص على الملكة لمدة 21 يوما ومنعها من وضع البيض وعندها تكون كل الحضنة قد خرجت وتوجد لإناث الفاروا في هذه الحالة ملتصقة بالنحل البالغ فقط، وهنا يتم استعمال أية طريقة من الطرق الكيماوية للقضاء عليها .

(2) الطرق الكيماوية :

يفضل الكثير من مربى النحل استعمال المواد الكيماوية في مكافحة حلم الفاروا وغيره من الطفيليات التي تصيب النحل وذلك لسهولة المكافحة الكيماوية في نظرهم، ولكن التركيز على استعمال الموارد الكيماوية يجلب العديد من المشاكل مثل قتل الكثير من النحل والحضنة واحتمال تلوث العسل والشمع بالمواد الكيماوية المستعملة. على العموم يجب معالجة المنحل بالكامل في حالة حدوث إصابة في بعض الطوائف وذلك نظراً لسرعة انتشار حلم الفاروا، ويفضل معالجة كل المناحل بالمنطقة. ولتجنب تلوث العسل والشمع يجب عدم استعمال المواد الكيماوية قبل أربعة أسابيع من موسم الرحيق أو خلال موسم الرحيق .

ولأن معظم المواد الكيماوية المستعملة لا يمكنها تخلل غطاء العيون السداسية للحضنة المقفلة فيجب استعمال المقاومة الكيماوية فقط عندما لا يكون هناك حضنة مقفلة، ولأن هذا صعب جدا فيجب استعمال المقاومة الكيماوية عندما تكون الحضنة مقفلة أقل ما يمكن. أن استعمال المبيدات الكيماوية أثناء وجود كمية كبيرة من الحضنة المقفلة لا يؤدى الغرض لأن هناك أعداد كبيرة من الحلم في أطواره البالغة والغير بالغة داخل العيون السداسية المقفلة والتي ستهرب من تأثير المواد الكيماوية المستعملة. هذه الأعداد من الحلم تشكل الاحتياطي الذي يعيد الطفيل إلى أعداده الكثيرة السابقة عند وقف استعمال المكافحة الكيماوية ولذلك فأن استعمال المكافحة الكيماوية عند وجود كميات كبيرة من الحضنة المقفلة غير

فعال وإضاعة للجهد والمال .

هناك الكثير من الموارد الكيماوية المستعملة في مناطق مختلفة من العالم وهي تختلف من دولة إلى أخرى حسب نوع المواد المصرح باستعمالها في هذه الدولة أو تلك، ويمكن استعمال الكثير من الطرق للحد من انتشار هذا الطفيل ويستعمل النحالون بالجماهيرية بصفة خاصة بعض المواد الكيماوية الفعالة والمصرح باستعمالها وهي :

أ - شرائط أبيستان (Apistan) وهي عبارة عن شرائط من البلاستيك مشبعة بمادة كيماوية (Fluvalinate -Tau) حيث يتم تعليق شريطين في الخلية العادية وذلك بين البروازين الثالث والرابع والبروازين السابع والثامن في صندوق الحضنة وتترك بالخلية لمدة 6 - 8 أسابيع حيث تكون هذه الفترة كافية جدا لخروج كل الحضنة والقضاء على حلم الفاروا الموجود بها والملتصق بالحشرات الكاملة. تستعمل هذه الشرائط مرة واحدة ويتم بعد ذلك التخلص منها، ولا يجب استعمال الشرائط مرة أخرى لأن هذا قد يؤدى إلى وقاية غير كافية وبذلك تعود الإصابة للطائفة بالإضافة إلى أن الشرائط المستعملة قد تكون حاملة لأي مرض. وتتحقق أفضل النتائج عند استعمال شرائط ابيستان مع نهاية فصل الصيف بعد جمع العسل وذلك للمساعدة على التشتية أو في الربيع قبل موسم الفيض لضمان نمو طائفة سليمة، ولكن يمكن استعماله في أي وقت من السنة متى دعت الحاجة .

ب- استعمال شرائط فولبكس (Folbex VA) التي تحتوى على مادة (Bromopropylate) التي يمكن تركها تحترق ببطء داخل الخلية حيث يتم تعليق أحد هذه الشرائط في برواز خشبي بواسطة قطعة من السلك المعدني وتوضع عاسلة فارغة فوق الخلية المراد معاملتها ويوضع بها البراوز المحتوى على شريط الفولبكس وبعد عودة النحل السارح عند الغروب يتم أحكام إغلاق أجزاء الخلية ويتم إشعال النار في شريط الفولبكس حتى يبدأ في الاحتراق

بدخان أبيض دون لهب، ثم يتم إغلاق مدخل الخلية وتترك مغلقة لمدة 30 دقيقة يتم بعدها فتح مدخل الخلية فنجد أن الدخان يقضى على حلم الفاروا بينما يتحمله النحل. ويجب إعادة معاملة الطوائف بنفس الطريقة أربع مرات على فترة أربعة أيام بين المرة والأخرى مع مراعاة أن تتم هذه العملية عندما تكون درجة الحرارة الخارجية أعلى من 8 درجات مئوية. أما بالنسبة للطوائف الضعيفة والشديدة الإصابة أو المصابة بمرض النوزيما أو عديمة الملكة فيجب أن تعدم. يجب كذلك أن يكون بالطائفة كمية مناسبة من الغذاء الجاهز لاستعمال النحل أثناء استعمال الفولبكس بأن يقوم النحال بكشط بعض أقراص العسل لجعلها في متناول النحل أو تغذية النحل بمحلول سكرى.

أسباب عدم كفاءة المقاومة الكيماوية

(1) استمرار وجود المقفلة والتي تحتوى على عدد من حلم الفاروا لا تصله المواد الكيماوية داخل العيون السداسية والتي بإمكانها التكاثر وتكرار الإصابة عند توقف استعمال المواد الكيماوية .

(2) صعوبة منع انتقال الإصابة من الطوائف الأخرى عن طريق الدخول الخطأ للنحل لغير خلاياه أو عند السرقة .

(3) يستعمل الكثير من النحالين أقل من الجرعة المحددة للعلاج وذلك من أجل التوفير حيث يقوم الكثير منهم بقص شرائط الابيستان مثلا ووضع نصف شريط فقط في كل طائفة وهذا قد يؤدى إلى أن يكتسب حلم الفاروا مناعة نتيجة عدم استعمال الجرعة اللازمة .

المناقشـــــــة

إن الأضرار التي يسببها حلم الفاروا لتربية النحل بصفة عامة تعطى هذا الطفيل أهمية كبرى في مختلف مناطق العالم من أجل محاولة الحد من انتشاره حيث إن حلم الفاروا قد أنتشر بسرعة مخيفة وفي فترة قياسية ليصبح بذلك من أخطر أعداء مربى النحل نظرا لما يسببه من خسائر بلغت مئات الآلاف من الطوائف في بعض البلدان. ومما يزيد من خطورة هذا الطفيل كون عملية انتقاله من طائفة إلى أخرى ليست صعبة وتتم بأكثر من طريقة وبالتالي فأن هذا يزيد من حدة انتشاره وكثرة خطره وصعوبة مقاومته ولذلك كأن من الضروري جداً العمل على معرفة الطرق المناسبة لاكتشاف وجوده في بداية انتشاره حتى تتم عملية احتوائه ومحاولة القضاء عليه. وهذا لا يتأتى إلا باهتمام الجهات المسئولة بهذا الأمر لأن معظم مربى النحل بالجماهيرية يتعاملون مع النحل لإنتاج العسل بالدرجة الأولى وليست لديهم الدراية الكافية بما يصيب الطوائف من أمراض أو آفات ولكن لدى الكثير منهم الرغبة في التعلم واكتساب المعلومات وهذا هو الأساس لأن أسلم طريقة للتعرف على أي مرضٍ أو ظاهرة غريبة بالمنحل وخصوصا في المراحل الأولى هو أن يكون النحال متعوداً على مظهر الحضنة الطبيعي والنحل السليم لأن أي تغيير في هذا المظهر يعنى الشك في وجود شيء يحتاج إلى التدقيق في حالة الطائفة وقد يساعد كثيرا الاستفادة من نصائح من لهم خبرة في هذا المجال. ونظرا لأنه ليست هناك طريقة فعالة حتى الآن في مقاومة هذا الوباء فأن التعاون ضروري بين مربى النحل في كل منطقة من المناطق من حيث المساعدة في اكتشاف الإصابة وتنسيق برنامج المقاومة، والتخطيط السليم لتنظيم النحالة المتنقلة .كذلك فأن من الضروري أن تهتم الجهات المسئولة بتوفير العلاج بكميات كافية وتوفير المعدات اللازمة للحد من انتشار هذا الوباء لأنه حتى الآن ليس هناك أي اهتمام يذكر بما يصيب النحل من أمراض وآفات، حيث يعتقد الكثير أن هذه لا تشكل أي خطر ولكنها ستقضى على تربية النحل بالكامل ما لم تسخر الإمكانيات اللازمة لتربية النحل ومقاومة الأمراض والآفات التي تصيبه لأن تربية النحل ليست من أجل إنتاج العسل فقط فبالإضافة إلى إنتاج الشمع والغذاء الملكي وسم النحل والبروبوليس لا ننسى الدور الهام والحيوي للنحل في تلقيح الأزهار وزيادة الإنتاج الزراعى بصفة عامة .

الخـلاصـة

يواجه المهتمون بتربية النحل الكثير من المشاكل التي تجعل من هواية تربية النحل مهمة شاقة نوعا ما، ومن ضمن هذه المشاكل الأمراض والآفات التي تصيب النحل وتهدد بقاءه وعلى وجه الخصوص طفيل الفاروا. ونظرا لعدم دراية الكثير من مربى النحل بسلوك هذه الآفة أو كيفية الحد من انتشارها فأنهم يتجهون دائما إلى استعمال المواد الكيماوية وبكثرة نتيجة الاعتقاد الخاطئ بأنه كلما استمر النحال في استعمال المقاومة الكيماوية كلما كانت الفرصة أكبر في التخلص من حلم الفاروا، كما أن الكثير من النحالين ونتيجة عدم توفر العلاج المناسب وأيضا لعدم درايتهم بل وجهل بعضهم بالطرق السليمة لاستعمال المواد الكيماوية وعدم معرفتهم بالمواد المصرح باستعمالها يقومون باستعمال ما يتوفر لديهم وما يقترحه عليهم الكثير من المتطفلين على تربية النحل والذين ينظرون إليها من منظور الربح فقط وهذا يؤدى بالتالي إلى الكثير من المشاكل كإضعاف طوائف النحل والتقليل من إنتاجها وكذلك اكتساب الطفيل للمناعة نتيجة الاستعمال المستمر للمواد الكيماوية بتركيزات غير سليمة، وترسب بقايا المواد الكيماوية في العسل والشمع. ولذلك لا بد أن يتم التعاون بين مربى النحل وجهات الاختصاص لتطبيق النقاط التالية :

(1) الاهتمام الجدي بتوفير العلاج اللازم وبأسعار مناسبة وكميات كافية لأنه لا يجب الاستهانة بهذا الوباء الذي بدأ يهدد بالقضاء على تربية النحل بالجماهيرية.

(2) توفير المعلومات عن هذه الآفة حتى يعمل المربون على تجنب انتشارها ومحاولة القضاء عليها .

(3) استعمال المواد الكيماوية المعتمدة من الجهات المسئولة والمصرح باستعمالها .

(4) قراءة الإرشادات واستعمال الجرعة المقررة وفي الوقت المناسب .

(5) ضبط ومعاقبة الأشخاص الذين يقومون ببيع أو استعمال مواد كيماوية غير معروفة أو غير مسجلة أو غير مصرح باستعمالها .

(6) التنسيق بين مربى النحل في كل منطقة بحيث يتم علاج مناحلهم في نفس الوقت.

(7) تنظيم عملية النحالة المتنقلة بحيث يتم حصر الطوائف المصابة في مكان واحد حتى يتم التركيز عليها والعناية بها وعلاجها لمنع انتشار الطفيل.

(8) عدم استيراد ملكات أو طرود إلا بعد التأكد من عدم إصابتها بأي من أمراض وآفات النحل وخاصة طفيل الفاروا .

المـــراجـــع

1 - Ball, B. A.1985. Acute Paralysis Virus isolates from honeybee colonies in fested with Varroa Jacobsoni - Journal of Apicultural Research. 24 (2): 115 - 119

2 - Muschter, C. 1983. Folbex VA Versus Varroa disease. Ciba - Geigy Journal. (2): 1- 4 .

3 - Morse, R. A. and Hooper, T. 1985. The Illustrated Encyclopedia of Beekeeping. Alphabooks, Sherborne, Dorset. 432 pp .

4 - Getcher, I. 1994. Changes in the weight of hatching workerbees as a function of the degree of infestation by the acarus Varroa Jacbsoni. Apiacta (1):8 - 11 .

الجامعات المنشودة للقرن الحادي والعشرين

(رؤية مستقبلية للجامعات العربية)

□ د. مفتاح محمد عبد العزيز

❖ أستاذ الصحة النفسية والعلاج النفسي

❖ جامعة قاريونس

❖ بنغازي / الجماهيرية الليبية

❖ البيضاء - الجماهيرية

مقدمـــة

في نظري أن الجامعة المطلوبة هي تلك التي تعمل على أن تجعل من كل قدرة عقلية ضميراً، أي التزاما شخصيا نحو الوطن الذي توجد فيه وتقوم بخدمته. فالجامعة وفق تعبير (رياض قاسم)[1] هي ((حرم العقل والضمير، هذا يعنى أن وظيفة الجامعة لا تتوقف عند حدود بناء العقل والمعرفة، بل تسعى إلى بناء الجوانب الأخلاقية في إطار الحياة الاجتماعية، فهي حرم الضمير لأنها تؤمن بأن المعرفة الإيجابية مهما عززت تبقى ناقصة ما لم تؤيدها مناعة أخلاقية ويزكيها سمو أخلاقي)) .

ويضيف السيد (محمد سليم) [2] إلى ذلك أن الجامعة نقطة اتصال بين الأجيال وبالذات جيل الطلبة والأساتذة، حيث الفرد هنا يتعرض لكافة التيارات الفكرية والقيم الاجتماعية، وهذا ما يقوده بالتالي إلى منظور أكثر تركيبا وواقعية للأشياء ويقول في وصفه للبنية التفاعلية في الجامعة أنها ((مكان لالتقاء الأجيال والفئات الاجتماعية وبوتقة لانصهارها في غمار عملية السعي المشترك نحو المعرفة. إن الفعل الذي تمارسه الجامعة هو فعل تربوي، أي ليس مجرد فعل تعليمى، بل هو أوسع دائرة وأعمق إثراء فالجامعة تنبه في العقل الطاقات والمواهب وتوقظ الذات من سباتها السلبي)) .

فالحديث عن جامعة المستقبل (الغد) في الوقت الذي تستغرق اهتمامنا جامعة اليوم يبدو في نظري إغراقا في الخيال وتهربا من مشاكلنا الحاضرة ومع ذلك من واجبنا أن نمد نظرنا نحو التفكير عن بعد مع أخذ الحاضر في الاعتبار في الوقت نفسه. ورسالة الجامعة يمكن إيجازها في خطوط عريضة على النحو التالي :

* التعليم وتعليم التعليم .
* والبحث وتعليم البحث .

المستقبل وتصوراته :

الإنسان يهتم بدراسة الماضى باعتباره نظاما أساسيا يوجه النظر إلى الحاضر ولا حرج في مواصلة هذا المنهج نفسه حتى لا يكرر التاريخ نفسه، ولكن يجب أن لا يصل ذلك إلى درجة "الاجترار" فمن الضروري أن نواصل البحث والاستكشاف ونتخذ منهما منهجا لمحاولة رسم خطوط المستقبل. وهنا يبرز لنا سؤال في غاية الأهمية، هل ترى في وسعنا أن نلمح المستقبل (الغد) ونقترب من واقع حياتنا فيه؟ في رأي هذا ممكن، ولكنه ليس أهم شيء، فالمهم حقيقة هو المساهمة الفعلية في تصوره، بحيث لا تأتى اللحظة الحرجة التي نرى المستقبل مغرقا لنا ومتجاوزا قدرتنا على التصرف نحوه. فعظمة الجامعة تكمن في رسم معالم خطوط الغد بعمل اليوم. ويجدر في هذا المقام أن أورد عبارة حكيمة قالها (توفلر Tofler) ((على كل مجتمع واعٍ أن يعمل حسابا لا لمواجهة مستقبل متوقع فحسب بل كذلك لمواجهة مستقبل ممكن، على أن يكون لديه تصور لمستقبل يؤثره لنفسه ويسعى من أجل تحقيقه)) [3]. ويجدر أيضا أن نذكر ما حدده (أو ثأنت UTHANT) في دقة بالغة التطور الذي نراه اليوم من عصر الصناعة إلى ما بعد الصناعة أو ما فوق الصناعة، فيقول: ((لم تعد موارد الثروة هي التي تفرض على الإنسان ما يتخذه من قرارات، بل أصبحت القرارات هي التي تخلق موارد الثروة .وهذا هو التغير الثوري الأكبر، ولعله أعظم تغير شهده الإنسان طوال تاريخه)) [4]. ويقول توفلر في كتابه (صدمة المستقبل) الذي يعالج فيه – على حد قوله مشكلة أولئك الذين يعانون من ضغط الحياة الحديثة عليهم والطريقة التي يتوافقون بها أو يعجزون عن التوافق مع الظروف التي تحيط بهم - ((أن تيار التغير من القوة بحيث يجرف في طريقه مؤسسات كاملة وأن يقلب ما درجنا على احترامه من قيم، بل أن يقتلع جذورنا اقتلاعا)). ثم بعد ذلك يقول ((التغير هو الظاهرة التي يغزو بها المستقبل حياتنا. والسرعة التي يجرى بها التغير في عصرنا الحاضر هي في حد ذاتها قوة قاهرة تترتب عليها عواقب خطيرة، شخصية ونفسية واجتماعية)) [5].

وفي نظري أن كل عمل ذهني أو إبداعي هو خاصية من خصائص الإنسان لا تتجاوزه إلى غيره من الكائنات. وحول هذا يقول (بيترو فيراري) ((يتطلب عالم الغد شباباً ورجالا يكونون من ناحية التخصص في مجالات عملهم، أن يكونوا أو يصيروا رجالا حقيقيين، أي كائنات مفكرة قادرة على التأمل وذات ثقافة إنسانية شاملة في مجتمع منظم متحضر)) (6) .

الجامعة ومفهوم التنمية الجديد :

الجامعة مصدر الثقافة وتأهيل القدرات، ولو أن الجامعة اكتفت بهذا النشاط الثاني أي تكون مركز تأهيل مهني فحسب، أي مصنعا للشهادات فأنها تكون قد أخلت بعملها الأساسي، وبذلك تنتقص دعائمها من الأساس، ولا تلبث أن تسير في طريق التدهور والانحلال، لأن هذا يعني خلطاً فادحاً بين التعليم والتلقين، بين نشر العلم والإعلام، بين التكوين الحقيقي والتكوين الظاهري .

وفي نظري أن مصدر هذا الخلط هو الفهم الخاطئ لمفهوم "الثقافة" وذلك لأن الجامعة حينما تعلم مادة من مواد التخصص في أي مجال من المجالات فأنها في الوقت نفسه تقوم بمهمة اكبر من ذلك بكثير، هي التكوين الكلى الشامل لشخصية الطالب. ولهذا فأنه بين هذين المفهومين – التلقين والمعرفة – علينا أن نحرص على أن تكون المعرفة هي الهدف الأول من التعليم الجامعي فالمعرفة هي الطريق إلى "الثقافة" وهذه هي رسالة الجامعة الحقيقية وإلا تحولت إلى مجرد مؤسسة تعليمية مثل غيرها .

وفي نظري إلى جانب التكوين الكلى الشامل ثم التأهيل المهني الأساسي وهما ما ينتظر من الجامعة أن تمنحه وما نطلب منها أن تفي به بالنسبة لطلابها، على الجامعة ألا تكون طريقا لتفوق طبقة اجتماعية معينة، بل لتفوق الكفاءات المتميزة. عن طريق التكوين العلمي والعملي على أعلى مستوى لا التأهيل المهني. فالخطر الذي يهدد الجامعة هو أن يتحول الطالب فيها إلى طالب شهادة لا حريص على تكوينه الإنساني والعلمي الشامل ولهذا فينبغي ألا ننتظر في مدرجات الجامعة

جماهير من المتفرجين بل شباباً طموحا طالبا للمعرفة والبحث مشاركا في العملية التعليمية بشكل فعال، وبهذا تصبح الجامعة ملتقى فكريا حقيقيا ولا تتحول إلى مكتبا يصدر الشهادات والدبلومات .

فالجامعات العربية كما يرى (فاخر عاقل) [7]، تعاني انعدام الحياة الجامعية الصحيحة وتفتقر إلى التقاليد الجامعية "فالجامعة ليست محاضرة تلقى أو درسا يدرس أنما هي صلة بين الأستاذ والطالب، كما أنها طريقة في الحياة والتعامل" ويقول (محمد جواد رضا) [8]: "أن الجامعات العربية تحولت إلى مؤسسات بيروقراطية تخاف الحرية وتخشى التجديد". فالتجديد أمر تتطلبه الضرورة التاريخية. وهنا يبرز دور الجامعة التي تتميز بدرجة عالية من المرونة والقدرة على تمثل الجديد وإعادة إنتاجه. ومن هنا تأتى خصوصية المؤسسة الجامعية في تحقيق دورة التغير السريع بما يلبى الضرورة التاريخية للقرن الحادي والعشرين الذي من أحد خصائصه التغير المتسارع، وتتجلى هذه الخصوصية في عدد واسع من المعايير كما حددها (على وطفه) [9] :

1 - التواصل الحضاري والعلمي الذي تحققه المؤسسات الجامعية مع الثقافات والحضارات الإنسانية المتجددة .

2 - البنية العلمية والثقافية المتطورة لأعضاء الهيئة التدريسية الذين أتيحت لهم فرصة اللقاء المباشر والعيني لمد التطورات الحضارية في بلدان دراستهم وفي بلدان مؤتمراتهم ورحلاتهم العلمية .

3 - هامش الحرية الكبير والمتاح لأعضاء الهيئة التدريسية بالقياس إلى أعضاء الهيئة التعليمية في المؤسسات ما قبل الجامعية .

4 - الوزن الاعتباري والمهم الذي شكله الأستاذ الجامعي في الحياة الاجتماعية والعلمية. وذلك يعطيه إمكانيات أوسع في توجيه العملية التربوية وفقا للسياق الحضاري المتطور، وفي التأثير في بنية الحركة التعليمية والاجتماعية في المجتمع .

5 - خصوصية البنية الطلابية للجامعة والتي يمكن لها أن تسهم في الحركة الحضارية بدرجة واسعة عبر منظمات الطلبة ونشاطاتهم الفكرية والعلمية والاجتماعية.

في رأي التنمية الكبرى المطلوبة من الجامعة، بل الوحيدة التي يعتد بها هي التنمية الإنسانية العقلانية المعرفية، أن أهم واجب يتحتم القيام به هو التوسع والتنوع في التعليم الجامعي إلى أقصى حد ممكن خلال زمن كاف يستطيع الشباب فيه اتخاذ قرارات طبقا لقدراتهم على الاستمرار في هذا التعليم وبحسب طبيعة الدراسة. وبذلك يرتفع مستوى المجتمع أو الأمة، بارتفاع مستوى أغلى ثرواته القومية أي الشباب. ربما قد يؤدى هذا التوسع الجامعي إلى إقلال نسبة الشباب الذين يدخلون ميدان العمل في سن مبكرة وقبل أن ينالوا قسطاً من التعليم. إذا أردنا التكوين الكلى الشامل للإنسان لا لخدمة مجتمعه أو أمته فحسب لأن العلاقات متشابكة بين بلدان العالم. فأن الاهتمام بالطالب الجامعي يعد من المسائل الأساسية، وهو ما يجب أن توليه المجتمعات أو الأمة العربية اهتماماً كبيراً لا يكتفي بالتعليم التقليدي الموروث، وإنما يحاول التجدد والاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين يقدم لشباب المجتمع أو الأمة نموذجا للتفتح والمرونة والقدرة على مسايرة التطور العصري الحديث. ولتحقيق هذا الهدف ينبغي أن يرسخ الوعي في أذهان المجتمع .

إن رسالة الجامعة ليست "صناعة متخصصين" وإنما المساهمة قبل كل شيء بدور طليعي في رفع المستوى الثقافي للمجتمع، بتخريج أفراد يعتمد فكرهم على قاعة عريضة من المعارف تسمح لهم بالتخصص المهني السريع القادر على التوافق بالظروف الجديدة والاستفادة من كل ما يأتي به عصرنا القادم المتطور من مستحدثات بحيث يستطيعون بحكم هذه المرونة أن يعدلوا مسارهم المهني خلال وقت قصير استجابة لمتغيرات المجتمع ولظروفه الخاصة. فمن وجهة نظري أن الإنسان "الفاعل" في القرن الحادي والعشرين سيكون الإنسان المتعدد المهارات وأهم من ذلك الإنسان القادر على التعلم الدائم "المستمر" والذي يقبل إعادة التدريب والتأهيل عدة مرات في حياته العملية، والمجتمع "الفاعل" في القرن القادم سيكون مجتمعا تستأثر فيه (خدمات المعلومات) بأكبر نصيب من القوة البشرية،

وبذلك تقع على النظام التعليمي المسؤولية في إعداد فرد ومجتمع بهذه المواصفات .

هذا وحده ليس كافياً، فعلى الجامعة مهمة تخريج رجال ونساء يعرفون أن النشاط الإنساني أوسع وأعمق بكثير من مجرد العمل المهني ويحسنون استخدام وقت فراغهم في مزيد من اكتساب المعارف، ولاسيما أن هذا العصر سوف يزداد بشكل مطرد بسبب تلك الظاهرة التي لا سبـــيل لدفعها وهي الاستعاضة عن الجهد البشرى بالآلة في كثير من الأعمال. ويتغير مفهوم البطالة وانتهاء العمل العضلي والإقبال نحو العمل العقلي الذهني.

وأخيراً على الشباب أن يدرك ويعرف كيف يعيش حياة كاملة متفقة مع التقدم العلمي والاجتماعي والنفسي الحالي الذي لا ينبغي أن يقاس فقط بمدى النمو الاقتصادي، وهو المعيار السائد اليوم، لأنه قد ثبت عدم كفايته وكذلك بعده عن تحقيق أمال الإنسانية .

"فالسيادة لمن يملك المعرفة بمعناها الواسع، المعرفة سلطة، والمعرفة تجعل الحياة خالية من العنف، فالعنف سلطة متدنية نوعية، والثروة سلطة متوسطة نوعية، أما أعلى نوعية للسلطة تأتى من استخدام المعرفة، فهي تزيد من كفاءة الإنسان، أن التحكم في المعرفة هو لب ما سيدور غدا من صراع على السلطة في كل مؤسسة بشرية في العالم [10] وهنا تكمن حرية المعرفة لماذا ؟ " فالمعرفة حق طبيعي لكل إنسان "[11] فهي حق طبيعي لكل مواطن أن يحصل عليه، فجميع المواطنين إذن لهم الحق في أن يتمتعوا بمستوى ثقافي عال، ولكن الجامعة لا ينبغي لها أن تخفض مستوى التعليم فيها ولا أن تنحرف عن وظائفها الأساسية .

الرؤية المستقبلية :

بالرغم من اختلاف الجامعات في أهدافها حسب ظروفها الاجتماعية والبيئية والثقافية التي نشأت فيها، إلا أن هناك مجموعة من الأهداف تصبوا إليها كل جامعة في أي مجتمع أو أمة كما حددها (رونيه أوبير) [12].

1 – الارتقاء بالعلم .

2 – تعليمه من اجل ممارسة مهن يتطلبها المجتمع .

3 – تدريب الطلاب على البحث العلمي وطرائقه .

4 – نشر العلم .

ويلاحظ الباحث أن أهداف الجامعة في المجتمعات الغربية منها والشرقية قد خلت من الجانب الروحي والقيم والمبادئ الأخلاقية التي لها نصيب وافر في جامعتنا العربية. ولما كان التعليم الجامعي له الأثر الأكبر في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والعقلانية فهو تعليم ذو مواصفات مميزة تجعله عاملاً رئيسيا من عوامل التنمية الشاملة .وتواجه الجامعات في المجتمعات النامية مسؤوليات متعددة بجانب مسئولياتها الأكاديمية، وخاصة لدورها المستمر والمتصل بالتقدم العلمي والتطور التكنولوجي الحضاري السريع للقرن الحادي والعشرين .

وهي مسؤولية تتمثل في أطوار عديدة كما يحددها (د. كيرتز)[13]:

1 - نقل التكنولوجيا المعاصرة. وهي عملية تأخذ في حسبانها نوعية النمط المناسب والإعداد اللازم والتخطيط السليم لتحقيق عائد مقبول لعملية تعتبر في حد ذاتها استثمارا ضخما .

2 – تطوير ما ينقل من أطوار التكنولوجيا تتواءم مع مقتضيات وأهداف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

3 – إبداع تطور علمي وتكنولوجي ينبع من ذات المجتمع ويتلاءم مع طبيعته واحتياجاته على المدى القصير .

فالجامعة – كما ذكرت- مؤسسة أكبر من كونها مركز ينقل إلى طلابه مجموعة من المعارف العلمية أو يدربهم على بعض التطبيقات العلمية بالإضافة هي المركز الذي يعد – بدرجة قد تتفاوت في التوفيق بحسب ما تسمح به الظروف –

معلم الغد، والذي يمارس البحث ويعد باحث المستقبل. وهو الذي يدرب الشباب على تنمية قدراتهم العقلية والفكرية النقدية البناءة ويوجههم إلى التحليل العميق الحر للبيئة المحيطة بهم، ولا يخلو أي مجتمع من أصوات مازالت ترتفع منادية بالحد من دور الجامعة وجعله منحصراً فيما يمكن تسميته "بالتعليم الأكاديمي". في نظري أن عظمة الجامعة تكمن في التنوع الذي يثرى ولا يمزق ويوحد ولا يفرق، وقدرتها تتمثل في أن تقرب إلى الأذهان ما يبدوا معقدا وتسهل فهم التخصص لغير المتخصصين وتفتح أفاقا واسعة أمام أولئك الذين يحصرون أنفسهم أكثر مما ينبغي في مجالاتهم الضيقة سواء في العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية .

إن جامعتنا العربية مطلوب منها أن تتحول في خلال سنوات قليلة من جامعات "مهنية" إلى جامعات "بحثية" مما قد يؤدى إلى مفهوم جديد لمشكلة الدراسات العليا ونظرة مختلفة إلى الثقافة والتخصص. فالتغير الاجتماعي المتسارع أمر لا مفر منه، وعلى الجامعات العربية أن تضطلع في سياق هذا التغير بدور أساسي على وجه السرعة. لابد أن تجدد الجامعات العربية روحها وفي شكلها. وستظل محتفظة بهدفها ومعناها الأساسي. والتغير الذي ستشهده الجامعات العربية يتمثل في مظاهر عديدة :-

1 - ينبغي عليها أن تتوافق مع ما يطرأ على المجتمع العربى من تطورات خلال القرن الحادي والعشرين .

2 - ألا تكتفي بمسايرة المجتمع لما يفرضه عليه تغيره، بل عليها أن تكون رائدة في هذا التغير .

3 - عليها أن تكون مستجيبة لواقع مجتمعنا الحاضر والمستقبل وتتحرر من تقاليدها الموروثة عن عهود سابقة .

وفي ضوء طرحنا السابق لمفهوم الجامعة أرى أنه من الضروري أن نبرز دور الجامعة العصرية – وفقاً لمطالب القرن القادم – ومسئولياتها فيما يلى :-

1- مسؤولياتها في التغيير باعتباره من الظواهر التي يتسم بها عصرنا الحاضر والمستقبل والتي لا يفر منها أي مجتمع من المجتمعات، ومن الضروري تجاوز القوالب التقليدية المستقرة .

2 - التنويع بصفته مطلبا اجتماعيا وعصريا. فمن الضروري أن نعد تصورا جديدا لما يجب أن تكون عليه الجامعة، إذا شرعنا في أي مراجعة تهدف إلى الإصلاح.

3 - ينبغي أن تتجه الجامعة بكل الأنظار في كل مشروع تحاول معالجته لتجديد التعليم. إلى هؤلاء الشباب الذين لا يمكن أن يصبحوا موضوعاً سلبياً لاستجابتنا للتحديات الكبيرة التي يعنيها تقدم العلم والتكنولوجيا والنمو الاقتصادي وتغير الأوضاع الاجتماعية .

فيما يتعلق بالدور الأول للجامعة العصرية، من المعروف أن النظام التعليمي ظل حتى الآن مسئولا عن التأهيل والتدريب الأساسي والمتخصص من أجل العمل، ولكنه لا يستطيع أن يتناسى مسئولية جديدة على النظام التعليمي أن يضطلع بها نحو ما يدعى "بوقت الفراغ"، إذ ينبغي عليه أن يحاول دفع المواطنين على استغلال هذا الوقت الحر بما يفيد المواطن ويعود بالمنفعة على المجتمع، لاسيما وأن هذا العصر يتجه إلى تزايد مستمر بفضل تقصير ساعات العمل وتقديم سن التقاعد أو الإحالة إلى المعاش. لذلك علينا إعادة النظر في مشكلة العلاقة بين وقت الفراغ والعمل. والبحث عن صيغة ملائمة لهذه المشكلة نجد صيغا متعددة تكتسب أهمية خاصة مثل "التعليم على البعد" وهو أسلوب يقدم خدمات تعليمية وثقافية تتجاوز حدود الزمان والمكان التي يخضع لها التعليم التقليدي. التعليم على البعد يبدو الآن من الطرق الجديدة غير التقليدية، فالتعليم يحتاج إلى قدرة على التخيل وإلى استخدام وسائل تجمع بين الجرأة والفعالية، كما أنه يمكن إذا احسن استخدامه أن يعين على تنمية الشخصية الفردية عن طريق نظم مرئية للإشراف والرعاية تحد من الأضرار الناجمة عن التوسع التعليمي. والمتمثلة في ضعف الصلة وعمق العلاقة

المباشرة بين التلميذ والأستاذ وهي صلة يتطلبها أي نشاط تعليمي .

أما الدور الثاني، أول ما ينبغي أن نقوم به هو التخلص من القوالب الجامدة عن الماضى وأن نرفض تلك الفكرة التي ترى أن تلك القوالب جزء من كيان الجامعة، وأسمى الأهداف التي ينبغي أن تتعلق بها الجامعة هي الإنسانية والثقافة فأنه يجب أن نلتزم بها التزاما كاملا. ونحرر الجامعة من ذلك التناقض الذي يحاول أن يحول هذه المؤسسة إلى طراز معين من المعرفة وإلى صفوة من المثقفين – فالجامعة المرتقبة تتطلب منا أن نعيد تكوين البنية الأساسية للجامعة وخاصة الانفتاح على تعدد المواد التعليمية الجديدة التي يتطلبها الحاضر والمستقبل، بمعنى أخر يجب أن نعمل على تنويع برامج الدراسة لا من أجل إدخال مواد جديدة تخصصية تواكب ما أحرزه التطور العلمي والتكنولوجي خلال الربع الأخير من القرن العشرين فحسب، بل لشيء أهم وأشمل من ذلك هو تغير العقلية والمفاهيم. لاكتساب القيادات الجامعية آلياتها اتساعا في المرونة لما يتطلبه التطور من إدخال مواد جديدة إلى ميادين التخصص والثقافة .

والدور الثالث الذي أطرقه في هذه التأملات لجامعة مرتقبة موجه إلى الشباب الدارسين هم علة وجود المؤسسة الجامعية، والذين ينبغي أن تتجه إليهم الأنظار في كل برامج معالجة تجديد التعليم. حتى لا يروا أنفسهم في ذلك الموقف الجارح للكرامة وهو موقف (البطالة) والحاجة إلى مد أيديهم لتلقى المعونة والمساعدة وهم في ريعان الشباب وأكثر قدرة على العمل والإنتاج. وهناك دراسات عديدة تشير إلى ما نلاحظه اليوم من تزايد في معدلات الجريمة والانحراف بين الشباب وما ينتشر بينهم من مواقف سلبية مضادة للمجتمع ومعادية له .

وأخيرا نقول نحن قادمون قبل فوات الأوان لكي نستبدل باليأس أملاً جديداً لوطننا العربى، علينا ألا نحبس أنفسنا في أبراج عاجية مهما كانت تبريرات ذلك، ولنخرج جميعا نحن الجامعيين في الوطن العربى لكي نعلن على امتنا العربية في شجاعة الحاجة العاجلة إلى تغيير شامل في مسيرة حياتنا الإنسانية حتى يتجه ركب

الحياة العربية نحو الوحدة وتحقيق كل إنسان عربي لذاته لا لخدمة فئة أنانية ونحو زيادة التفاهم والتسامح والاحترام المتبادل والعدالة الاجتماعية وكل ما يتوقف عليه مستقبل المجتمع العربي. ويجب أن تكون هذه المساهمة محسومة مرئية. على الجامعات العربية أن تسمع صوتها من خلال الجامعيين أنفسهم إذ أنهم الناطقون الحقيقيون باسم الشعوب العربية، وعلى شجاعة وجرأة الجامعيين وتصميمهم تعتمد جوانب كثيرة جوهرية من مستقبل الإنسان العربي .

الخـــلاصـــة

حاولت من خلال هذه التأملات أن أتناول موضوعاً ربما يكون من أهم موضوعات عالمنا العربى الحاضر والمستقبل، وهو موضوع (الجامعة المطلوبة) رؤية مستقبلية للجامعات العربية، لمواجهة مستقبل متوقع أو ممكن حيث تعد الجامعة هي قمة السلم التعليمي ومن أهم المؤسسات التربوية في المجتمع التي يمكنها أن تدفع وتقود حركة التنمية الشاملة. ورسالة الجامعة في عالمنا الحاضر في حقيقتها هي رسالة الإنسان، يسعى وراء المعرفة والعلم ويبنى العقل والضمير الإنسانى وينمى الخبرات والمهارات ويصقل المواهب والقدرات، ويدعم القيم الروحية الأصيلة ويعمق مفاهيمها وينشرها على أوسع نطاق ويحافظ عليها من كل عبث ويرفع كلمة الحق ويقضى على الباطل. وبالعلم والمعرفة يستكشف الإنسان أسرار الكون والطبيعة، وبهما ينهض بعمارة الكون ويبنى الحضارة الإنسانية الراقية بكافة أبعادها ومضامينها. والجامعة كمؤسسة اجتماعية علمية لا تتوقف عند حدود بناء العقل والمعرفة بل تسعى إلى بناء الحياة الأخلاقية، فهي نقطة اتصال بين الأجيال فهي تنبه العقل والطاقات والمواهب وتوقظ الذات الإنسانية. إلى جانب رسالتها: التعليم وتعليم التعليم، البحث وتعليم البحث .

فجامعة المستقبل تكمن في رسم معالم خطوط الغد بعمل اليوم، وأن تساهم فعليا وعمليا في رسم الغد والعمل من أجل تحقيقه، فلم تعد موارد الثروة هي التي تفرض على البشرية ما تتخذه من قرارات، بل أصبحت القرارات هي التي تخلق مصادر موارد الثروة. فالضغوط الحياتية مستقبلا سوف تجعل الإنسان عاجزا عن التوافق السوى وربما سوف تقتلعه من جذوره بما يترتب على ذلك من عواقب خطيرة في الصحة النفسية والجسمية. فالمستقبل يتطلب رجالا حقيقين، أي كائنات فاعلة وذات ثقافة إنسانية شاملة في مجتمع منظم ومتحضر .

فالجامعة هي مصدر الثقافة والتأهيل فهي تعمل على التكوين الكلى الشامل للشخصية الإنسانية إلى جانب التكوين العلمي والعملي الأساسي حتى لا تتحول

تلك المؤسسة إلى مكتب يصدر الشهادات. والجامعات العربية كما يرى بعض العلماء، أنها جامعات تنعدم فيها الحياة الجامعية بل تفتقر إلى التقاليد الجامعية، فقد تحولت إلى مؤسسات بيروقراطية تخاف الحرية وتخشى التحديث أو التجديد بالرغم من أنها تتجلى بالخصوصية في عدد واسع من المعايير مثل التواصل الحضاري، البنية العلمية والثقافية المتطورة لأعضائها، طلابا أو أساتذة. إلى الوزن الاعتباري الذي يشكله الأستاذ الجامعي في الحياة الاجتماعية والعلمية.

فالتنمية الكبرى المطلوبة من الجامعة هي التنمية العقلانية المعرفية، ولذلك يتطلب منها التوسع والتنوع في التنمية العقلانية المعرفية، ولذلك يتطلب منها التوسع والتنوع في التعليم الجامعي، حتى تستطيع أغلى ثروة في المجتمع وهي (الشباب) أن ينمو وفقا لقدراتهم وميولهم واستعداداتهم. فمهمة الجامعة هي تكوين وبناء الإنسان (الفاعل) أي الإنسان والمجتمع القادر على التعليم الدائم. ومطلوب من جامعتنا أن تتحول في خلال سنوات قليلة من جامعات مهنية إلى جامعات بحثية، حتى تتوافق مع ما يطرأ من تطورات على المجتمع العربى خلال القرن الحادي والعشرين، ويمكن تحديد بعض المسؤوليات للجامعات العربية وفقاً لمطالب عصرنا القادم فيما يلى :

1 - مسئولياتها في التغيير .

2 - التنويع بصفته مطلبا اجتماعيا وعصريا .

3 - أن تتجه الجامعات في برامجها ومشاريعها إلى الشباب .

التـــوصـــيات

1- دعوة الجامعات العربية لعقد مؤتمر علمي حول التعليم الجامعي: تطويره وآفاقه المستقبلية .

2- إعادة النظر في نظام القبول الجامعي الذي يعتمد على نظام التحصيل أو التخصص في العام الدراسي الجامعي الأول في بعض الجامعات .

3- تهيئة الفرص للشباب المتفوقين إلى احتلال مواقعهم في مراكز البحث كل حسبما تؤهله له كفاءته وقدرته .

4- العمل على إنشاء جامعة عربية للتعليم والبحث العلمي تشكل نواة عملية لتحقيق وحدة الوطن العربى العلمية .

الهوامش والمصادر

1 - رياض قاسم "مسئولية المجتمع العلمي العربي": منظور الجامعة العصرية وفق الحرية الديمقراطية - داخل الحرم الجامعى العربى " المستقبل العربى، السنة 17 العدد 93، (أذار / مارس 1990) ص 81 .

2 - محمد السيد سليم "الجامعة والوظيفة الاجتماعية للعلم" الفكر العربى، السنة 3 ، العدد 20 (أذار / مارس، أبريل 1981) ص 188 – 159 .

3 - فيدريكو مايور ثاراجوتا – نظر في مستقبل البشرية – قضايا لا تحتمل الانتظار، ترجمة محمود على مكي (الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، كورنيش النيل – جاردن سيتى – القاهرة، 1987 م ص 372 .

4 - نفس المصدر السابق، ص 372 ـ

5 - نفس المصدر السابق، ص 376 .

6 - نفس المصدر السابق، ص 379 .

7 - فاخر عاقل، التربية قديمها وحديثها (بيروت، دار العلم للملايين، 1977 م، ص 434) .

8 - محمد جواد رضا الجامعات العربية المعاصرة، من الغربة إلى الاغتراب – المستقبل العربى، السنة 16 العدد 182 (إبريل 1994)، ص 4 – 26) .

9 - على وطفة "الخلفيات الاجتماعية للتفاعل التربوي في الجامعات العربية ": جامعة دمشق نموذجا"، المستقبل العربى السنة 19، العدد 214، كانون الأول/ ديسمبر، ص 80 - 81 .

10- آلن توفلر، تحول السلطة - بين العنف والثروة والمعرفة، تعريب ومراجعة فتحى بن شتوان، نبيل عثمان، (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

1992) ص 31 .

11- معمر القذافي، الكتاب الأخضر ، الفصل الثالث (الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة) - المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع وإعلان بالجماهيرية، ص 184 .

12- روفيه أوبير، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم (بيروت — دار العلم للملايين، ط خاصة، 1982، ص 756) .

13- ستيفن د. كيرنز، دور الجامعات في عالم متغير، ترجمة عبد العزيز سليمان، وإبراهيم مطاوع (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1975)، ص40.

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

جامعة المرج

مجلة كلية الآداب والعلوم/ المرج

قسيمة اشتراك

العـــدد : ..... التـاريخ : .....

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكى بمجلة كلية الآداب والعلوم/ المرج لمدة سنة واحدة .

ابتداء من : .....

الاســـم : .....

العنـوان : .....

قيمة الاشتراك

طريقة الدفع ☐ شيك ☐ حوالة نقدية ☐ حوالة بريدية

رقـــم : ..... تـاريـخ : .....

التـوقـيع : ..... تـاريـخ : .....

الاشتراك السنوى

داخل الجماهيرية	خارج الجماهيرية
* الأفراد (2) ديناران ليبيان	* ما يعادلها رسميًا
* المؤسسات (4) أربعة دنانير ليبية	* ما يعادلها رسميًا

ملحوظة :

* تملأ هذه القسيمة وترسل إلى العنوان التالى :

(أمين التحرير/ كلية الآداب والعلوم/ المرج/ جامعة المرج/ ص.ب (894)